العقد الفريد

تأليف

الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي

المتوفى سنة ٣٢٨ هـ

بتحقيق

محمد سعيد العريان

الجزء الثالث

يطلب من

المكتبة التجارية الكبرى

١٣٧٢ — ١٩٥٣

كتاب الجوهرة
في الأمثال

لابن عبد ربه

قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه :

قد مضى قولُنا فى العلم والأدب وما يتولّدُ منهما ويُنسبُ إليهما من الحِكمِ النادرة ، والفِطنِ البارعة .

ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى الأمثال ، التى هى وشْىُ الكلام وجوهَرُ اللفظِ ، وحَلْى المعانى ، والتى تخيَّرتها العرب ، وقدَّمتها العجم ، ونطَق بها كُلُّ زمان وعلى كل لسانٍ . فهى أبقى من الشِّعر ، وأشرفُ من الخطابة ، لم يسِرْ شىءٌ مسيرها ، ولا عمَّ عُمُومَها ، حتى قيل : أسْيَرُ من مَثَل .

وقال الشاعر :

ما أنت إلا مَثلٌ سائرُ ٭ يعرِفُه الجاهِلُ والخابِرُ

وقد ضرب الله عز وجل الأمثال فى كتابه ، وضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كلامه . قال الله عز وجل : ﴿ يا أَيُّها النّاسُ ضُرِب مثلٌ فاستمِعُوا لهُ ﴾ وقال : ﴿ وضرَبَ اللهُ مثلاً رجُليْن ﴾ . ومثل هذا كثير فى آى القرآن .

فأول ما نبدأ به : أمثالُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أمثال العلماء ، ثم أمثال أكثم بن صيفى وبُزُرْجمهر الفارسى ؛ وهى التى كان يستعملها جعفر بن يحيى فى كلامه ؛ ثم أمثالُ العرب التى رواها أبو عُبيد ، وما أشبهها من أمثال العامة ؛ ثم الأمثال التى استعملها الشعراء فى أشعارهم فى الجاهلية والإسلام .

أمثال رسول الله

صلى الله عليه وسلم

قال النبي صلى الله عليه وسلم : ضربَ اللهُ مثلاً صِراطاً مُستقيما ، وعلى جَنبي الصراط أبوابٌ مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مُرخيّة ، وعلى رأس الصراط داع يقول : ادخلوا الصراط ولا تعوجّوا . فالصراط الإسلام ، والسوران : حدود الله ، والأبواب المفتحة : محارم الله ، والداعي القرآن .

وقال صلى الله عليه وسلم : مثل المؤمن كالخامة من الزرع : يقلبها الريح مرة كذا ومرة كذا . ومثل الكافر مثل الأرزَة المُجذِية على الأرض ، يكون انجعافها بمرة .

وسأله حذيفة : أبعد هذا الشر خير يارسول الله ؟ فقال : جماعة على أقذاء، وهُدنة على دَخَن .

وقوله حين ذكر الدنيا وزينتها ، فقال : إن مما يُنبت الربيعُ ما يَقتل حَبَطاً أو يُلِمّ .

وقال لأبي سفيان : أنت أبا سفيان كما قالوا : كلُّ الصيد في جوف الفرا .

وقال حين ذكر الغلو في العبادة : إن المُنبتّ لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى .

وقال صلى الله عليه وسلم : إياكم وخضراء الدِّمَن . قالوا : وما خضراء الدمن؟ قال : المرأة الحسناء في المنبت السوء .

وذكر الرِّبا في آخر الزمان ، وافتتان الناس به ، فقال : من لم يأكلهُ أصابه غُبارُه .

وقال الإيمـانُ قيدَ الفَتْكَ .

وقال صلى الله عليه وسلم : الولد للفراش وللعاهر الحجر .

وقال في فرس : وجدْتُه بَحْرًا .

وقال : إن من البيان لَسِحْرًا .

وقال : لا ترفع عصاك عن أهلك .

وقال صلى الله عليه وسلم : لا يُلدغ المؤمن من جُحر مرتين .

وقال : الحرب خدعة .

وله صلى الله عليه وسلم وعلى آله : أمثال كثيرة غير هذه ، ولكنّا لم نذهب في كل باب إلى آستقصائه ، وإنما ذهبنا إلى أن نكتفي بالبعض ، ونستدل بالقليل على الكثير ، ليكون أسهلَ مأخذاً للحفظ ، وأبرأ من المَلالة والهرب . وتفسيرها :

أما المثل الأول ، فقدفسّره النبي صلى الله عليه وسلم .

وأما قوله « المؤمن كالخامة والكافر كالأرزة ، فإنه شبّه المؤمن في تصرف الأيام به وما يناله من بلائها ، بالخامة من الزرع يقلبها الرِّيح مرة كذا ومرة كذا ـ والخامة في قول أبي عُبيد : القَصبة الرطبة من الزرع ؛ والأرزة : واحدة الأُرز ، وهو شجر له ثمر يقال له الصنوبر . والجذية : الثابتة ، وفيها لغتان : جذا يجذو ، وأجذى يُجذى . والانجعاف : الانقلاع ، يقال جَعفت الرجل ، إذا قلعته وصرعته وضربت به الأرض .

وقوله لحذيفة : هُدنة على دَخن وجماعة على أقذاء . أراد ما تنطوي عليه القلوب من الضغائن والأحقاد ، فشبّه ذلك بإغضاء الجفون على الأقذاء . والدَخن : مأخوذ من الدخان ، جُعلا مثله لما في الصدور من الغل .

وقوله : إنّ مما ينبت الربيع ما يقتل حَبَطا أو يُلم . فالحبط ـ كما ذكر أبو عبيدة عن الأصمعي : أن تأكل الدابة حتى ينتفخ بطنها وتمرض منه ، يقال : حبطت الدابة تحبط حبطا . وقوله : أو يلم . معناه : أو يقرب من ذلك . ومنه قوله : إذ ذكر أهل الجنة فقال : إن أحدهم إذا نظر إلى ما أعدّ الله له في الجنة فلولا أنه شيء قضاه الله له لألمّ أن يذهب بصرُه ، يعني لما يرى فيها . يقول : لقرُب أن يذهب بصره .

وقوله لأبي سفيان : كل الصيد في جوف الفرا . فمعناه أنك في الرجال كالفرا في الصيد ، وهو الحمار الوحشي ، وقال له ذلك يتألّفه على الإسلام .

وقوله حين ذكر الغلو فى العبادة : إن المنبتّ لا أرضاً قطع ولا ظهرا أبق . يقول : إن المُغذّ فى السير إذا أفرط فى الإغذاذ عَطِبت راحلته من قبل أن يبلُغ حاجته أو يقضيَ سفره ، فشبّه بذلك مَن أفرط فى العبادة حتى يبق حسيرا .

وقوله فى الربا : من لم يأكله أصابه غباره . إنما هو مثل لما ينال الناسَ
٥ من حرمته ، وليس هناك غبار .

وقوله : الإيمان قيّدَ الفَتْك . أى منع منه كأنه قَيد له . وفى حديث آخر : لا يَفتك مؤمن .

وقوله فى فرس : وجدته بحرا . وإن من البيان لسحرا : إنما هو تمثيل لا على التحقيق .

١٠ وكذلك قوله : الولد للفراش وللعاهر الحجر . معناه أنه لا حق له فى نسب الولد .

وقوله صلى الله عليه وسلم : لا ترفع عصاك عن أهلك . إنما هو الأدب بالقول ، ولم يرد ألا ترفع عنها العصا .

وقوله : لا يُلدغ المؤمن من جُحر مرتين . معناه أن لدْغ مرة يحفظ
١٥ من أخرى .

وقوله : الحرب خدعة . يريد أنها بالمكر والخديعة .

أمثال روتها العلماء

ابن بشير على منبر الكوفة

خطب النعمان بن بُشير على منبر بالكوفة فقال : يأهل الكوفة ، إنى وجدتُ مَثلى ومَثلكم كالضّبُع والثعلب أتَيا الضبّ فى جُحره ، فقالا : أباحِسْل . قال :
٢٠ أجبتكما[1] قالا : جئناك نختصم . قال : فى بيته يُؤتَى الحَكم . قالت الضبع : فتحتُ عيْبتى[2] ، قال : فِعل النساء فعلتِ . قالت : فلقطتُ تمرة . قال : حُلواً جنيتِ .

(١) فى بعض الأصول : « أجبتما » .
(٢) فى بعض الأصول : « عينى » .

قالت : فاختطفها ثُعالة . قال : نفسه بَغَى[1] . ثعالة اسم الثعلب ، الذكر والأنثى . قالت : فلطمته لطمة . قال حقًّا قضيت . قالت : فلطمنى أخرى . قال : كان حُرًّا فانتصر . قالت : فاحكم الآن بيننا . قال حدّث امرأة حديثين فإن لم تفهم فأربعة[2] .

ابن الزبير وأهل العراق

وقال عبد الله بن الزبير لأهل العراق : وددْت والله لو أن لى بكم من أهل الشام صَرْف الدينار بالدرهم . قال له رجل منهم : أتدرى يا أمير المؤمنين ما مَثَلُنا ومثلكم ومثل أهل الشام ؟ قال : وما ذلك ؟ قال : ما قاله أعشى بكر حيث يقول :

عُلِّقْتُها عَرَضاً وعُلقتْ رجُــلا ٭ غيرى وعُلِّق أخرى غيرها الرَّجلُ

أحببناك نحن ، وأحببت أنت أهل الشام ، وأحب أهل الشام عبد الملك ابن مروان .

مثل فى الرياء

فخ الإسرائيلى والعصفورة

يحيى بن عبد العزيز : قال : حدثنى نُعَيم عن اسماعيل عن رجل من ولد أبى بكر الصدّيق رضوان الله عليه ، عن وهب بن مُنبه قال : نَصب رجل من بنى إسرائيل فَخًّا ، فجاءت عصفورة فنزلت عليه ، فقالت : مالى أراكَ مُنْحنيا ؟ قال : لكثرة صلاتى انحنيتُ . قالت : فمالى أراك بادية عظامُك ؟ قال : لكثرة صيامى بدَت عظامى . قالت : فمالى أرى هذا الصُّوف عليك ؟ قال : لزهادتى فى الدنيا لبست الصوف . قالت : فما هذه العصا عندك ؟ قال : أتوكَّأُ عليها وأقضى بها حوائجى . قالت : فما هذه الحبّة فى يدك ؟ قال : قُرْبان إنْ مَرَّ بى مسكينٌ ناولته إياه . قالت : فإنى مسكينة ! قال : فخذيها . فدنت فقبضت على الحبة ، فإذا الفخ فى عنقها . فجعلت تقول : قَعِى قَعِى . تفسيره : لا غرَّنى ناسك مُراء بعدك أبدا .

(١) فى مجمع الأمثال : « لنفسه بغى الخير » .

(٢) ويروى : « فاربع » أى كف .

اسرائيلى وقبرة

داود بن أبى هند عن الشّعبى : أن رجلا من بنى إسرائيل صاد قُبَّرَة ، فقالت : ما تريد أن تصنع بى؟ قال : أذبحكِ فآكلك! قالت : والله ما أشفِى من قَرَم ولا أُغْنى من جُوع ، ولكنى أعلّمك ثلاث خصال هى خير لك من أكلى : أما الواحدة فأعلمكها وأنا فى يدِكَ ، والثانية إذا صرتُ على هذه الشجرة ، والثالثة إذا صرت على الجبل . فقال:هاتِ الأولى ، قالت : لا تتلهفن على ما فاتك . فخَلَّى عنها ؛ فلما صارت فوق الشجرة قال : هات الثانية . قالت : لا تُصَدِّقَن بما لا يكونُ أنه يكونُ . ثم طارت فصارت على الجبل ، فقالت : يا شقىُّ ! لو ذبحتنى لأخرجتَ من حَوْصَلَتى دُرّة فيها زنة عشرين مثقالا . قال : فعضّ على شفتيه وتلهّف ثم قال : هات الثالثة . قالت له : أنت قد نسيت الاثنتين ، فكيف أعلّمك الثالثة ؟ ألم أقل لك لا تتلهفنّ على ما فاتك ؟ فقد تلهفت ! علىّ إذ فُتُّك ، وقلت لك . لا تصدقن بما لا يكون ، أنه يكون ! فصدقت ! أنا وعظمى وريشى لا أزن عشرين مثقالا ، فكيف يكون فى حوصلتى ما يزنها ؟

من أمثال الهند

وفى كتاب للهند : مثَل الدنيا وآفاتها ومخاوفها والموت والمعاد الذى إليه مصير الإنسان :

قال الحكيم : وجدت مثَل الدنيا والمغرور بالدنيا المملوءة آفات ، مثَل رجل ألجأه خوف إلى بئر تدلّى فيها وتعلق بغصنين نابتين على شفير البئر ، ووقعت رجلاه على شىء فمدّهما . فنظر فإذا بحيّات أربع قد أطْلَعْنَ رءوسهن من جُحُورهنّ ، ونَظر إلى أسفل البئر فإذا بثعبان فاغر فاه نحوه ، فرفع بصره إلى الغصن الذى يتعلق به فإذا فى أصله جُرذان أبيض وأسود يقرضان الغصن دائبين لا يَفْتُران ؛ فبينما هو مغتم بنفسه وابتغاء الحيلة فى نجاته ، إذ نظر فإذا بجانب منه جُحر نحل قد صنعن شيئاً من عسل ، فتطاعم منه فوجد حلاوته ، فشغلته عن الفِكر فى أمره والتماس النجاة لنفسه ، ولم يذكر أن رجليه فوق أربع حيات لا يدرى مَن تُساوره منهن ، وأن الجرذين دائبان فى قرض الغصن الذى يتعلق به ، وأنهما إذا قطعاه وقع فى لَهوة التنين . ولم يزل لاهياً غافلا حتى هلك .

قال الحكيم : فشبهت الدنيا المملوءة آفات وشروراً ومخاوف بالبئر ؛ وشبهت الأخلاط التي بنى جسد الإنسان عليها ، من المرتين والبلغم والدم بالحيات الأربع وشبهت الحياة بالغصنين اللذين تعلق بهما وشبهت الليل والنهار ودورانهما فى إفناء الأيام والأجيال بالجرذين الأبيض والأسود اللذين يقرضان الغصن دائبين لا يفتران ؛ وشبهت الموت الذى لابد منه بالتنين الفاغِر فاه ؛ وشبهت الذى يرى الإنسان ويسمع ويطعم ويلبس فيلهيه ذلك عن عاقبة أمره وما إليه مصيره بالعسيلة التى تطاعمها .

من ضرب به المثل من الناس

قالت العرب : أسخى مِن حاتِمٍ ، وأشجعُ مِن ربيعةَ بن مُكدَّم ، وأدهى[1] من قيْس بن زُهيْرٍ . وأعزُّ من كُليْبِ بن وائلٍ . وأوْفى من السَّموْأل . وأذكى من إياس بن معاوية . وأسوَدُ مِن قيْس بن عاصمٍ . وأمنعُ من الحارث بن ظالمٍ . وأبلغُ من سُحبان بن وائلٍ . وأحلمُ من الأحنف بن قيْس وأصدقُ من أبى ذرٍ الغِفارىّ . وأكذَبُ من مُسَيْلِمة الحنفى . وأعْيا من باقِل . وأمضى من سُليْك المقانب . وأنعمُ من خُريمٍ الناعم . وأحمقُ من هَبنَّقَة . وأفتكُ من البرَّاض .

من يضرب به المثل من النساء

يقال : أشأمُ من البَسوس . وأحمق من دُغَة . وأمنع من أمِّ قِرْفة وأقود[2] من ظُلْمة ، وأبصر من زَرقاءِ اليمامة .

البسوس : جارة جسّاس بن مُرة بن ذُهل بن شَيبان ، ولها كانت الناقة التى قتل من أجلها كليب بن وائل ، وبها ثارت الحرب بين بكر بن وائل وتغلب ، التى يقال لها حرب البسوس .

(١) فى بعض الاصول « وأنكى » .

(٢) فى بعض الاصول : « وأزنى » .

وأم قِرْفة : آمرأة مالك بن حُذيفة بن بَدر الفزارى ، وكان يُعلَّق فى بيتها خمسون سيفاً كل سيف منها لذى مَحْرم لها .

ودُغَة : آمرأة من عجل بن لُجيم ، تزوجت فى بنى العنبر بن عمرو بن تميم .

وزَرقاء بنى نُمير : آمرأة كانت باليمامة تبصر الشَّعرة البيضاء فى اللبن ، وتنظر
٥ الراكب على مَسيرة ثلاثة أيام ، وكانت تُنذر قومَها الجيوش إذا غزتهم ، فلا يأتيهم جيش إلا وقد آستعدوا له ؛ حتى آحتال لها بعض من غزاهم ، فأمر أصحابه فقطعوا شجراً أمسكوه أمامهم بأيديهم ، ونظرت الزرقاء فقالت : إنى أرى الشجر قد أقبل إليكم . قالوا لها : قد خَرِفت ورق عقلك وذهب بصرك . فكذبوها ، وصبّحتهم الخيل وأغارت عليهم وقُتلت الزرقاء . قال : فقوّروا عينيها فوجدوا عروق عينيها
١٠ قد غرقت فى الإثمد من كثرة ما كانت تكتحل به .

وظُلمة : آمرأة من هُذيل زَنت أربعين عاما ، فلما عجزت عن الزنا والقَوْد آتخذت تَيساً وعنزا ، فكانت تُنزى التيس على العنز ، فقيل لها : لم تفعلين ذلك ؟ قالت : حتى أسمع أنفاس الجماع .

ما تمثلوا به من البهائم

١٥ قالوا : أشجع من أسد . وأجبن من الصَّافِر . وأمضى من ليْثِ عِفرّين . وأحذرُ من غرابٍ . وأبصر من عُقابٍ . وأزهى من ذُباب . وأذلُّ من قُرادٍ بمَنِسم . وأسمع من فرَس . وأنوَمُ من فهدٍ . وأعْمَرُ من ضبٍّ . وأجبن من صِفْرِد . وأحقد من جمل . وأضرعُ من سِنَّوْرٍ . وأسرق من زَبابةٍ . وأصبر من عَوْدٍ وأظلم من حَيّةٍ . وأحَنُّ من ناب . وأكْذب من فاختِة . وأعزّ من بيْض الأنُوق .
٢٠ وأجوَع من كلبة حَوْمَل . وأعزُّ من الأبْلَق العَقوق .

الصافر : ذو الصفير من الطير . العَود : المُسن من الجمال . والأنوق : طير يقال إنه يبيض فى الهواء ، والزَّبابة : الفأرة تسرق دود الحرير ، وفاختة : طير يطير بالرطب فى غير أيامه .

ما يضرب به المثل من غير الحيوان

قالوا : أهدَى من النَّجمِ . وأجودُ من الدِّيَمِ . وأصبحُ من الصُّبح . وأسمحُ من البحرِ . وأنوَرُ من النهارِ . وأسوَدُ من اللَّيلِ . وأمضَى من السَّيْلِ . وأحمقُ من رجِلة . وأحسَنُ من دُمْيـة . وأنزَهُ من روضَة . وأوسـعُ من الدَّهناء . وآنَسُ من جدوَلٍ . وأضيَقُ من قرارِ حافرٍ . وأوحَشُ من مفازةٍ . وأثقلُ من جبـلٍ . وأبقى من الوحْيِ فى صُمّ الصِّلابِ . وأخفُّ من ريشِ الحَواصِلِ .

وممـا ضربوا به المثل

قولهم : قوسُ حاجب . وقُرْطُ مارية . وحجّامُ ساباط . وشـقائقُ النُّعمان . وندامَة الـكُسَعِيّ . وحديثُ خُرافةَ . وكَنزُ النَّطفِ . وخُفّا حُنَيْنٍ . وعِطرُ مَنشِمَ .

أما قوس حاجب . فقد فسرنا خبره فى كتاب الوفود .

وأما قُرط مارية فإنها مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية الـكندى وأختها هند الهنود امرأة حُجر آكل المرار . وابنها الحارث الأعرج الذى ذكره النابغة بقوله :

﴿ والحارثُ الأعرَجُ خيرُ الأنامِ ﴾

وإيّاها يعنى حسان بن ثابت بقوله :

أولاد جَفْنَةَ حولَ قبْرِ أبيهِمُ ﴿ قبْرِ ابنِ ماريَةَ الـكريمِ المُفْضِلِ

وأما حجّام ساباط ، فإنه كان يحجُم الجيوش بنسيئة إلى انصرافهم ، من شدة كساده ؛ وكان فارسيًّا . وساباط . هو ساباط كسرى .

ونُسب شقائق النعمان إليه ، لأن النعمان بنَ المُنذر أمر بأن تُحمى وتضرب قبته فيها آستحسانا لها ، فنُسبت إليه ، والعرب تسميها الشَّقِر .

وأما خُرافة : فإنّ أنس بن مالك يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال

لعائشة رضى الله عنها : إنّ من أصدق الأحاديث حديث خُرافة ، وكان رجلاً من بنى عُذرة سَبَته الجن ، وكان معهم ، فإذا استرقوا السمع أخبروه ، فيُخبر به أهلَ الأرض فيجدونه كما قال .

وأما كنز النَّطف ، فهو رجل من بنى يربوع كان فقيراً يحمل الماء على ظهره فينطفُ ، أى يقطُر ؛ وكان أغار على مالٍ بعث به باذانُ من اليمن إلى كسرى ، فأعطى منه يوماً حتى غربت الشمس ، فضربت به العرب المثل فى كثرة المال .

وأما خُفَّا حنين ، فإنه كان إسكافاً من أهل الحيرة ، ساومه أعرابىّ بخُفين فاختلفا حتى أغضبه ، فأراد أن يغيظ الأعرابىّ ، فلما ارتحل أخذ أحد الخفين فألقاه فى طريق الأعرابى ، ثم ألقى الآخر بموضع آخر على طريقه . فلما مر الأعرابى بالخف الأول ، قال ما أشبه هذا بخف حنين ! لو كان معه صاحبُه لأخذته . فلما مرَّ بالآخر ندم على ترك الأول فأناخ راحلته ، وانصرف إلى الأول وقد كمن له حُنين ، فوثب على راحلته وذهب بها ؛ وأقبل الأعرابىّ ليس معه غير خُفى حُنين . فذهبت مثلا .

وأما عِطر مَنْشم ، فإنها كانت امرأة تبيع الحَنوط فى الجاهلية ، فقيل للقوم إذا تحاربوا : دقُّوا عطر مَنْشم . يُراد بذلك طيب الموتى .

وأما ندامة الكُسعى ، فإنه رجل رَمى فأصاب ، فظن أنه أخطأ فكسر قوسه ؛ فلما علم ندم على كسر قوسه . فضُرب به المثل .

أمثال أكثم بن صيفى وبزرجمهر الفارسى

العقلُ بالتَّجاربِ . الصاحِبُ مُناسِبٌ . الصديقُ مَن صدَق عينُه . الغريبُ من لم يكن له حبيبٌ ، رُبَّ بعيدٍ أقربُ من قريبٍ . القريبُ من قَرُبَ نفعُهُ . لو تكاشفتُمْ ما تدافنتُم . خيرُ أهلِكَ من كفاكَ . وخيرُ سلاحِك ما وقاك . خيرُ إخوانِكَ من لم تَخبُرْهُ . رُبَّ غريبٍ ناصِحُ الجيْب ؛

وابنُ أبٍ متهَمُ الغيب . أخوك مَن صدَقك . الأخُ مرآة أخيه . إذا عزّ أخوك
فهُن . مُكرَهٌ أخوك لا بطَل . تباعدوا فى الديارِ وتقاربوا فى المحبة . أىُّ الرجالِ
المهذَّب . مَن لك بأخيك كلّه . إنك إن فرّجتَ لاقِ فرَجا . أحسِنْ يُحسَنْ إليك .
آرحم تُرحَم . كما تَدينُ تُدان . مَن يُرَ يوما يُرَ به ، والدهرُ لا يُغتَرُّ به . عينٌ
٥ عَرفتْ فذَرفتْ . فى كلِّ خِبرةٍ عِبرة . مِن مأمَنِه يؤتَى الحذِر . لا يعدو المرءُ
رزقَه وإن حرَص . إذا نزَل القدَرُ عَمِيَ البصر : وإذا نزَلَ الحَيْن نزَل بين الأُذُنِ
والعين . الخمرُ مِفتاحُ كلِّ شرّ . الغناء رُقيةُ الزّناء . القناعة مالٌ لا يَنفَد . خيرُ
الغِنَى غِنَى النفس . مُنساقٌ إلى ما أنتَ لاقٍ . خذ من العافيةِ ما أُعطِيت ، ليس
الإنسانُ إلا القلبَ واللسان . إنما لك ما أمضيْت . لا تتكلّف ما كُفِيت . القلمُ
١٠ أحدُ اللسانيْن . قِلّةُ العيالِ أحدُ اليساريْن . ربما ضاقتِ الدنيا باثنيْن . لن تَعدَمَ
الحسناء ذامًا . لمْ يعدمِ الغاوى لائمًا . لا تكُ فى أهلك كالجنازة . لا تَسْخَرْ من
شىء فيحورَ بك . أخِّرِ الشرَّ فإن شئتَ تعجّلتَه . صغيرُ الشرِّ يوشِكُ أن يَكبَرْ .
يُبصِرُ القلبُ ما يَعمىٰ عنه البصر . الحُرُّ حرٌّ وإن مَسّه الضُّر . العبدُ عبدٌ وإن
ساعدَه جَدّ . مَن عرَف قدْرَه استَبان أمْرَه . مَن سَرَّه بنوهُ ساءَته نفسُه . من
١٥ تعظَّم على الزمانِ أهانَه . من تعرّض للسلطان أذْراه ومن تطامَنَ له تخطّاه . من
خَطا يخطو . كلُّ مبذولٍ مملول . كلُّ ممنوعٍ مرغوبٌ فيه . كل عزيزٍ تحت القدرةِ
ذليل . لكلِّ مَقامٍ مقال . لكلِّ زمانٍ رجال . لكل أجلٍ كتاب . لكل عملٍ
ثواب . لكل نبإٍ مُستقَر . لكل سِرّ مستودَع . قيمةُ كلِّ إنسانٍ ما يُحسِن .
آطلُبْ لكل غلقٍ مِفتاحا . أكثِرْ فى الباطلِ يكن حقًّا . عند القَنَطِ يأتى الفرَج .
٢٠ عند الصباحِ يُحمَدُ السُّرَى . الصدقُ مَنجاة والكذِبُ مَهواة . الاعترافُ يَهْدِمُ
الاقتراف . رُبَّ قولٍ أنفذُ من صوْل . رُبَّ ساعةٍ ليس بها طاعة . رُبَّ عَجلةٍ
تُعقِبُ رَيْثا . بعضُ الكلامِ أقطعُ من الحُسام . بعضُ الجهلِ أبلغُ من الحِلْم .
ربيعُ القلبِ ما آشتهى . الهوى شديدُ العمى . الهوى الإلٰهُ المعبود . الرأىُ نائمٌ
والهوى يَقظان ، غلَبَ عليك من دعا إليك . لا راحةَ لحسود ؛ ولا وفاءَ لمَلول .

لا سرورَ كطِيبِ النفس . العمرُ أقصرُ من أن يحتمل الهجر . أحق الناس بالعفو أقدرُهم على العقوبة . خيرُ العِلم ما نفع . خيرُ القولِ ما اتبع . البِطنةُ تُذهِب الفِطنة . شرُّ العمى عمى القلب . أوثقُ العُرى كلمةُ التقوى . النساء حَبائلُ الشيطان . الشبابُ شُعبةٌ من الجنون ، الشقيُّ مَن شَقِيَ فى بطنِ أُمّه . السعيدُ من وُعِظ بغيره . لكل امرئ فى بَدَنِه شُغلٌ . من يَعرِف البلاء يصبِرْ عليه . المقادير تُريكَ ما لا يخطُر ببالِك . أفضلُ الزّادِ ما تُزُوِّدَ للمَعاد . الفحْلُ أحْمَى للشّوْل . صاحبُ الحَظوةِ غدا مَن بلغَ المَدى . عواقبُ الصبرِ محمودة . لا تُبْلَغ الغاياتُ بالأماني . الصريمةُ على قدرِ العزيمة . الضعيفُ يُثني أو يَذُمّ . من تفكّر اعتبر . كم شاهدٍ لك لا ينطِق ، ليس منك من غَشّك . ماانظر لامرئٍ مثلُ نفسه . ماسَدّ فقرَكَ إلا مِلْكُ يمينك . ماعلى عاقلٍ ضيْعة . الغِنى فى الغُربةِ وطن . والمُقِلُّ فى أهلِه غريب . أولُ المعرفةِ الاختبار . يدُك منك وإن كانت شَلّاء . أنفُك منك وإن كان أجدَع . من عُرِف بالكذبِ لم يَجُزْ صِدقُه ، ومن عُرِف بالصدق جاز كذبه . الصحة داعية السُّقم . الشبابُ داعيةُ الهرَم . كثرةُ الصياح من الفشل . إذا قدُمَتِ المصيبةُ تُرِكتِ التعزية . إذا قدُم الإخاء سمُجَ الثناء . العادة أملَكُ من الأدب . الرفقُ يُمْنٌ والخُرْقُ شؤمٌ . المرأةُ رَيحانةٌ وليست بقهرمانة . الدَّالُّ على الخيرِ كفاعِلِه . المُحاجزةُ قبلَ المُناجزة . قبلَ الرمايةِ تُملأُ الكَنائن . لكل ساقطةٍ لاقِطة . مقتلُ الرجلِ بين فَكّيه . تَرْكُ الحركةِ غَفلة . الصَّمتُ حُبْسة . مِن خيرِ خبرٍ أنْ يُسمَعَ بمطر . كفى بالمرءِ خِيانةً أن يكون أميناً للخوَنة . قيِّدوا النِّعَمَ بالشكر . مَن يَزرعِ المعروفَ يحصُد الشكر . لا تغترّ بمودّة الأميرِ إذا غشّك الوزير . أعظمُ من المصيبةِ سوءُ الخَلَفِ منها . من أراد البقاءَ فليوطّنْ نفسَه على المصائب . لِقاءُ الأحبّةِ مَسلاة للهَم . قطيعةُ الجاهلِ كصلة العاقل . مَن رضِيَ على نفسه كثُر الساخط عليه . قَتلتْ أرضٌ جاهلَها ، وقَتل أرضاً عارفُها . أدوأُ الداء الخُلق الدَّنِىّ واللسان البذىّ . إذا جعلك السلطان أخًا فاجعله ربًّا . احذر الأمين ولا تأمن الخائن . عند الغاية يُعرف السبْق .

عند الرِّهان يُحمَد المِضمار . السؤال وإن قلّ أكثر من النوال وإن جل . كافئ المعروف بمثله أو انشره . لا خَلّة مع عَيْلة . لا مروءة مع ضُرّ . ولا صبر مع شكوى . ليس من العدل سرعة العذْل . عبد غيرك حرّ مثلك . لا يعدَم الخيار من استشار . الوضيع مَن وضع نفسه . المَهين من نزل وحده . مَن أكثر أهجَر . كفى بالمرء كذباً أن يُحدّث بكل ما سَمع . كل إناء ينضح بما فيه . العادة طبع ثان . ٥

ومن أمثال العرب

مما روى أبو عبيد

جرّدناها من الآداب التي أدخل فيها أبو عبيد إذ كنا قد أفردنا للأدب والمواعظ كتباً غير هذا ، وضَممنا إلى أمثلة العرب القديمة ما جرى على ألسنة العامة من الأمثال المستعملة ، وفسرنا من ذلك ما احتاج إلى التفسير . فمن ذلك قولهم : ١٠

في حفظ اللسان

لعمر بن عبد العزيز : التقيّ مُلْجَم .

لأبي بكر الصديق : إن البلاء مُوَكّل بالمنطِق .

لابن مسعود : ما شيء أولى بطول سجن من لسان .

لأنس بن مالك : لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يحترز من لسانه ولسان غيره . ١٥

احذر لسانك لا يَضرب عنقكَ . جُرْح اللسان كجرح اليد . رُبّ كلام أقطع من حُسام . القول يَنفذ ما لا تَنفذ الإبَر .

قال الشاعر :

وقد يُرجى لجَرح السيف بُرءٌ ٭ ولا بُرءٌ لِما جَرح اللسان

اجتلبنا هذا البيت لأنه قد صار مثلا سائراً للعامة . وجعلنا لأمثال الشعراء في آخر كتابنا هذا بابا . ٢٠

وقال أكثم بن صيفي : مَقتل الرجل بين فكّيه .

وقال : ربما أعلم فأذَر . يريد أنه يدع ذكر الشيء وهو به عالم ؛ لما يحذر من عاقبته .

إكثار الكلام وما يتقى منه

قالوا : مَن ضاق صدره اتّسع لسانه . مَن أكثَر أهجَر - أي خرج إلى الهجر ، وهو القبيح من القول .

وقالوا : المِكثار كحاطِب ليل ، وحاطب الليل ربما نهشته الحيّة أو لسعته العقرب فى احتطابه ليلا .

وقالوا : أوّل العِيّ الاختلاط ، وأسوأ القول الإفراط .

فى الصمت

قالوا : الصَّمت حُكم وقليل فاعِله .

وقالوا : عِيٌّ صامت خير من عيّ ناطق ، والصمت يُكسب أهلَه المحبّة .

وقالوا : آستكثِر من الهيبة الصَّموت : والندم على السُّكوت خير من الندم على الكلام .

وقالوا : السُّكوت سلامَة .

القصد فى المدح

منه قولهم : مَن حَفَّنا أو رَفَّنا فليقتصد . يقولون : من مدحنا فلا يغلُوَن فى ذلك .

وقولهم : لا تَهرف بما لا تعرف والهرف : الإطناب فى المدح والثناء .

ومنه قولهم : شاكِهْ أبا يسار من دون ذا يَنفُقُ الحمار .

أخبرنا أبو محمد الأعرابى عن رجل من بنى عامر بن صعصعة قال : لقى أبو يسار رجلا بالمِربد يبيع حماراً ورجل يساومه : فجعل أبو يسار يُطرى الحمار ؛ فقال المشترى : أعرَفْت الحمار ؟ قال : نعم . قال : كيف سيره ؟ قال يُصطادُ به النّعام

معقولا . قال له البائع : شاكِهْ أبا يسار ، من دون ذا ينفُق الحمار . والمشاكهة : المقاربة والقصد .

صـــدق الحديث

منه قولهم : من صدَقَ اللهَ نجا .

ومنه قولهم : سُبَّنِي واْصدُقْ . ٥

وقالوا : الكذبُ داءٌ والصِّدقُ شفاء .

وقولهم : لا يَكْذِبُ الرائدُ أهلَه معناه أن الذى يرتاد لأهله منزلا لا يكذبهم فيه .

وقولهم : صدَقَنى سِنَّ بَكْرِه . أصله أنّ رجلا ابتاع من رجل بعيراً ، فسأله عن سِنّه . فقال له : إنه بازل . فقال له : أنِخْهُ . فلما أناخه قال : هِدَعْ هِدَعْ . وهذه لفظة تسكَّن بها الصغار من الإبل . فلما سمع المشترى هذه الكلمة قال : ١٠ صدَقَنى سنّ بَكْره .

ومنه قولهم : القولُ ما قالت حَذَامِ . وهى امرأة لُجَيْم بن صَعب ، والد حَنيفة وعِجْل ، ابنَى لجيم ، وفيها قال :

إذا قالت حَذام فصدِّقوها * فإنّ القولَ ما قالت حذامِ

من أصاب مرة وأخطأ مرة ١٥

منه قولهم : شُخْبٌ فى الإناء . وشُخْبٌ فى الأرض . شُبِّه بالحالب الجاهل الذى يحلب شخبا فى الإناء وشخبا فى الأرض .

وقولهم : يَشُجُّ مرةً ويأسو أخرى .

وقولهم : سهمٌ لك وسهمٌ عليك .

وقولهم : اَطْرُقى ومِيشِى . والميش أن يخلط الشعر بالصوف . والمطراقة : ٢٠ العود الذى يُضرب به بين ما خُلط .

سوء المسألة وسوء الاجابة

قالوا : أساء سمعاً فأساء جابَةً . هكذا تحكى هذه الكلمة ، «جابة» بغير ألف ، وذلك أنه آسم موضوع يقال : أجابنى فلان جابة حسنة ، فإذا أرادوا المصدر قالوا : إجابةً ، بالألف .

٥ وقالوا : حدِّثِ آمرأةً حديثَين فإن لم تفهَم فأربعةً . كذا فى الأصل ؛ والذى أحفظ : فارْبع ، أى أمسك .

وقولهم : إليك يُساق الحديثُ .

من صمت ثم نطق بالفهاهة

قالوا : سَكَت ألفاً ونطَق خَلْفاً . الخلف من كل شيء : الردىء .

١٠ المعروف بالكذب يصدق مرة

قولهم : من الخواطِئ سهمٌ صائبٌ . ورُبَّ رَمْيةٍ منْ غير رامٍ .

وقولهم : قد يَصْدُق الكذُوبُ .

المعروف بالصدق يكذب مرة

قالوا : لكلِّ جَوَادٍ كَبْوةٌ ، ولكلِّ صارمٍ نَبْوةٌ ، ولكلِّ عالمٍ هفوة ، وقد ١٥ يَعثُر الجوادُ ، ومن لك بأخيك كلِّه ، وأىُّ الرجالِ المُهذبُ .

كتمان السر

قالوا : صدْرُك أوْسع لسِرِّك .

وقالوا : لا تُفْش سِرَّك إلى أَمَةٍ ، ولا تَبُلْ على أكَمَةٍ . يقول لا تُفْش سرك إلى امرأة فتبديه ، ولا تَبُل على مكان مرتفع فتبدو عورتك .

٢٠ ويقولون إذا أسرُّوا إلى الرجل : اجعل هذا فى وعاءٍ غيْر سَرِبٍ .

وقولهم سِرُّك من دمِك .

وقيل لأعرابى : كيف كتمانك السر ؟ فقال : ما صَدْرى إلا قبرٌ .

انكشاف الأمر بعد اكتتامه

قولهم : حَصْحَص الحقُّ

وقولهم : أبدَى الصريح عن الرُّغْوة . وفي الرغوة ثلاث لغات : فتح الراء، وضمها، وكسرها.

وقولهم : صرح المَحْضُ عن الزَّبَدِ .

وقالوا: أفرَخَ القوْم بيضتَهُم . أي أخرجوا فرختها، يريدون أظهَروا سرهم.

وقولهم : بَرِح الخَفاء وكُشِف الغِطاء .

إبداء السر

قالوا : أفضيْتُ إليك بشُقوري . أي أخبرتك بأمري، وأطلعتك على سري

وقولهم أخبرتُك بعُجَري وبُجَري . أي أطلعتك على معايبي، والعجر : العروق ١٠ المتعقدة، وأما البُجَر فهي في البطن خاصة .

وتقول العامة : لو كان في جسَدي بَرَص ماكتمتُه .

الحديث يتذكر به غيره

قالوا : الحديث ذو شُجون : وهذا المثل لضبَّة بن أدّ وكان له ابنان : سعد وسُعيد، فخرجا في طلب إبل لهما، فرجع سعد ولم يرجع سعيد، فكان ضبة كلما ١٥ رأى رجلا مقبلا قال : أسعدٌ أم سعيد، فذهبت مثلا . ثم إن ضبة بينما هو يسير يوما ومعه الحارث بن كعب في الشهر الحرام إذ أتى على مكان، فقال له الحارث : أترى هذا الموضع ! فإني لقيت فتى هيئته كذا وكذا، فقتلتُه وأخذت منه هذا السيف . فإذا بصفة سعيد، فقال له ضبة : أرني السيف أنظر إليه . فناوله إياه فعرفه فقال له : إن الحديث ذو شجون . ثم ضربه به حتى قتله . فلامه الناس في ذلك، ٢٠ وقالوا : أقتلت في الشهر الحرام ؟ قال : سَبَق السيْف العذَل . فذهبت مثلا .

ومنه : ذكَّرتني الطَّعْن وكنت ناسيا . وأصل هذا أن رجلا حمل ليقتل رجلا،

وكان بيد المحمول عليه رمح ، فأنساه الدهش والجزع ما في يده ، فقال له الحامل : ألق الرمح . قال الآخر : فإن رمحي لَمعِي ، ذكَّرتَني الطعن وكنتُ ناسيا . ثم كرّ على صاحبه فهزمه أو قتله . ويقال : إن الحامل : صَخر بن مُعاوية السلمى أخو الخنساء والمحمول عليه : يزيد بن الصَّعق .

العذر يكون للرجل ولا يمكن أن يبديه

منه قولهم : رُبَّ سامع خبَرى لم يسمع عذرى . ورُبَّ ملومٍ لاذنب له . ولعلَّ له عُذْراً وأنت تلومُ .

وقولهم : المرء أعلم بشأنِه .

الاعتذار في غير موضعه

منه قولهم : ترْك الذنبِ أيسر من التِماس العذر ، وترْك الذنب أيسر من طلب التوْبة .

التعريض بالكناية

ومنه قولهم : أعَنْ صبُوح ترقق .

ومنه قولهم : إياك أعْني واسْمَعِي يا جارة .

المنُّ بالمعروف

قالوا : شَوَا أخوك حتى إذا أنضج رَمَّد .

وقولهم : فضل القوْل على الفعل دناءةٌ ، وفضل الفعل على القول مَكْرُمَة .

الحمد قبل الاختبار

لا تحمَدَنّ أمَةً عام اشْترائها ولا حُرّةً عامَ بنائها .

وقولهم : لا تَهرِف قبل أن تعرف . يقول : لا تمدح قبل أن تختبر .

وقولهم : أوّل المعرفة الاختبار .

إنجاز الوعد

قالوا : أنجزَ حُرٌّ ما وعَدَ .

وقولهم : العِدَةُ عطِيَّةٌ .

وقولهم : منْ أخّرَ حاجةً فقد ضمِنَها .

وقالوا : وعْدُ الحُرِّ فِعلٌ ، ووعْدُ اللّئيمِ تسويف . ٥

وقالت العامة : الوعْدُ مِن العهدِ .

التحفظ من المقالة القبيحة وإن كانت باطلا

حَسْبُكَ من شَرٍ سماعُهُ . وما آعتِذارُكَ من شيء قِيلَ .

الدعاء بالخير

منه قولهم للقادم من سفره : خيرُ ماردٌّ فى أهلٍ ومالٍ؛ أى جعلك ١٠ الله كذلك .

وقولهم : بلغَ اللهُ بك أكْلأَ العُمرِ . أى أقصاه .

وقولهم : نَعِمَ عوْفك . أى نعِم بالك .

وقولهم فى النكاح : على يَدْءِ الخيْرِ واليُمْنِ .

وقولهم : بالرِّفاءِ والبنينَ . يريد بالرفاء : الكثرة ، يقال منه : رفأته ، إذا ١٥ دعوت له بالكثرة .

وقولهم : هُنِّئْت ولا تُنْكَهْ . أى أصابك خير ولا أصابك ضر .

وقولهم : هَوتْ أمُّهُ ، وهبلَتْهُ أُمُّهُ . يدعون عليه وهم يريدون الحمد له .

ونحوه قاتله الله ، وأخزاه الله ؛ إذا أحسن . ومنه قول امرئ القيس :

* مالهُ لا عُدَّ من نفَره * ٢٠

تعيير الإنسان صاحبه بعيبه

قالوا : رمَتْنى بدائِها وانسلَّتْ .

وقولهم : عيّر بُجَيْرٌ بُجَرَهُ ، نسِيَ بُجَيْرٌ خَبَرَه .

وقولهم : مُحْتَرِسٌ من مثْلِهِ وهو حارِسٌ .

وقولهم : تُبصِرُ القذَى فى عيْنِ أخيك ولا تُبْصِرُ الجذعَ فى عيْنِك .

الدعاء على الإنسان

٥ منه قولهم : فاهَا لِفِيكَ . يريد : الأرض لفيك .

وقولهم : بِفِيكَ الحجَرُ ، وبفيك الأثْلبُ .

وقولهم : لِليدَيْنِ ولِلفمِ .

ولما أُتى على بن أبى طالب رضى الله عنه بسكران فى رمضان ، وقال له : لليدين وللفم[1] ؛ أولْدانُنا صِيامٌ وأنت مُفْطِر . وضربه مائة سوط .

١٠ ومنه قولهم : لِجَنْبِهِ فليَكُنِ الوجْهُ . يريد الصرعة .

ومنه قولهم : مِنْ كِلاَ جانبيْك لا لَبَّيْك ، أى لا كانت لك تلبية ولا سلامة من كلا جانبيك . والتلبية : الإقامة بالمكان .

وقولهم : بِكَ لا بظَبْيٍ . وقال الفرزدق :

أقولُ لهُ لمَّا أتانِى نعِيـــهُ ٭ به لا بظَبْيٍ بالصَّريمة أعْفَرا

١٥ ومنه قولهم : جدَعَ اللهُ مسامِعَهُ .

وقولهم : عقْرًا حلْقاً ، يريد عقره الله وحلقه .

ومنه قولهم : لا لعًا لهُ : أى لا أقامه الله .

قال الأخطل :

٭ ولا لعاً لِبَنِي ذكْوانَ إذ عثرُوا ٭

٢٠ ولحبيب :

صفْراءُ صُفْرةَ صِحَّةٍ قد ركَّبت ٭ جُثمانَهُ فى ثوْبِ سُقمٍ أصفرِ

قتلَتْهُ سِرًّا ثمَّ قالت جهْرَةً ٭ قوْلَ الفرَزْدَقِ لابظَبْيٍ أعفَر

---

(١) فى بعض الأصول : « للمنخرين » .

رمى الرجل غيره بالمعضلات

منه قولهم : رماهُ بأقحافِ رأسِهِ ، ورماهُ بثالثةِ الأثافى ، يريد قطعة من الجبل يجعل إلى جنبها أثفيَّتان وتكون هى الثالثة .

ومنه : بالعضيهة والأفيكة ، إذا رماه بالبهتان .

وقولهم : كأنما أفرغَ عليْهِ ذَنُوباً ، إذا كلمه كلمة يُسكته بها . ٥

المكر والخلابة

منه قولهم : فتلَ فى ذِرْوتِهِ ، أى خادَعه حتى أزاله عن رأيه .

قال أبو عُبيد : ويروى عن الزبير حين سأل عائشة الخروج إلى البصرة فأبت عليه : فما زال يفتل فى الذِّروة والغارب حتى أجابته .

وقولهم : ضربَ أخماساً لأسداس ، يريدون المناكرة . ١٠

وقال آخر :

إذا أراد امرُؤٌ مكراً جنَى عِللًا ، وظلَّ يضرِبُ أخماساً لأسداسِ

ومنه قولهم : الذئبُ يأدُو للغزالِ ، أى يختِلُه ليوقعه .

اللهو والباطل

منه قولهم : جاء فلانٌ بالتُّرَّهِ . وجرى فلان السُّمَّه ، وهما من أسماء الباطل . ١٥

وقال صلى الله عليه وسلم : ما أنا من دَدٍ ولا ددُ منِّى ، وفيه ثلاث لغات : ددٌ ، وددَا : مثل قفَا . وددَن : مثل حزن .

خُلف الوعد

منه قولهم : ما وعْدُهُ إلا برقٌ خُلَّبٌ ، وهو الذى لا مطر معه .

ومنه ما وعْدُهُ إلا وعدُ عُرْقوب . وهو رجل من العماليق أتاه أخوه يسأله ٢٠ فقال : إذا أطلعتْ هذه النخلة فلك طلْعُها ، فأتاه للعدة ، فقال : دعها حتى تصير

بلحا . فلما أبلحت قال : دعها حتى تصير رطبا . فلما أرطبت قال : دعها حتى تصير تمرا . فلما أتمرت عمد إليها عرقوب فجزها ولم يعط أخاه شيئاً ، فصارت مثلا سائراً فى الخلف .

قال الأعشى :

٥ وعدتَ وكان الخُلْفُ منك سَجِيَّةً ۞ مواعيدَ عُرْقوبٍ أخاهُ بيثْربِ

اليمين الغموس

منه قولهم : جذَّها جذَّ العــيْر الصِّلِّيانةَ . وذلك أن العير ربما اقتلع الصِّليانة إذا ارتعاها .

ومنه الحديث المرفوع : اليمينُ الغمُوس تدعُ الدِّيار بلاقِعَ . قال أبو عبيد :

١٠ اليمين الغموس هى المصبورة التى يوقف عليها الرجل فيحلف بها ؛ وسُميت غموساً لغمسها حالفها فى المـأثم .

ومنه قولهم : اليمينُ حِنثٌ أو مَنْدَمَةٌ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : من كان حالِفاً فليَحلِفْ باللهِ .

أمثال الرجال واختلاف نعوتهم

١٥ ### فى الرجل المبرَّز فى الفضل

قولهم : ما يُشَقُّ غُبارُه ، وأصله السابق من الخَيل .

وقولهم : جرْى المُذكى حسَرَتْ عنه الحُمُر ، أى كما يسبق الفرس القارحُ الحمر .

وقولهم : جرْىُ المُذَكِّياتِ غلاءٌ أو غِلابٌ .

وقولهم : ليست لهُ هِمَّةٌ دون الغايَة القُصوَى .

٢٠ ### الرجل النبيه الذكر

قولهم : ما يُحجَرُ فلان فى العِكْمِ . العكم : الجوالق ، يريد أنه لا يخفى مكانه .

وقولهم : ما يومُ حليمَةَ بسِرٍّ وكانت فيه وقعة مشهورة قتل فيها المنذر بن

ماء السماء ، فضربت مثلا لكل أمر مشهور .

وقولهم : أشهر من أبْلَق .

وقولهم : وهل يَخفى على الناس النهار .

ومثله : وهل يَخفى على الناظر الصبح .

وقولهم : وهل يَجهل فلاناً إلا من يَجهل القمر . ٥

الرجل العزيز يعز به الدليل

منه قولهم : إنَّ البُغاث بأرضنا تَسْتَنْسِرُ . البغاث : صغار الطير ، تستنسر : تصير نسورا .

وقولهم : لا حُرَّ بِوادي عوْف . يريدون عوف بن مُحلِّم الشيباني ، وكان منيعا .

وقولهم : تَمرَّد مارد وعزَّ الأبلق . مارد : حصن بدُومة الجندل ، والأبلق : حصن السموأل . ١٠

وقولهم : من عزَّ بَزَّ . ومن قلَّ ذلَّ . ومن أَمِرَ فَلَّ . أمِر : كثر .

الرجل الصعب

منه قولهم : فلان أَلْوَى بعيد المُسْتَمَرّ .

وقولهم : ما بَلِلتُ منه بأفوق ناصل . وأصله السهم المكسور الفوق الساقط النصل ، يقول : فهذا ليس كذلك . ١٥

وقولهم : ما يُقَعْقَع لي بالشنان .

وقولهم : ما يُصطلى بناره .

وقولهم : ما تُقرَن به الصَّعْبة .

النجد يلقى قِرنه ٢٠

منه قولهم :

* إن كنتَ ريحاً فقد لاقيتَ إعصاراً *

والحديد بالحديد يُفلح . والفلح : الشق . ولا يفُل الحديدَ إلا الحديد . والنَّبعُ يَقرَع بعضُه بعضا . ورُمِيَ فلان بحجره ، أي قرن بمثله .

الأريب الداهي

هو هِتْر أهْتار ، وصِلُّ أصلال . أصله من الحيات ، شبه الرجل بها .

٥ ومثله : حية ذكر ، وحية واد .

وقولهم : هو عُضْلة من العُضَل . وهو باقِعَة من البَواقع . وحُوَّلٌ قُلَّب . ومُؤْدَمٌ مُبْشَر . يقول : فيه لين الأدمة ، وخشونة البشرة

وفلان يعلم من حيث تُؤكل الكتِف .

التنبيه بلا منظر ولا سابقة

١٠ قال أبو عبيد : هو الذي تسميه العرب الخارجيّ ، يريدون : خَرَج من غير أولية كانت له . قال الشاعر :

ألا يا مروَ لستَ بخارجيّ ٭ وليس قديمُ مجدكَ بانتحالِ

وقولهم : تسمَع بالمُعَيْدِي خير من أن تراه . وهو تصغير رجل منسوب إلى معد .

وقالوا :

١٥ ٭ نفسُ عصامٍ سوَّدتْ عصاما ٭

الرجل العالم النحرير

قالوا : إنه لَنَقَّاب . وهو الفَطِن الذكيّ .

وقالوا : إنه لَعِضٌّ . وهو العالم النِّحرير .

وقولهم : أنا جُذَيْلُها المحَكَّك ، وعُذَيقُها المُرَجَّب .

٢٠ قال الأصمعي : الجذيل : تصغير الجِذْل ، وهو عود ينصب للإبل الجرباء . لتحتك به من الجرب ، فأراد أن يُشفى برأيه . والعُذيق : تصغير عَذق ، والعَذق - بالفتح - النخلة نفسها ، فإذا مالت النخلة الكريمة بنوا من جانبها المائل بناء

مرتفعا يدعمها لكيلا تسقط ، فذلك التّرجيب ، وصغرهما للمدح .

ومثله قولهم : إنه لجَذل حِكّاك .

ومنه قولهم : عَنِيَّته تَشفى الجرَب . والعنية : شيء تعالج به الإبل إذا جَربت .

وقولهم : «لِذى الحلم قبل اليوم ما تُقرع العصا»

وأول من قُرعت له العصا سعد بن مالك الكِنانى ، ثم قرعت لعامر بن الظرب العدوانى ، وكان حكم فى الجاهلية فكبر حتى أنكر عقله ، فقال لبنيه : إذا أنا زُغت فقوّمونى . وكان إذا زاغ قُرعت له العصا ، فينزع عن ذلك . ٥

ومنه قولهم : إنه لألمعىّ . وهو الذى يُصيب بالظنّ .

وقولهم : ما حَكَكْت قَرْحة إلا أدميْتها .

وقولهم : الأمور تَشابَهُ مُقْبِلة وتَظهَر مُدبِرةً . ولا يَعرفُها مُقبِلة إلا العالم النِّحرير ، فإذا أدبَرتْ عرَفها الجاهل والعالم . ١٠

الرجل المجرب

منه قولهم : إنه لَشراب بأنْقُع . أى مُعاود للخير والشر .

وقولهم : إنه لخَرّاج ولّاج .

وقولهم : حَلَبَ الدّهر أشطُرَه . وشرِب أفاويقَه . أى اختبر من الدهر خيره وشره . فالشطر . هو شطر الحلبة . والفيقة : ما بين الحلبتين . ١٥

وقولهم : رجل مُنجَّذ . وهو المجرب ، وأصله من النواجذ ، يقال : قد عضّ على ناجذه ، إذا استحكم .

وقولهم : أوّل الغَزو أخرَق .

وقولهم : لا تَعْدو إلا بغلام وقد غَدا . ٢٠

وقولهم : زاحِم بعود أو دَع .

وقولهم : العوَان لا تعلَّم الخِمرة .

وقالت العامة : الشارب لا يُصفَّر له .

الذب عن الحرم

قالوا : الفحل يَحمى شوْله . والخيل تَجرى على مساويها . يقول : إن الخيل وإن كانت لها عيوب فإن كرمها يحملها على الجرى .

٥ وقولهم : النساء لحم على وضم إلا ما ذُبَّ عنه .

وقولهم : النساء حبائل الشيطان .

وقولهم : كلُّ ذات صِدار خالة . يريد أنه يحميها كما يحمى خالته .

الصلة والقطيعة

منه قولهم : لا خيرَ لك فيمن لا يرى لك ما يَرى لنفسه .

١٠ وقولهم : إنما يُضَنّ بالضَّنين .

وقولهم : خلِّ سبيل مَن وَهَى سِقاؤُه .

وقولهم : أَلْقِ حبله على غاربه .

وقولهم : لو كرهتْنى يدى قطعتها .

الرجل يأخذ حقه قسرا

١٥ منه قولهم : يَركب الصَّعْب مَن لا ذَلُول له .

وقولهم : مُجاهرةً إذا لم أجد مَخْتلا . يقول : آخذ حقى قسراً علانية إذا لم أصل إليه بالستر والعافية .

وقولهم : حَلَبْتها بالسّاعِد الأشدّ . يقول : أخذتها بالقوة والشدة إذا لم أقدر عليها بالرفق .

٢٠ وقولهم : التجلُّد خير من التبلُّد ، والمَنيَّة خيرٌ من الدَّنيَّة ، ومَن عزَّ بَزَّ .

الإطراق حتى تصاب الفرصة

منه قولهم : مُخْرَنْبِق لِيَنْباع . مخرنبق : مطرق . لينباع : لينبعث . يقول :

سكت حتى يصيب فرصته فيثب عليها .

وقولهم : تَحسبُها حمقاء وهى باخِس .

وقولهم : خَبْرُه فى صدرِه .

وقولهم : أحمقُ بِلْغ . يقول : مع حمقه يدرك حاجته .

الرجل الجلد المصحح

أطِرِّى فإنكِ ناعِلة . أصله أن رجلا قال لراعية له كانت ترعى فى السهولة وتترك الحزونة ، فقال لها : أطرِّى . أى : خذى طرر الوادى . وهى نواحيه . فإنك ناعلة . يريد : فإن عليك نعلين .

وقولهم : به داء ظبى . معناه أنه ليس بالظبى داء .

وقالوا : الشجاعُ مُوَقًّى .

الذل بعد العز

منه قولهم : كان جملًا فاستَنوَق . أى صار ناقة

وقولهم : كان حِماراً فاستأْتَنْ . أى صار أتانا .

وقولهم : الحوْر بعد الكوْر .

وقولهم : ذُلٌّ لو أجِدُ ناصِراً . أصله أن الحارث بن أبى شمر الغسانى ، سأل أنس بن أبى الحُجير عن بعض الأمر ، فأخبره ؛ فلطمه الحارث ، فقال أنس : ذل لو أجد ناصرا . فلطمه ثانية ، فقال : لو نَهيْتُ الأولى لم تَلطِمِ الثانية . فذهبتا مثلين .

الانتقال من ذل إلى عز

منه قولهم : كنتُ كُرَاعاً فصِرْتُ ذِراعا .

وقولهم : كنت عَنزاً فاستتيَسْت .

وقولهم : كنت بُغاثاً فاستنْسَرْت . أى صرت نسرا .

تأديب الكبير

قالوا : ما أشدَّ فِطامَ الكبير .

وقولهم : عودٌ يُقلَّح . أى جمل مُسنّ تُنقى أسنانه .

وقالوا : من العَناء رِياضةُ الهرِم .

قال الشاعر :

وتروضُ عِرسَكَ بعدَ ماهَرِمتْ * ومن العَناء رياضةُ الهرِمِ

وقولهم : أعْيَيْتِنِى بأشُرٍ ، فكيف بِدُرْدُرٍ . يقول أعييتنى وأنت شابة ، فكيف إذا بدت درادرك ، وهى مغارز الأسنان .

الذليل المستضعف

منه قولهم : فلانٌ لا يَعوِى ، ولا ينبَحُ من ضَعْفِه . يقول : لا يتكلم بخير ولا شر .

وقولهم : أهونُ مظلومٍ سِقاءٌ مُروَّبٌ . وهو السقاء الذى يُلفّ حتى يبلغ أوانَ المخض .

وقالوا : أهونُ مظلومٍ عجوز معقومة .

وقولهم : لقد ذَلَّ مَن بالَتْ عليه الثعالِب .

الذليل يستعين بأذل منه

قالوا : عبدٌ صريخُه أمةٌ .

وقولهم : مُثقَلٌ آستعانَ بذَقَنِه . وأصله : البعير يحمل عليه الحمل الثقيل فلا يقدر على النهوض به ، فيعتمد على الأرض بذقنه .

وقولهم : العبدُ من لا عبدَ له .

الأحمق المائق

قالوا : عدوُّ الرجلِ حُمْقُه ، وصديقُه عقلُه .

وقولهم : خَرْقاءُ عَيَّابة . وهو الأحمق الذى يعيب الناس .

وقالوا فى الرجل إذا اشتد حمقه جدا : ثأطةٌ مُدَّت بماء . الثأطة الحمأة ، فإذا أصابها الماء ازدادت فساداً ورطوبة .

الذى تعرض له الكرامة فيختار الهوان

منه قولهم : تَجَنَّبَ روضةً وأحالَ يعدُو . يقول : ترك الخصب واختار الشقاء . ٥

وقولهم : لا يخلو مَسْكُ السوءِ مِن عَرْفِ السوء . يقول : لا يكن جلد رذل إلا والريح المُنتنة موجودة فيه .

ومنه قول العامة : قيل للشقىّ هلُمَّ إلى السعادة . قال : حسْبى ما أنا فيه .

ومنه قول العامة :

* إنّ الشقىَّ بكلِّ حبْلٍ يختنِقْ * ١٠

وقولهم : لا يَعدَمُ الشقىُّ مُهَيْرا . أى لا يعدم الشقى رياضة مهر .

الرجل تريد إصلاحه وقد أعياك أبوه قبله

منه قولهم : لا تَقْتَنِ مِن كلب سُوءٍ جِرْوا .

وقال الشاعر :

ترجو الوليدَ وقد أعياكَ والِدُه * وما رجاؤكَ بعدَ الوالِدِ الولَدا ١٥

الواهن العزم الضعيف الرأى

منه قولهم : مالَهُ أُكُلٌ ولا صَيُّورٌ . أى ليس له رأى ولا قوة .

قال الأصمعى : طلب أعرابى ثوباً من تاجر ، فقال : أعطنى ثوباً له أُكل . يعنى قوة وحصافة .

ومنه قولهم : هو إِمَّعةٌ . وهو إِمَّرَة . قال أبو عبيد : هو الرجل الذى ٢٠ لا رأى له ولا عزم ، فهو يتابع كل أحد على رأيه ، ولا يثبت على شىء ، وكذلك الإِمَّرة ، الذى يتابع كل أحد على أمره .

ومنه قولهم : بنت الجَبَل . ومعناه الصدى يجيبك من الجبل ، أى هو مع كل متكلم يجيبه بمثل كلامه .

الذى يكون ضارا ولا نفع عنده

منه قولهم : المِعْزى تُبْهى ولا تُبْنِى . قال أبو عُبيد : معناه أن المعزى لا تكون منها الأبنية ، وهى بيوت الأعراب ، وإنما تكون من وبر الإبل ، وصوف الضأن ، ولا تكون من الشعر ، وربما صعَدت المعزى إلى الخباء فخرقته ، فذلك قولهم تُبْهى ، يقال : أبهيت البيت ، إذا خرقته ، فإذا انخرق قيل بيت باهٍ .

الرجل يكون ذا منظر ولا خير فيه

ومنه قولهم : تَرى الفِتيان كالنخل ، وما يُدريك ما الدَّخل .

وقال الحجاج لعبد الرحمن بن الأشعث : إنك لَمَنْظرانِىٌّ . قال : نعم ومَخْبَرانِىٌّ .

أمثال الجماعات وحالاتهم من اجتماع الناس وافتراقهم

قال الأصمعى : ويقال : لن يزالَ الناس بخيرٍ ماتباينوا ، فإذا تساووْا هَلَكوا قال أبو عبيد : معناه أن الغالب على الناس الشر ، والخير فى القليل من الناس ، فإذا كان التساوى فإنما هو من الشر .

ومن أشد العجائب قول القائل : سَواسِيَةٌ كأسنان الحمار .

ومنه قولهم : الناسُ سواءٌ كأسنانِ المُشْطِ .

وقولهم : الناس أَشباهٌ وشتى فى الشيَم .

وقولهم : الناس أَخيافٌ . أى مفترقون فى أخلاقهم ، وكُلُّهم يجمعه بيت الأَدَم . والأخيف من الخيل : الذى إحدى عينيه زرقاء ، والأخرى كحلاء .

ومنه قولهم : بيْتُ الإسكافِ فيه من كلِّ جلدٍ رُقعةٌ .

المتساويان فى الخير والشر

هما كفَرَسَىْ رِهانٍ . وكَرُكْبَتَىْ بعير . وهما زَنْدانِ فى وعاء . وهذا فى الخير .

وأما فى الشر ؛ فيقال : هما كحمارَى العِبادىّ . حين قال له : أىُّ حماريك شر ؟ قال : هذا ثم هذا .

الفاضلان وأحدهما أفضل

منه قولهم : مَرْعًى ولا كالسَّعْدان .

وقولهم : ماءٌ ولا كصَدّاء . وصدّاء : ركية ذات ماء عذب .

وقولهم : فتًى ولا كمالِكٍ .

وقولهم : فى كلِّ الشجر نارٌ واَستَمجد المَرْخَ والعَفار . وهما أكثر الشجر نارا .

الرجل يرى لنفسه فضلا على غيره

منه قولهم : كلُّ مُجْرٍ بالخلاءِ يُسَرّ . وأصله : الذى يُجرى فَرَسَه فى المكان الخالى فهو يُسَر بما يرى منه .

المكافأة

منه قولهم : سَنَةٌ بتلْكَ .

وقولهم : أضِئْ لى ، أقْدحْ لك . أى كن لى أكن لك .

وقولهم : اَسقِ رَقَاشِ سَقَّاية . يقول : أحسنوا لها إنها مُحسنة .

الأمثال فى القربى

التعاطف بين ذوى الأرحام

قال الكلبى : منه قولهم : يا بعْضِى دع بعضا . وأصل هذا أن زُرارة بن عُدس زوّج اَبنته من سويد بن ربيعة ، فكان له منها تسعة بنين . وأن سُويدا قتل أخا صغيراً لعمرو بن هند الملك وهَرب ولم يقدر عليه ابن هند ؛ فأرسل إلى زُرارة أن ائتنى بولده من اَبنتك ؛ فجاء بهم ، فأمر عمرو بقتلهم ، فتعلقوا بجدهم زُرارة ؛ فقال : يا بعضى دع بعضا . فذهبت مثلا .

ومن أمثالهم فى التحنن على الأقارب

قولهم : لكن على بَلْدَحَ قومٌ عجفى .

وقولهم : لكنْ بالأثلاث لحمٌ لا يُظلَّل .

وأصل هذا أن بيهسا الذى يُلقب بنعامة كان بين أهل بيته وبين قوم حرب ، فقتلوا سبعة إخوة لبيهس وأسروا بيهسا ، فلم يقتلوه لصغره وارتحلوا به ، فنزلوا منزلا فى سفرهم ونحروا جزورا فى يوم شديد الحر ، فقال بعضهم : ظللوا لحم جزوركم لئلا يفسد . فقال بيهس : لكن بالأثلاث لحم لا يظلل . يعنى لحم إخوته القتلى . ثم ذكروا كثرة ما غنموا ، فقال بيهس : لكن على بلدح قوم عجفى . ثم إنه أفلت ، أو خلوا سبيله ، فرجع إلى أمه ، فقالت : أنجوت من بينهم ؟ وكانت لاتحبه ؛ فقال لها : لو خُيِّرْت لاخترْتُ فلما لم يكن لها ولد غيره رقت له وتعطفت عليه . فقال بيهس : الثُّكْلُ أرْأمَها .

فذهبت كلماته هذه الأربع كلها أمثالا .

ومنه قولهم : لا يَعدَمُ الحُوار من أُمّه حَنَّةً .

وقولهم : لا يَضُرُّ الحُوارَ ما وطِئَتْهُ أُمُّهُ .

وقولهم : بأبِى أوْجَهَ اليتامى .

حماية القريب وإن كان مبغضا

من ذلك قولهم : آكل لحمى ولا أدَعُه يُؤكل .

ومنه : لا تَعْدَمُ منَ ابن عمِّك نصراً .

وقولهم : الحفائظُ تُحَلِّل الأحقادَ .

وقولهم فى ابن العم : عدُوُّك وعدُوُّ عدُوِّك .

وقولهم : كفُّك منك وإن كانت شَلاءَ .

وقولهم : انصُرْ أخاك ظالمًا أو مظلوماً .

إعجاب الرجل بأهله

منه قولهم : كلُّ فتاةٍ بأبيها مُعْجَبةٌ .

وقولهم : القَرْنَبَى فى عين أمها حَسَنَةٌ .

وقولهم : زُيِّن فى عين والدٍ ولَدُه .

وقولهم : حَسنٌ فى كلِّ عين منْ تَوَدُّ .

وقولهم : من يَمدح العرُوس إلّا أهلها .

تشبيه الرجل بأبيه

منه قولهم : من أشْبَه أباه فما ظلم .

وقولهم : العُصَيَّةُ منَ العصا .

وقولهم : ما أشبه حَجَل الجبالِ بألوانِ صخرِها .

وقولهم : ما أشبه الحوَل بالقبَل . وما أشبه الليْلة بالبارحة .

وقولهم : شِنشِنة أعرفها مِن أخزَم . يقال هذا فى الولد إذا كانت فيه طبيعة من أبيه .

قال زُهير :

وهل يُنبِت الخطِّىَّ إلّا وشيجُهُ ❊ وتُغرَس إلّا فى مَنابِتِها النخلُ

ومنه قول العامة : لا تلد الذئبةُ إلّا ذئبا .

وقولهم : حَذْو النعل بالنعل . وحذوُ القُذَة بالقُذَة ، والقذة : الريشة من ريش السهم تُحذى على صاحبتها .

تحاســد الأقارب

من ذلك قولهم : الأقاربُ هم العقاربُ .

وقال عمر : تزاوَروا ولا تجاوروا .

وقال أكثم : تباعدوا فى الدِّيار تقاربوا فى المحبّة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى هريرة : زُرْ غِبًّا تزدَدْ حُبًّا .

ومنه قولهم : فرِّقْ بينَ مَعَدٍّ تَحابّ . يريد أن ذوى القربى إذا تدانوا تحاسدوا وتباغضوا .

قولهم فى الأولاد

٥ قالوا : مَن سرّهُ بنوهُ ساءتْهُ نفسُهُ . أى من يرى فيهم ما يسره يرى فى نفسه ما يسوءه .

وقولهم :

إنَّ بَنِيَّ صِبْيَةٌ صَيْفِيُّونْ ۞ أفلحَ مَن كانَ له رِبْعِيُّونْ

الولد الصيفى : الذى يولد للرجل وقد أسن . والربعى : الذى يولد له فى
١٠ عنفوان شبابه ؛ أخذ من ولد البقرة الربعى والصيفى .

ويقال للمرأة إذا تبنّت غير ولدها : ابْنُكِ مَنْ دَمّى عقبيْكِ .

الرجل يؤتى من حيث أمن

قالوا : من مأمَنِه يُؤتَى الحذِر .

وقال عدى بن زيد العِبادى :

١٥ لو بغَيْرِ الماءِ حلْقِى شرِق ۞ كنتُ كالغَصّانِ بالماءِ اعتِصارى

قال الأصمعى : هذا من أشرف أمثال العرب . يقول : إن كل من شرق بالماء لا مستغاث له .

وقال الآخر :

كنتُ من كُرْبَتى أفِرُّ إليهم ۞ فهُمُ كُرْبَتى فأين الفرارُ

٢٠ ومثله قول عباس بن الأحنف :

قلبى إلى ما ضرّنى داعِ ۞ يُهيِّجُ أحزانى وأوجاعِى

كيفَ احتِراسِى من عدُوِّى إذا ۞ كان عدُوِّى بين أضلاعِى

وقال آخر :

من غصَّ داوَى بشرب الماء غُصَّته ٭ فكيف يصنع من قد غص بالماء

الأمثال فى مكارم الأخلاق

الحلم

قال أبو عُبيد : من أمثالهم فى الحلم : إذا نَزا بك الشَّرُّ فاقْعُدْ . أى فاحلم ولا تسارع إليه . ٥

ومنه قول الآخر : الحليمُ مَطِيَّةُ الجهولِ .

وقولهم : لا ينتَصِفُ حليمٌ من جاهِلٍ .

وقولهم : أَخِّرِ الشَّرَّ فإنْ شئْتَ تعجَّلْتَهُ .

وقولهم فى الحليم : إنه لواقِع الطَّيْرِ ، ولساكن الرِّيحِ . ١٠

وقولهم فى الحلماء : كأنما على رءوسِهِمُ الطَّيْرُ .

ومنه قولهم : رُبما أسمعُ فأذَرُ .

وقولهم : حِلْمِى أصمُّ وأُذُنِى غيرُ صَمَّاء .

العفو عند المقدرة

منه قولهم : ملَكتَ فأسْجِحْ . وقد قالته عائشة رضوان الله عليها لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه يوم الجمل حين ظهر على الناس فدنا من هودجها وكلمها فأجابته ملكت فأسجح . أى ظفرت فأحسن . فجهزها بأحسن الجهاز . وبعث معها أربعين امرأة ، وقال بعضهم : سبعين — حتى قدمت المدينة . ١٥

ومنه قولهم : إن المَقْدِرةَ تذْهِبُ الحفِيظةَ .

وقولهم : إذا ارْجَحنَ شاصِياً فارفَعْ يدًا . يقول : إذا رأيته قد خضع واستكان فاكفف عنه . والشاصى : الرافع رجله . ٢٠

المساعدة وترك الخلاف

من ذلك قولهم إذا عز أخوكَ فهُنْ .

وقولهم : لولا الوِئامُ هَلَكَ اللِّئامُ . الوئام : المباهاة . يقول : لولا المباهاة لم يفعل الناس خيراً .

مداراة الناس

قالوا : إذا لم تغلِبْ فاخلِبْ . يقول : إذا لم تغلب فاخدع ودار والطف .

وقولهم : إلَّا حظِيَّةَ فلا أَلِيَّةَ . معناه : إن لم يكن حظوة فلا تقصير . وألا يألو ، ويأتلى : أى يقصّر . ومنه قول الله عز وجل : ﴿ ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة ﴾ .

وقولهم : سُوءُ الاسْتِمْساكِ خيْرٌ من حُسْنِ الصَّرعةِ .

ومنه قول أبى الدرداء : إنَّا لنَبَشُّ فى وجوهِ قومٍ وإنَّ قلوبَنا لتلعنُهُمْ .

ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : شِرارُ النَّاسِ من داراه الناسُ لشَرِّه .

ومنه قول شبيب بن شيبَة فى خالد بن صفوان : ليسَ لهُ صديقٌ فى السِّرِّ ولا عدُوٌّ فى العلانيَةِ . يريد أن الناس يدارونه لشرّه ، وقلوب الناس تبغضه .

مفاكهة الرجل أهله

منه قولهم : كلُّ امْرِئٍ فى بيتِه صبى . يريد حسن الخلق والمفاكهة .

ومنه قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : إنّا إذا خلَوْنا قُلنا[1] .

ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم : خِيارُكم خيْرُكمْ لأهلِهِ .

ومنه قول معاوية : إنهُنَّ يغلِبْن الكِرام ويغلِبُهُنَّ اللِّئامُ .

---

(١) فى بعض النسخ : « قللنا » من القلة .

اكتساب الحمد واجتناب الذم

قالوا : الحمدُ مغنَمٌ والذمُّ مغرَم .

وقولهم : إن قليلَ الذمّ غيرُ قليلٍ .

وقولهم : إنّ خيراً مِن الخيرِ فاعِلهُ ، وإنّ شرًا من الشرّ فاعِلُه .

وقولهم :

الخيرُ يبقَى وإن طالَ الزّمانُ بِهِ ۞ والشرُّ أخبثُ ما أوعيْتَ مِن زادِ

الصبر على المصائب

من ذلك قولهم :

۞ هوّنْ عليك ولا تُولَعْ بإشفاقِ ۞

وقولهم : مَن أراد طولَ البقاءِ فليُوَطِّنْ نفسهُ على المصائب .

وقولهم : المصيبةُ للصّابِرِ واحِدَةٌ وللجازِعِ اثنتانِ .

وقال أكثم بن صيفي : حِيلةُ من لا حيلةَ له الصّبْرُ .

وذكروا عن بعض الحكماء أنه أُصيب بابنٍ له ، فبكى حولا ثم سلا ، فقيل له: مالك لا تبكي ؟ قال : كان جُرْحاً فبَرِئَ .

قال أبو خراش الهذلي :

بلَى إنها تعفُو الكُلُومُ وإنّما ۞ نُوَكَّلُ بالأدنَى وإن جَلَّ ما يمضي

ومنه قولهم : لا تَلَهَّفْ على ما فات .

الحض على الكرم

منه قولهم : اصطِناعُ المعروفِ يقِي مصارعَ السوء .

وقولهم : الجودُ محبّةٌ والبُخْلُ مبْغَضةٌ .

وقول الحطيئة :

مَن يفعلِ الخيرَ لا يعْدَمْ جوازيَهُ ۞ لا يذهَبُ العُرْفُ بين اللهِ والناسِ

الكريم لا يجد

منه قولهم : بيتى يَبخل لا أنا .

وقولهم : بالساعِد تَبطش الكفُّ .

وقولهم :

٥ ما كلَّف اللهُ نفساً فوق طاقتِها ٭ ولا تَجود يدٌ إلا بما تَجِد

وقال آخر :

يَرى المرء أحياناً إذا قلَّ مالُه ٭ من الخير تاراتٍ ولا يستطيعُها

متى ما يَرُمْها قَصَّر[1] الفقر كفَّه ٭ فيضعُف عنها والغنىُّ يُضيعها

القناعة والدعة

١٠ منه قولهم :

٭ وحسبُك من غنًى شِبَعٌ ورىٌ ٭

وقولهم : يَكفيك ما بلَّغك المَحَلَّ .

وقال الشاعر :

من شاء أن يُكثِر أو يُقِلَّا ٭ يكفيه ما بلَّغه المحَلَّا

١٥ ## الصبر على المكاره تحمده العواقب

قالوا : عواقب المكاره محمودة .

وقالوا : عند الصباح يَحمَد القوم السُّرى .

وقولهم : لا تُدرَك الراحة إلا بالتعب .

أخذه حبيب فقال :

٢٠ على أننى لم أحوِ مالاً مُجَمَّعاً ٭ فَفُزْت به إلا بشمل مُبدَّدِ

ولم تُعطِني الأيام نوما مُسكِّناً ٭ ألَذُّ به إلا بنومٍ مُشرَّد

(١) فى بعض الأصول « يثنم » .

وأحسن منه قوله أيضا :

بَصُرْتَ بالراحة العليا فلم تَرَها ، تنال إلا على جسر من التعب

الانتفاع بالمال

قالوا : خير مالِك ما نفعك ، ولم يضع من مالك ما وعظك .

ونظر ابن عباس إلى درهم بيد رجل ، فقال : إنه ليس لك حتى يخرج من يدك .

وقولهم : تقتير المرء على نفسه توفير منه على غيره .

قال الشاعر :

أنت للمال إذا أمسكته ، فإذا أنفقته فالمال لكْ

المتصافيان

منه قولهم : هما كندمانَيْ جذيمة .

قال الكلبي : هو جذيمة الأبرش الملك ، ونديماه رجلان من بلقين يقال لهما : مالك ، وعقيل . بلقين : يريد من بني القين .

وقولهم :

وكلُّ أخٍ مُفارقه أخوه ، لَعَمر أبيك إلا الفرْقدانِ

ومنه قولهم : هما أطول صحبة من ابنَيْ شمَامٍ . وهما جبلان .

خاصة الرجل

منه قولهم : عيبة الرجل . يريدون خاصته وموضع سره .

ومنه الحديث في خزاعة : كانوا عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم . مؤمنُهم وكافرُهم .

من يكسب له غيره

منه قولهم : ليس عليك غزله فاسحب وجُر

وقولهم : رُبَّ ساعٍ لقاعد .

وقولهم : خير المال عين ساهرة لعين نائمة .

المروءة مع الحاجة

منه قولهم : تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها .

٥ وقولهم : شرُّ الفقر الخضوع ، وخير الغنى القناعة .

ومنه الحديث المرفوع : أجمِلوا فى الطَّلَب .

قال الشاعر :

فإذا افتقرت فلا تكنْ * مُتخشِّعاً وتجمَّلِ

ومنه قول هُدبة العذرى :

١٠ ولستُ بمفراحٍ إذا الدهر سرَّنى * ولا جازعٍ من صرفه المُتقلِّبِ

ولا أتمنى الشر والشرُّ تاركى * ولكن متى أُحمَل على الشرِّ أركب

المال عند من لا يستحقه

منه قولهم : خَرقاء وجدتْ صوفا . عبدٌ ملَك عبداً فأولاه تبًّا .

وقولهم : مَن يَطُل ذيلُه يتمنْطَق به . ومرعًى ولا أكولة . وعُشْب ولا بعير .

١٥ يعنى مال ولا منفق .

الحض على الكسب

منه قولهم : اُطلب تظفر .

وقولهم : مَن عجز عن زاده اتَّكل على زاد غيره .

وقولهم : من العجز نُتجت الفاقة .

٢٠ وقولهم : لا يَفترس الليثُ الظبىَ وهو رابض .

وقول العامة : كلب طوّاف خير من أسد رابض .

وقولهم :

أوْردها سعد وسعد مُشتمل ٭ يا سعد لا تَروَى على ذاك الإبلْ[1]

الخبير بالأمر البصير به

منه قولهم : على الخبير سقطتَ .

وقولهم : كفى قوما بصاحبِهم خبيرا .

وقولهم : لكل أُناس فى جَمَلهم خُبْر .

وقولهم : على يَدىَّ دار الحديث .

وقولهم : تعلِّمُنى بضبّ أنا حرشْته . يقول : أتخبرنى بأمر أنا وليته .

وقولهم : ولِّ القوس باريها .

وقولهم : الخيل أعلم بفرسانها .

وقولهم : كل قوم أعلم بصناعتهم .

وقولهم : قتل أرضاً عالمها ، وقتلتْ أرض جاهلها .

الاستخبار عن علم الشىء وتيقنه

من ذلك قولهم : ماوراءك ياعصام . أول من تكلم به النابغة الذبيانى لعصام صاحب النعمان ، وكان النعمانُ مريضاً فكان إذا لقيه النابغة قال له : ما وراءك يا عصام ؟

وقولهم :

٭ سيأتيك بالأخبار مَن لم تُزوِّدِ ٭

وقولهم : إليك يُساق الحديث .

انتحال العلم بغير آلته

منه قولهم : لكالحادى وليس له بعير .

(١) فى بعض النسخ : ما هكذا تورد يا سعد الإبل .

وقال الحطيئة :

* لكالماشى وليس له حِذاءُ *

وقولهم : إنباضٌ بغير توتير . وكقابِضٍ على الماء .

أخذه الشاعر فقال :

٥ ومَن يأمَنِ الدنيا يكن مثلَ قابِضٍ * على الماءِ خانتهُ فروجُ الأصابعِ

وخَرْقاءُ ذاتُ نِيقةٍ . يضرب للرجل الجاهلِ بأمرٍ يدّعى معرفتَه .

من يوصى غيره وينسى نفسه

يا طبيبُ طِبَّ لنفسك .

ومنه : لا تعِظِينى وتَعَظْعَظى . أى : لا توصينى وأوصى نفسك .

١٠ الأخذ فى الأمور بالاحتياط

منه قولهم : أنْ تَرِدَ الماء بماءٍ أكْيَسُ .

وقول العامة : لا تُصبَّ ماءً حتى تجدَ ماءً .

وقولهم : عَشِّ ولا تَغْتَرّ . يقول : عش إبلك ، ولا تغتر بما تقدم عليه .

ويروى عن ابن عباس وابن عمر وابن الزبير أن رجلا أتاهم ، فقال :

١٥ كما لا ينفع مع الشرك عمل ، كذلك لا يضُر مع الإيمان تقصير . فكلهم قال :

عَشِّ ولا تغترّ .

وقولهم : ليس بأوّلِ مَن غَرّهُ السَّرابُ .

وقولهم : اشتَرِ لنفسك وللسُّوق .

ومنه الحديث المرفوع عن الرجل الذى قال : أُرْسِلُ ناقتى وأتوكلُ . قال :

٢٠ اعقِلْها وتوكّلْ .

الاستعداد للأمر قبل نزوله

منه قولهم : قبلَ الرمْىِ يُراشُ السهم .

وقولهم : قبلَ الرِّمايةِ تُملأُ الكَنائن .

وقولهم : خُذِ الأمرَ بقوابِلِه . أى : باستقباله قبلَ أن يُدْبِر .

وقولهم : شرُّ الرَّأْيِ الدبَرِيُّ .

وقولهم : المحاجزة قبلَ المُناجزة .

وقولهم : التقدمُ قبلَ التندُّم .

وقولهم : يا عاقِدُ اذكُرْ حَلًّا .

وقولهم : خيرُ الأمورِ أحمَدُها مَغَبَّةً .

وقولهم : ليس الدهرِ بصاحب . من لم ينظرْ فى العواقِب .

طلب العافية بمسالمة الناس

قولهم : مَن سَلَكَ الجَدَدَ أمن العِثار . واحذَرْ تَسْلَمْ .

ومنه قولهم : جُرَّ له الخطيرَ ما انجَرَّ لك . الخطير : زمام الناقة .

ومنه قولهم : لا تكن أَدْنَى العيْرَين إلى السهم . يقول : لا تكن أدنى أصحابك إلى موضع التلف ، وكن ناحية أو وسطا .

قال كعب : إنّ لكل قومٍ كلباً فلا تكن كلبَ أصحابِك .

وتقول العامة : لا تكن لسانَ قومٍ .

توسط الأمور

من ذلك قولهم : لا تكن حُلواً فتُستَرَط ، ولا مُرًّا فتُعْقِىَ . أى تلفظ . يقال : أعقى الشىء ، إذا اشتدّت مرارته . قال الشاعر :

ولا تك آبياً حُلْواً فتُحسَى ، ولا مُرًّا فتنشب فى الحلاق

وتقول العامة : لا تكن حُلواً فتؤكل ، ولا مُرًّا فتُلفَظ . وتوسُّط الأمورِ أدنَى إلى السلامةِ .

ومنه قول مطرِّف بن عبد الله بن الشخِّير : الحسنة بين السيئتين . وخير

الأمور أوساطها ، وشرُّ السير الحَقْحَقة . قوله : بين السيئتين ؛ يريد بين المجاوزة والتقصير .

ومنه قولهم : بين الُممِخّةِ والعجفاء ، يريد بين السمين والمهزول .

ومنه قول على بن أبى طالب رضى الله عنه : خيرُ الناسِ هذا النَّمَطُ الأوسط ، يَلحَقُ بهمُ التالى ويَرجِعُ إليهمْ الغالى . ٥

الإنابة بعد الإجرام

منه قولهم : أقْصَرَ لمَّا أبْصَر .

ومنه : أتْبِعْ السيئةَ الحسنةَ ، والتائبُ من الذنبِ كمن لا ذنبَ له ، والندَمُ توبة ، والاعترافُ يَهدِمُ الاقتراف .

مدافعة الرجل عن نفسه ١٠

جاحَس فلانٌ عن خيْطِ رقبتِه . وخيط الرقبة : النخاع ، يقول : دافع عن دمه ومُهجته .

وقالت العامة :

ه وأيَّةُ نفسٍ بعدَ نفسِك تَنفَع ه

١٥ ومنه : أدْفَعُ عن نفسى إذا لم يكن عنها دافِع .

قولهم فى الانفراد

الذئبُ خالِياً أسدَ ، يقول : إذا وجدك خالياً اجترأ عليك .

ومنه الحديث المأثور : الوحيد شيطان .

وفى الحديث الآخر : عليكم بالجماعة : فإن الذئبَ إنما يُصيبُ من الغنمِ الشاردة . ٢٠

من ابتلى بشىء مرة مخافة أخرى

منه الحديث المرفوع : لا يُلْسَعُ المؤمنُ من جُحْرٍ مرتين . يريد أنه إذا لسع مرة تحفظ أخرى .

وقولهم : مَن لدغتْهُ الحية يَفْرَق من الرَّسن .

وقولهم : ٭ مَن يشترى سيفى وهذا أثَرُهْ ٭ ٥

يضرب هذا المثل الذى قد اختُبِر وجُرِّب .

وقولهم : ٭ كُلُّ الحِذاء يحتذى الحافى الوَقِعْ ٭

الوقع : الذى يمشى فى الوَقَع ، وهى الحجارة . قال أعرابى :

يا ليْتَ لى نَعْلَيْنِ من جِلْدِ الضبُعْ ٭ كلُّ الحِذاءِ يحتذى الحافى الوَقِعْ

اتباع الهوى ١٠

قال ابن عباس : ماذكَرَ اللهُ الهوى فى شىء إلا ذمّه .

قال الشّعبى : قيل له هَوًى ؛ لأنه يُهوى به .

ومن أمثالهم فيه : حُبُّكَ الشىء يُعمِى ويُصِم .

وقالوا : الهوى إلٰهٌ معبود .

الحذر من العطب ١٥

قالوا : إنَّ السلامةَ منها تَرْكُ مافيها .

وقولهم : أعْوَر عيْنَك والحَجَر .

وقولهم : الليلَ وأهضامَ الوادى . وأصله أن يسير الرجلُ ليلا فى بطون الأودية . حذَّره ذلك .

وقولهم : دَعْ خيْرَها لشرِّها . ٢٠

وقولهم : لا تراهن على الصَّعْبة .

وقولهم : أعْذَرَ مَنْ أنْذر .

حسن التدبير والنهى عن الخرق

الرِّفق يُمْنٌ والخُرْق شُؤمٌ . ورُبَّ أكْلةٍ تحرم أكَلات .

وقولهم : قلبَ الأمر ظَهراً لبطنٍ .

وقولهم : ضرَب وجهَ الأمر وعيْنَه ، وأجر الأمور على أذلالها . أى على وجوهها .

وقولهم : وَجِّه الحَجَر وِجْهةً ما له .

وقولهم : ولِّ حارَّها مَن ولِىَ قارَّها .

المشورة

قالوا : أوّلُ الحزْم المشورةُ .

ومنه لا يَهلِك امرؤ عن مَشورةٍ .

قال ابن المسيّب : ما استَشرت فى أمرٍ واستَخرتُ وأبالى على أىِّ جنبىَّ سقَطْت .

الجد فى طلب الحاجة

أبْلِ عذراً وخَلاك ذَمّ . يقوله : إنّما عليك أن تجتهد فى الطلب وتُعذِر ، لكيلا تُذم فيها وإن لم تكن تُقضى الحاجة .

ومنه : ٭ هذا أوان الشدِّ فاشتَدّى زِيَمْ ٭

وقولهم : دَرِّبْ عليه جِرْوتَك . أى وطِّن عليه نفسك .

ومنه : اجمع عليه جَراميزَك ، واشدُد له حيازيمَك .

وقولهم : شمِّر ذيْلا ، وادَّرِعْ ليْلا .

ومنه : إيتِ به مِن حَسِّك وبَسِّك .

ومنه قول العامة : جئْ به من حيْث أيْسَ وليْس . والأيس : الموجود . والليس : المعدوم .

التأنى فى الأمر

من ذلك قولهم : رُبَّ عجَلةٍ تُعقِب رَيْثاً .

وقولهم : المنبَتُّ لا أرضاً قَطَع ولا ظهْراً أبْقى .

وقال القُطامى :

قد يُدرِك المُتأنى بعض حاجتِه ٭ وقد يكون مع المستعجل الزَّلل ٥

ومنه : ضحِّ رُوَيداً . أى لا تعجل . والرَّشف أنقع . أى أروَى يقال : شرب حتى نقع .

ومنه : لا يُرسِل السّاق إلا مُمسِكا ساقا .

ســـوء الجوار

منه قولهم : لا يَنفعك من جار سُوءٍ تَوقٍّ ، والجارُ السوء قطعةٌ من نارٍ . ١٠

ومنه : هذا أحقُّ منزلٍ بتَرك .

ومنه قولهم : الجارَ قبل الدار ، الرفيق قبل الطريق .

ومنه قولهم : بعت جارى ولم أبع دارى . يقول : كنت راغبا فى الدار ، إلا أنى بعتها بسبب الجار السوء .

ســـوء المرافقة ١٥

أنت تَئِقٌ وأنا مَئِقٌ فتى نتَّفِق . التئق : السريع الشر . والمئق : السريع البكاء ؛ ويقال : الممتلئ من الغضب . والتئق والمئق مهموزان .

وقولهم : ما يُجمع بين الأرْوَى والنَّعام . يريد أن مسكن الأروى الجبل ومسكن النعام الرمل . والأروى ، جمع أرويَّة .

ومنه : لا يَجتمع السَّيفان فى غِمد . ٢٠

ومنه : لا يَلْطاط هذا بصَفَرى . أى لا يلصق بقلبى .

العـــادة

قالوا : العادَةُ أَمْلَك من الأدبِ .

وقالوا : عادة السُّوء شرٌّ من المَغْرم .

وقالوا : أعطِ العبدَ ذراعاً يَطلبْ باعاً .

ترك العادة والرجوع إليها

٥ منه قولهم : عاد فلانٌ فى حافِرَته . أى فى طريقته . ومنه قوله تعالى : ﴿ أئنَّا لمَرْدُودُونَ فى الحافِرَةِ ﴾ . ومنه : رجَع فلانٌ على قَرْوائه . ومنه الحديث : لا ترجِعُ هذه الأمّةُ عن قَرْوائها .

اشتغال الرجل بما يعنيه

١٠ منه : كلُّ امرئٍ فى شأنه ساعٍ .

وقولهم : هَمُّك ما أهمَّك . همُّك ما أدْأنك .

وقولهم : ولِّ حارَّها من تولَّى قارَّها .

قـــلة الاكتراث

منه قولهم : ما أُباليه بالةً ، اسْمَحْ يُسمَحْ لك .

١٥ وسئل ابن عباس عن الوضوء من اللبن ؟ فقال : ما أُباليه بالةً .

وقولهم : الكلابَ على البقَر . يقول : خلِّ الكلاب وبقر الوحش .

قلة اهتمام الرجل بصاحبه

هانَ على الأملَسِ ما لاقى الدَّبِرْ .

وقولهم : ما يَلقَى الشَّجِى من الخلىِّ . قال أبو زيد : الشجى مخفف ، ٢٠ والخلى : مشدد .

ومنه قول العامة : هان على الصَّحيح أن يقول للمريض : لا بأس عليْك .

الجشع والطمع

منه قولهم: تُقطِّع أعناق الرِّجال المَطامعُ .

ومنه قولهم : غَثُّك خيرٌ لك من سَمِين غيْرِك .

وقولهم : المسألةُ خُموشَ فى وجه صاحبها .

وقال أبو الأسود فى رجل دنىء : إذا سُئل أرزَ وإذا دُعِىَ انتهز[1] ٥

ومنه قول عون بن عبد الله : إذا سَأل ألحفَ ، وإذا سُئل سوَّف .

الشره للطعام

منه قولهم : وَحْمَى ولا حَبَل . أى لا يُذكر شىء إلا اشتهاه ، كشهوة الحُبلى .
وهى الوحمى .

ومنه : المرء توّاقٌ إلى ما لم يَنَل . ١٠

وقولهم : يَبعثُ الكلابَ عَلى مَرابِضِها . أى يطردها طمعاً أن يجد شيئاً يأكله من تحتها .

ومنه قولهم : أراد أن يأكلَ بيدين .

ومنه الحديث المرفوع : الرَّغْبَةُ شُؤمٌ .

الغلط فى القياس ١٥

مثل قولهم : ليس قَطاً مثل قُطَىٍّ .

وقال ابن الأسلت :

ليس قَطاً مثل قُطَىٍّ ولا الـــمَرْعِىُّ فى الأقوام كالراعِى

ومنه قولهم : مُذكِّيَةٌ تُقاسُ بالجِذاعِ . يُضرب لمن يقيس الكبير بالصغير
والمذكية : هى المُسنة من الخيل . ٢٠

---

(١) فى بعض الأصول : « اهتز » .

وضع الشىء فى غير موضعه

منه : كَمُسْتَبْضِعِ التَّمرِ إلى هَجَرْ ، وهجر : معدن التمر .

قال الشاعر :

فإنا ومن يُهدِى القصائدَ نحونا ‎•‎ كَمُسْتَبْضِعٍ تمراً إلى أهلِ خيْبَرَا

٥ ومنه قولهم : كَمُعَلِّمَةٍ أمها الرَّضاعا

ومنه الحديث المرفوع : رُبَّ حامِلِ فِقْهٍ إلى من هو أَفْقهُ منه .

وفيمن وضع الشىء فى غير موضعه : ظَلَم مَنِ ٱسْتَرْعَى الذِّئبَ الغَنَم .

وقال ابن هرمة :

كتارِكَةٍ بيْضَها بالعَـــراءِ ‎•‎ ومُلْحِفَةٍ بيْضَ أخرى جَناحا

١٠ يصف النعامة التى تحضُن بيض غيرها وتضيع بيضها .

كفران النعمة

منه : سَمِّن كلبَكَ يأْكُلكَ . أَحُشُّكَ وتَروُثُنِي . قال فى مخاطبة فرسه : أأعْلِفُكِ الحشيش وتروثُ علىّ .

ومنه قول الآخر :

١٥ أُعلِّمهُ الرِّمايةَ كلَّ يَوْمٍ ‎•‎ فلما اشتدَّ ساعِدُهُ رمانى

التبذير

منه قولهم : لا ماءَكِ أبقيْتِ ، ولا دَرَنَكِ أَنْقيتِ .

وقولهم : لا أبوكَ نُشر ولا التُّرابُ نَفِد . أصل هذا المثل لرجل قال : ليتنى أعرف قبر أبى حتى آخذ من ترابه على رأسى .

٢٠ ## التهمـــة

منه قولهم : عَسَى الغُوَيْرُ أَبْؤُسا . والأبؤس جمع بأس ، قال ابن الكلبي : الغوير : ماء معروف لكلب . وهذا مَثَل تكلمت به الزباء ، وذلك أنهـا وجهت قصيرا

للخمى بالعير ليجلب لها من بزّ العراق ، وكان يطلبها بدم جذيمة الأبرش ،
فجعل الأحمال صناديق ، وجعل فى كل صندوق رجلا معه السلاح ، ثم تنكب
بهم الطريق وأخذ على الغُوير فسألت عن خبره ، فأخبرت بذلك ، فقالت :
عسى الغُوير أبؤسا . تقول عسى أن يأتى الغوير بشر ، وآستنكرت أخذه على
غير الطريق . ٥

ومنه : سقَطَتْ به النَّصِيحَةُ على الظِّنَّةِ ، أى نصحته فاتهمك .

ومنه : لا تنْقُش الشَّوْكة بمثْلِهـا ، فإن ضلعها معها . يقول : لا تستعن فى
حاجتك بمن هو للمطلوب منه الحاجة أنصح منه لك .

تأخير الشىء وقت الحاجة إليه

منه : لا عِطْرَ بعدَ عروسٍ ، وأصل هذا أن عروساً أُهديت فوجدها الرجل ١٠
تفلة ، فقال لها : أين الطيب ؟ قالت : آدخرته . قال : لا عطر بعد عروس .

وقولهم : لا بقاء لِلْحَمِيَّةِ بعد الحُرْمَةِ ؛ يقول : إنما يحمى الإنسان حريمه ،
فإذا ذهب فلا حمية له .

الإساءة قبل الإحسان

منه : يسْبِقُ دِرَّتَهُ غِرارُهُ ؛ الغرار : قلة اللبن . والدرة : كثرته . ويسْبِقُ ١٥
سيْلَهُ مطَرَهُ .

البخـــل

ما عِندَهُ خيْرٌ ولا مَيْرٌ . سواءٌ هو والعدَم . العَدَم والعُدْم ، لغتان .

مابضَّ حجَرُهُ . والبض أقل السيلان .

ما تَبُل إحدَى يديْهِ الأُخرى [١] . ٢٠

---

(١) فى بعض الأصول . « ما تبذل إحدى يديه لأخرى »

الجبن

إنّ الجبانَ حتفُهُ من فوقِه ، ومثله فى القرآن : ﴿ يَحْسَبونَ كُلَّ صيْحَةٍ عليهِمْ ﴾ .

ومنه : كلّ أزَبَّ نفورٌ . وقفّ شعْرُهُ . واقشعرّتْ ذُؤابتُهُ . معناه : قام شعره من الفزع . ٥

وشرِقَ بريقِه .

الجبان يواعد بما لا يفعل

الصّدقُ يُنْبِي عنكَ لا الوعيدُ . ينبى : يدفع عنك من ينبو .

ومنه : أوسعتُهُمْ شتما[1] وأوْدَوْا بالإبِلْ .

١٠ وقيل لأعرابى خاصم امرأته إلى السلطان : كبَّها اللهُ لِوَجْهِها . فقال : ولو أُمِرَ بى إلى السِّجْنِ .

الاستغناء بالحاضر عن الغائب

قولهم : إن ذهَبَ عيْرٌ فعَيْرٌ فى الرِّباطِ .

ومنه : « إذا غابَ منْها كوكَبٌ لاحَ كوْكَبُ »

١٥ وقولهم : رأْسٌ برأسٍ وزيادةِ خَمْسِمائةٍ ، قالها الفرزدق فى رجل كان فى جيش ، فقال : من جاء برأس فله خمسمائة درهم : فبرز رجل وقتل رجلا من العدو ، فأعطاه خمسمائة درهم ؛ ثم برز ثانية ، فقتِل ، فبكى عليه أهله ، فقال لهم الفرزدق : أما ترضون رأسا برأس وزيادة خمسمائة ؟

المقادير

٢٠ منه قولهم : المقاديرُ تُرِيكَ ما لا يَخْطُر ببالِكَ .

---

(١) فى بعض الأصول : « سبا » .

وقولهم : إذا نَزَلَ القَدَرُ غشَّى البصَر . وإذا نَزَلَ الحَيْنُ غَطَّى العيْنَ . ولا يُغْني حذَر منْ قدَرٍ . من مأْمَنِهِ يُؤْتَى الحذِرُ .

وقولهم : وكيفَ تَوَقَّى ظهْرَ ما أنتَ راكِبُه .

الرجل يأتى إلى حتفه

منه قولهم : أتتْكَ بحائِنٍ رجْلاهُ . لا تكُنْ كالباحِثِ عنِ المُدْيَةِ . ٥

وقولهم : حتْفَها تحمِلُ ضأْنٌ بأظلافِها .

ما يقال للجانى على نفسه

يداكَ أوكَتَا وفوكَ نفَخَ . وأصله أن رجلا نفخ زقًّا وركبه فى النهر ، فانحل الوكاء وخرجت الريح وغرق الرجل . فاستغاث بأعرابى على ضفة النهر ، فقال : يداك أوكتا وفوك نفخ . ١٠

جالب الشر إلى أهله

منه قولهم : دلَّتْ على أهْلِها بَراقِشُ . وبراقشُ كلبة لحى من العرب مرَّ بهم جيش ليلاً ولم ينتبهوا لهم ، فنبحت براقش فدلت عليهم .

وقالوا : كانت علَيْهِمْ كراغيَةِ البَكْرِ . يعنون ناقة ثمود .

وقال الأخطل : ١٥

ضفادِعُ فى ظلْماءِ ليْلٍ تجاوَبَتْ ٭ فدَلَّ عليْها صوْتُها حيَّةَ البَحْرِ

تصرف الدهر

منه قولهم : مرةٌ عيْشٌ ومرةٌ جيْشٌ .

ومنه : اليوْمَ خمْرٌ وغداً أمْرٌ : قاله امرؤ القيس ، أو مهلهل أخو كليب ، لما أتاه موت أخيه وهو يشرب . ٢٠

وقالوا : عِشْ رجباً تَرَ عجَباً .

وقالوا : أتى الأبدُ على لُبَد .

وقال الشاعر :

فيومٌ علينا ويومٌ لنا * ويومٌ نُساءُ ويومٌ نُسَرُّ

وقولهم : مَنْ يجتمعْ تتقعقعْ عُمُده . وأنشد :

أجارَتنا مَن يجتمعْ يتفرّقِ * ومَن يَكُ رَهْناً للحوادث يَغْلَقِ

٥ الأمر الشديد المعضل

منه قولهم : أظْلَمَ عليه يومُه ، وأين يَضَعُ المخنوقُ يدَه .

ومنه قولهم : لو كان ذا حِيلةٍ لتحوّل .

ومنه قولهم : رأى الكوكبَ ظُهراً . قال طرفة :

* وتُرِيهُ النَّجمَ يَهوِى بالظُّهُر *

١٠ هلاك القوم

منه قولهم : طارت بهمُ العَنقاء . وطارت بهمْ عُقابٌ مَلَاعٌ . يقال ذلك فى الواحد والجمع . وأحسبُها معدولةً عن مليع .

والمَنايا على الحَوَايا . قال أبو عبيد : يقال إن الحوايا فى هذا الموضع مَركب من مراكب النساء ، واحدتها حَوِيّة ، وأحسب أصلها أنّ قوماً قتلوا ، فحملوا

١٥ على الحوايا ، فظنّ الراءون أنّ فيها نساء ، فلما كشفوا عنها أبصروا القتلى ، فقالوا ذلك ؛ فصارت مثلا .

ومنه : أتتهُمُ الدُّهَيم تَرْمى بالرَّضف . معناه الداهية العظيمة .

وهذا أمرٌ لا يُنادَى وَلِيدُه . معناه أن الأمر اشتدّ حتى ذَهِلت المرأة أن تدعو وليدها .

٢٠ ومنه : الْتَقتْ حَلْقتا البطان . وبَلَغ السيْلُ الزُّبَى . وجاوزَ الحِزامُ الطُّبْيَيْن . وتقول العامة : بلغ السِّكِّينُ العظْم .

إصلاح ما لا صلاح له

منه قولهم : ٭ كدابغةٍ وقد حَلِمَ الأديمُ ٭

حلم : فسد . وكتب الوليد بن عُقبة إلى معاوية بهذا البيت :

فإنك والكتابَ إلى عليٍّ ٭ كدابغةٍ وقد حَلِمَ الأديمُ

فى شعرٍ له . ٥

صفة العدوّ

يقال فى العدوّ : هو أزْرقُ العين . وإن لم يكن أزرق . وهو أسودُ الكبد . وأصْهَبُ السِّبَال .

البخيل يعتل بالعسر

منه قولهم : قبلَ البُكاءِ كان وجهُكَ عابِساً . ١٠

ومنه : قبلَ النِّفاسِ كنتِ مصفَرَّة .

اغتنام مايعطى البخيل وإن قل

منه : خُذْ من الرَّضْفةِ ماعليها . وخذ مِن جَذَع ما أعطاك .

قال ابن الكلبى : وأصل هذا المثل أنّ غسان كانت تؤدّى إلى ملوك سَلِيح دينارين كل سنة عن كل رجل ، وكان الذى يلى ذلك سبطة بن المنذر السَّليحى . ١٥ فجاء سبطة إلى جَذَع بن عمرو الغسّانى يسأله الدينارين . فدخل جَذَع منزلَه واشتمل على سيفه ، ثم خرج فضرب به سَبَطة حتى سكت ، ثم قال له : خُذ من جذع ما أعطاك ! فامتنعت غسّان من الدينارين بعد ذلك ، وصار الملك لها حتى أتى الإسلام .

البخيل يمنع غيره ويجود على نفسه ٢٠

منه قولهم : سَمْنُكم هُرِيقَ فى أَدِيمِكم .

ومنه : يا مُهدِيَ المالِ كُلْ ما أهْدَيْتَ .

ومنه قول العامة : الحمار جَلَبَه والجار أكله .

موت البخيل وماله وافر

منه : مات فلانٌ عريضَ البطان . ومات ببطنته لم يتغضغض منها شيء .

٥ والتغضغض : النقصان .

البخيل يعطى مرة

منه قولهم : ماكانت عطيَّتُه إلا بيْضةَ العُقْر . وهي بيضة الديك .

قال الزبيري : الدِّيكُ ربما باضَ بيْضة .

وأنشد لبشار :

١٠ قد زُرتنى زَوْرةً فى الدهر واحدة ثنّى ولا تجعليها بيْضةَ الدّيكِ

ومنه قول الشاعر :

لا تعجبنّ لخير زلّ من يده فالكوكبُ النحسُ يسقى الأرض أحيانا

ومنه قولهم : من الخواطئ سهم صائب .

والليلُ طويلٌ وأنتَ مُقْمِرٌ . وأصل هذا أنّ سُليك بن سلكة ، كان نائما

١٥ مشتملا ، فجثم رجل على صدره . وقال له : استأسِرْ . فقال له : الليل طويل وأنت مقمر . ثم قال له : استأسر ياخبيث . فضمه ضمة ضرط منها ، فقال له : أضرطاً وأنتَ الأعلى . فذهبت أيضاً مثلا .

طلب الحاجة المتعذرة

منه قولهم : تسْألُنى برامَتين سَلْجَما . وأصله أن امرأة تشهّتْ على زوجها

٢٠ سلجما وهو ببلد قفر ، فقال هذه المقالة : والسلجم : اللفت .

ومنه : شر مانال امرؤ مالم ينل .

ومنه : السائلُ فوقَ حقِّه مستحقّ الحرمان .

ومنه قولهم :

إنكِ إنْ كلَّفتنى ما لم أُطِقْ ٭ ساءكِ ما سرَّكِ منى مِن خُلقْ

الرضا بالبعض دون الكل

منه : قد يركب الصَّعْب مَن لا ذلول له .

وقولهم : خُذْ من جِذْعٍ ما أعطاك . ٥

وقولهم : خُذ ما طَفَّ . لك أى ارض بما أمكنك .

ومنه قولهم : زوجٌ مِن عودٍ خيرٌ من قُعودٍ .

وقولهم : ليس الرِّىُّ [عن] التَّشافّ . أى ليس يروى الشارب بشرب الشفافة كلها ، وهى بقية الماء فى الإناء ، ولكنه يَروى قبل بلوغ ذلك .

وقولهم : لمْ يُحرَم مَن فُصِد له . ومعناه أنهم كانوا إذا لم يقدروا على قِرَى الضيف فَصدوا له بعيراً وعالجوا دمه بشىء حتى يمكن أن يأكله . ١٠

ومنه قول العامة : إذا لم يكن شحمٌ فنفَسٌ . أصل هذا أن امرأةً لبست ثيابا ، ثم مشت وأظهرت البَهر فى مشيتها بارتفاع نفَسها ، فلقيها رجل ، فقال لها : إنى أعرفك مهزولة ، فمن أين هذا النفس ؟ قالت : إن لم يكن شحم فنفس ، وقال ابن هانئ : ١٥

قال لى : ترضَى بِوعْدٍ كاذبٍ ٭ قلت إن لم يكُ شحمٌ فنفَسٌ

التوّق فى الحاجة

منه قولهم : فعلتُ فيها فعل من طَبَّ لمن حَبَّ .

ومنه قولهم : جاء تَضِبُ لِثاتُه على الحاجة . معناه لشدة حرصه عليها .

وقال بشر بن أبى خازم : ٭ خَيلٌ تَضِبُّ لِثاتُها للمغنم ٭ ٢٠

استتمام الحاجة

أَتْبِع الفَرَس لجامَها . يريد أنك قد جُدت بالفرس واللجامُ أيسر خَطْباً . فأتمّ الحاجة

ومنه : تمامُ الرَّبيع الصَّيْفُ . وأصله فى المطر ؛ فالربيع أوله، والصيف آخره .

المصانعة فى الحاجة

من يَطلب الحسناء يُعْط مَهْرها .

وقولهم : المصانعة تُيَسِّر الحاجة ، ومَنِ آشترى فقد آشتوى . يقول : من
٥ اشترى لحماً فقد أكل شواء .

تعجيل الحاجة

قولهم : السَّراحُ من النَّجاح ، والنَّفْس مُولعة بِحُبِّ العاجلِ .

الحاجة تمكن من وجهين

منه قولهم : كِلاَ جانِبَىْ هَرْشى لهنّ طريق . هرشى : عقبة .
١٠ ومنه : هو على حَبْل ذِراعِك . أى لا يُخالفك .

من منع حاجة فطلب أخرى

منه قولهم : إلَّا دَهٍ فَلاَ دَهٍ . قال ابن الكلبي : معناه أنّ كاهنا تقاضى إليه
رجلان من العرب . فقالا : أخبرنا فى أى شيء جئناك ؟ قال : فى كذا وكذا .
قالا : إلّا ده . أى انظر غير هذا النظر . قال : إلّاده فلاده . ثم أخبرهما بها .
١٥ قال الأصمعى : معناه إن لم يكن هذا الآن فلا يكون بعد الآن .

الحاجة يحول دونها حائل

منه قولهم : قد عَلِقَت دلْوَك دلْوٌ أُخرى .

وقولهم : الأمر يَحدُث دونه الأمر .

وقولهم : أَخلَف رُوَيْعِياً مَظِنُّه . وأصله أن راعيا اعتاد مكانا ، فجاء يرعاه ،
٢٠ فوجده قد تغير وحال عن عهده .

ومنه قولهم : سَدَّ ابن بيْض الطريق سَدًّا . وابن بيض : رجل عقر ناقة فى رأس ثنية فسدّ بها الطريق .

اليأس والخيبة

منه قولهم : منْ لى بالسانِح بعد البارِح . أى من لى باليُمن بعد الشؤم .

وقولهم : جاء بِخُفَّىْ حُنيْن . وقد فسرناه فى الكتاب الذى قبل هذا . ٥

ومنه : أطال الغيْبَةَ وجاء بالخيْبة .

ونظير هـذا قولهم : سكَتَ ألْفاً ونطَق خَلفاً . أى أطال السكوت وتكلم بالقبيح ، وهذا المثل يقع فى باب العىّ ، وله هاهنا وجه أيضاً .

وقال الشاعر :

وما زِلتُ أقطع عرْض البلادِ ٭ منَ المشرقَيْن إلى المغربيْن ١٠

وأدَّرِعُ الخوْف تحت الدُّجى ٭ وأستَصحِبُ النَّسْر والفرْقَديْن

وأطوى وأنشُرُ ثوبَ الهموم ٭ إلى أن رجَعْتُ بخُفَّىْ حُنَيْنْ

طلب الحاجة فى غير موضعها

قالوا : لم أجد لشفرتى محزا .

وقولهم : كَدَمْتُ غير مَكْدَم . ١٥

وقولهم : نفختَ لو تنفخ فى فحم .

وقالت العامة : يضرب فى حديد بارد .

طلب الحاجة بعد فوتها

منه قولهم : لا تَطلُب أثراً بعد عيْن .

وقولهم : الصَّيْفَ ضَيَّعْتِ اللَّبَن . معناه أن الرجل إذا لم يُطرِق ماشيته فى الصيف كان مضيِّعاً لألبانها عند الحاجة . ٢٠

الرضا من الحاجة بتركها

منه قولهم : من نَجا برأسِه فقد رَبح .

وقولهم : رضِيت منَ الغَنيمةِ بالإيابِ

وقول العامة : الهزيمة مع السّلامة غنيمةٌ .

٥ وقال امرؤ القيس :

وقد طَوّفْت فى الآفاق حتى * رضيت منَ الغَنيمة بالإياب

وقال آخر :

الليل داجٍ والكباشُ تنتَطِحْ * فمن نجا برأسِه فقد رَبِحْ

من طلب الزيادة فانتقص

١٠ منه : كطالب القَرْن [جُدِعَتْ] أُذُنُه .

وقولهم : كطالب الصّيْد فى عِرّيسة الأسَد .

وقولهم : سَقَط العَشاء بها على سِرْحان . يريد دابة خرجت تطلب العشاء فصادفت ذئباً .

ونظير هذا من قولنا :

١٥ طَلَبت بك التّكثيرَ فازْددْتَ قلّةً * وقد يَخسرُ الإنسان فى طلب الرّبح

الخلاء بالحاجة

منه قولهم : * خَلا لك الجوُّ فبيضى واْصفرى *

ومنه : رُمىَ بِريشِك على غاربِك . وهذا المثل قالته عائشة لابن أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم : ذهبت والله ميمونة ورُمى بريشك

٢٠ على غاربك .

إرسالك فى الحاجة من تثق به

• أرْسِل حكيماً ولا تُوصِهِ •

وقولهم: الحريصُ يصيدُ لك لا الجوادُ . يقول : إن الذى يحرص بحاجتك هو الذى يقوم بها ، لا القوىّ عليها ولا هوى له فيها .

ومنه قولهم : لا يُرَحِّلَنَّ رَحْلَكَ مَن ليس معَك . ٥

ومنه فى هذا المعنى : الحاجة يجعلها نُصْبَ عينَيْهِ ، ويحملها بين أُذُنِه وعاتِقِهِ . ولم يَجعلْها بظَهْرِ .

قضاء الحاجة قبل السؤال

منه قولهم : لا تسأل الصَّارِخَ وانظُرْ مالهُ . يريد : لم يأتك مستصرخاً إلا مِن ذعر أصابه ، فأغثه قبل أن يسألك . ١٠

ومنه : كَفَى بِرُغائِها مُنادِيا .

ومنه : يُخْبِرُ عن مجهولِه معلومُه .

وقولهم : فى عيْنِه فِرارُهُ . يعنون فى نظرك إلى الفرس ما يُغنيك عن أن تَفِرَّه .

الانصراف بحاجة تامة مقضية

جاء فُلانٌ ثانياً من عِنانِه . فإن جاء بغير قضاء حاجة ، قالوا : جاء يضرِبُ أصدريْهِ ، أى عِطفيه . ١٥

وجاء وقد لفظ لِجامَه . وجاء سبَهْلَلاً .

فإن جاء بعد شدة قيل : جاء بعدَ اللتَيّا والتى . وجاء بعدَ الهِياطِ المِياطِ .

تجديد الحزن بعد أن يكى منه

منه قولك : حرِّكْ لها حُوَارها تَحِنّ . وهذا المثل يُروى عن عمرو بن العاص أنه قال لمعاوية حين أراد أن يستنصر أهل الشام : أخرج إليهم قميصَ عثمان ٢٠

رضوانُ الله عليه الذى قُتل فيه . ففعل ذلك معاوية . فأقبلوا يبكون . فعندها قال عمرو : حَرَّكْ لهـا حُوارها تَحِنّ .

جامع أمثال الظلم

منه قولهم : الظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وخيمٌ .

٥ وفى الحديث : الظُّلْم ظُلُماتٌ يومَ القيامةِ .

ومنه : إنَّك لا تَجْنى مِنَ الشَّوْكِ العنَبَ .

وقولهم : الحَرْبُ غشُومٌ .

الظلم من نوعين

منه : أحشَفاً وسوء كِيلَة .

١٠ ومنه : أغُدَّةً كغُدَّةِ البعيرِ ، وموتٌ فى بيْتِ سلُولِيَّة .

وهذا المثل لعامر بن الطفيل حين أصابه الطاعون فى انصرافه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فلجأ إلى امرأة من سلول فهلك عندها .

ومنه : أَغيْرةً وجُبْنًا . قالته امرأة من العرب لزوجها تعيّره حين تخلّف عن عدوه فى منزله ، ورآها تنظر إلى القتال فضربها . فقالت : أغيرة وجُبناً ؟

١٥ وقولهم : أكَزَمًا وإمساكاً . أصـــله الرجل يلقاك بعبوس وكلوح مع بخل ومنع .

وقولهم : ياعَبْرَى مُقبِلةً وسَهْرَى مُدْبِرةً . يضرب الأمرُ الذى يُكره من وجهين .

ومنه قول العامة :

٢٠ ٭ كالمُسْتغيثِ مِنَ الرَّمْضاء بالنارِ ٭

وقولهم : لِلموْتِ يفْزَعُ والموْتِ بَدَرَ .

وقولهم : كالأشقرِ : إن تقدَّمَ نحرَ ، وإن تأخَّرَ عُقر .

وقولهم : كالأرقم إن يُقتَلْ يَنقم ، وإن يُترَكْ يلقم . يقول : إن قتلته كان له من ينتقم له منك ، وإن تركته قتلك .

ومنه : هو بين حاذِفٍ وقاذِفٍ . الحاذف : الضارب بالعصا ، والقاذف : الرامى بالحجر .

من يزاد غما على غمه

منه قولهم : ضِغْثٌ على إبَّالةٍ . الضغث : الحزمة الصغيرة من الحطب ، والإبالة : الكبيرة .

ومنه قولهم : كِفْتٌ إلى وئيَّة . الكفت القدر الصغيرة ، والوئيَّة : القدر الكبيرة . يُضرب للرجل يحمل البلية الكبيرة ثم يزيد إليها أخرى صغيرة .

ومنه قولهم : وقَعوا فى أُمِّ جُنْدُب ، إذا ظلَموا .

المغبون فى تجارته

منه قولهم : صفقَــةٌ لم يشْهَدْها حاطبٌ . وأصله أن بعض أهل حاطب باع بيعة غَبِن بهــا .

ومنه قولهم : أعطاهُ اللَّفاء غيْرَ الوفاء .

سرعة الملامة

منه : ليس مِنَ العذْلِ سُرْعةُ العذْلِ .

ومنه : رُبَّ ملُومٍ لا ذنبَ له .

وقولهم : الشَّعيرُ يُؤكلُ ويُذَمُّ .

وقول العامة : أكْلاً وذمًّا .

وقول الحجاج : قُبِّح والله منَّا الحَسَنُ .

الكريم يهتضمه اللئيم

لو ذاتُ سِوارٍ لطَمَتْنِي .

ومنه : ذُلٌّ لو أجِدُ ناصِراً .

الانتصار من الظلم

٥ هذهِ بتِلْك ، والبادى أظْلَمُ .

ومنه : مَنْ لم يَذُدْ عن حوْضِهِ يُهدَّمِ .

الظلم ترجع عاقبته على صاحبه

قالوا : من حفَرَ مُغوَّاةً وقعَ فيها . والمغواة : البئر تحفر للذئاب ، ويجعل فيها جدى ليسقط الذئب فيها ليصيده ، فيُصطاد .

١٠ ومنه : يعْدُو على كُلِّ امْرِئٍ ما يأْتَمِر .

ومنه : عادَ الرَّمْىُ على النَّزَعَةِ . وهم الرماة يرجع عليهم رميهم .

وتقول العامة : كالباحِثِ عن المُدْيَةِ .

ومنه قولهم : رُمِىَ بِحَجرِهِ ، وقُتِلَ بسِلاحِهِ .

المضطر إلى القتال

١٥ مُكْرَهٌ أخوكَ لا بطَلٌ .

• قد يَحْمِلُ العيْرُ مِنْ ذَعْرٍ على الأسَدِ •

المأخوذ بذنب غيره

جانِيكَ مَنْ يَجْنِي عليْكَ .

ومنه : • كذِى العرِّ يُكْوَى غيْرُهُ وهو راتِعُ •

٢٠ ومنه : • كالثَّوْرِ يُضْرَبُ لمَّا عافَت البقَرُ •

يعنى : عافت الماء

وقال أنس بن مُدْرِك :

إنى وقتْلى سُلَيْكا ثم أَعْقِلَه * كالثورِ يُضرَبُ لما عافتِ البقرُ

يعنى ثور الماء . وهو ثورانه ، يقال : ثار الماء ثَوراً وثورانا .

ومنه قولهم : كلُّ شاةٍ برِجلِها تُناطُ . يريد : لا يؤخذ رجل بغير ذنبه .

المتبرئ من الشيء

٥

ما هو مِن ليلِه ولا سَمَرِه . ما هو من بَزِّى ولا من عِطْرى . مالى فيه ناقةٌ ولا جملٌ .

ومنه قولهم : بَرِئتُ منه إلى الله .

ومنه : لستُ منكَ ولستَ مِنى . وما أنا من دَدٍ ولا الدَّدُ مِنِّى .

سوء معاشرة الناس

١٠

قالوا : الناسُ شجرةُ بَغْى . لا سبيلَ إلى السلامةِ من أَلْسِنةِ العامّة . ورضا الناسِ غايةٌ لا تُدْرَك .

ومنه الحديث المرفوع : الناسُ كإبِلٍ مائةٍ لا تكادُ تجدُ فيها راحلة .

ومنه قولهم : الناسُ يُعيِّرون ولا يَغفِرون ، واللهُ يَغفِرُ ولا يعيِّر .

وقال مالك بن دينار : من عرف نفسه لم يضره قولُ الناس فيه .

١٥

وقول أبى الدرداء : إن قارضتَ الناس قارضوك ، وإن تركتهم لم يتركوك .

الجبان وما يذم من أخلاقه

منه قولهم : إنّ الجبانَ حَتْفُه مِن فوقِه . وهو قول عمر بن مامة :

لقد وجَدْتُ الموتَ قبلَ ذوْقِه * إنّ الجبانَ حتْفُه مِن فوقِه .

قال أبو عبيد : أحسبه أراد أن حذره وتوقّيه ليس بدافع عنه المنيّة . وهذا غلط من أبى عبيد عندى ، والمعنى فيه أنه وصف نفسه بالجبن ، وأنه وجد الموت قبل أن يذوقه ، وهذا من الجبن ، ثم قال : إنّ الجبان حتفه من فوقه :

٢٠

يريد أنه نظر إلى منيته كأنما تحوم على رأسه .

كما قال تبارك وتعالى فى المنافقين إذ وصفهم بالجبن : ﴿ يَحْسَبُونَ كلَّ صيحةٍ عليهم هُمُ العدوّ ﴾ .

وقال جرير للأخطل يُعيِّرُه إيقاع قيس بهم :

٥ حملتْ عليك رِجال قيس خيْلَها ٭ شُعْثاً عوابِسَ تَحمِلُ الأبطالا

مازلتَ تحسب كلَّ شىء بَعدَهم ٭ خيلًا تكُرُّ عليكمُ ورجالا

ولو كان الأمر كما ذهب إليه أبو عبيد ما كان معناه يدخل فى هذا الباب ؛ لأنه باب الجبان وما يذم من أخلاقه ، وليس الأخذ فى الحذر من الجبن فى شىء ، لأن أخذ الحذر محمود وقد أمر الله به ، والجبن مذموم من كل وجه .

١٠ ومنه الشعر الذى تمثّل به سعد بن معاذ يوم الخندق :

لَبِثْ قليلا يُدرِكِ الهيْجا جَمَلْ ٭ ما أحسنَ الموتَ إذا حان الأجل

ومنه قولهم : كلُّ أزَبَّ نَفور . وإنما يقال فى الأزبِّ من الإبل لكثرة شعره ، ويكون ذلك فى عينيه ، فكلما رآه ظنّ أنه شخص يطلبه فينفر من أجله .

١٥ ومنه قولهم : بَصْبَصْنَ إذ حُدِينَ بالأذناب .

ومنه قولهم ٭ دَرْدَبَ لمّا عَضّه الثقافُ ٭

وقولهم : حالَ الجَرِيضُ دون القَرِيض . وهذا المثل لعَبيد بن الأبرص ، قاله للنعمان بن المنذر بن ماء السماء حين أراد قتله فقال له : أنشدنى شعرك :

٭ أقْفرَ من أهلِه مَلحوبُ ٭

٢٠ فقال عبيد : حالَ الجريضُ دون القريض .

ومنه : قَفَّ شَعْرُه ، واقشعرّتْ ذُؤابَتُه . معناه قام شعره من الفزع .

إفلات الجبان بعد إشفائه

منه قولهم : أفلَتَ وانحَصَّ الذَّنَب .

ومنه : أفلت وله حُصاص .

ويروى فى الحديث : إن الشيطان إذا سَمع الأذان أدبَر وله حُصاص .

ومنه أفلتنى جُريْعة الذَّقن . إذا كان منه قريبا كقرب الجرعة من الذقن ، ثم أفلته .

ومنه قول العامة : إن يُفلت الطير فقد ذَرَق . ٥

وقولهم : أفلت وقد بَلَّ النَّيْفَق . الذى تسميه العامة : النِّيفَق .

الجبان يتهدد غيره

منه قولهم : جاء فلان ينفُض مِذْرَوَيْه . أى يتوعد ويتهدّد . والمذروان : فرعا الأليتين . ولا يكاد يقال هذا إلا لمن يتهدد بلا حقيقة .

ومنه : أبْرِق لمن لا يعرفُك . واقصد بذَرْعك . ولا تُبْقِ إلا على نفسك . ١٠

تصرف الدهر

منه : من يَجتمع تتقَعْقَع عُمُدُه . أى أن الاجتماع داعية الافتراق .

ومنه : كل ذات بعْل ستَئِيم .

ومنه البيت السائر :

وكل أخٍ مُفارِقُه أخوه ٭ لعَمْر أبيك إلا الفرقدانِ ١٥

ومنه : لم يَفُت من لم يَمت .

الاستدلال بالنظر عن الضمير

منه قولهم : شاهِد البُغض اللَّحْظ . وجَلِّي مُحِبٌّ نظَره .

وقال زهير :

فإن تكُ فى صديق أو عدوٍ ٭ تُخبِّرْك العيون عن الضمير ٢٠

وقال ابن أبى حازم :

خُذ من العيش ما كفى ٭ ومن الدهر ما صَفا

عينُ مَن لا يُحِبُّ وصْ ه .لَكَ تُبْدِى لك الجفا

نفى المال عن الرجل

منه قولهم : ما له سَعْنَة ولا مَعْنة . معناه لا شىء له .

ومنه : ما له هِلع ولا هِلَّعة . وهما الجدى والعَناق .

٥ ومنه : ما له هارب ولا قارِب ، معناه ليس له أحد يهرب منه ، ولا أحد يقرب إليه ؛ فليس له شىء .

وقولهم : ما له عافِطة ولا نافِطة ؛ وهما الضائنة والماعزة . وما به نبض ولا حَبض .

قال الأصمعى : النبض : المتحرك ، ولا أعرف الحبض .

١٠ وقال غيره : النبض والحبض فى الوتر ، والنبض : تحرك الوتر ، والحبض : صوته . قال :

* والنبْل يَهوِى نَبضاً وحَبضا *

ومنه قولهم : ما له سَبَد ولا لَبَد . هما الشعر والصوف .

ولم يعرف الأصمعى السَّعْنة والمعْنة .

١٥ إذا لم يكن فى الدار أحد

منه قولهم : ما بالدار شَفْر ؛ ولا بها دُعْوِى ؛ ولا بها دُبِّىّ . معناه ما بها من يدعو ومن يدب ، وما بها من غريب . ولا بها دُورِىّ ولا طورِىّ ؛ وما بها وابِر ، وما بها صافِر ، ولا بها ديَّار ، وما بها نافخ ضرَمَة ، وما بها أَرَم . معنى هذا كله ما بها أحد ، ولا يقال منها شىء فى الإثبات والإيجاب ، وإنما يقولونها ٢٠ فى النفى والجحد .

اللقاء وأوقاته

ومنه : لَقِيتُ فلاناً أوّل عين . يعنى أوّل شىء .

وقال أبو زيد : لقيتُه أوّل عائِنة . ولقيته أوَّل وهْلة . ولقيتُه أوَّل ذات يَدين . ولقيتُه أوَّل صَوْك وأول بَوك . فإن لقِيته لجأة من غير أن تريده ، قلت : لقيته نِقاباً ؛ ولقيتُه التِقاطا ، إذا لقيته من غير طلب . وقال الراجز :

* ومَنْهل ورَدْتُه الْتِقاطا *

وإن لقيته مواجهة قلت : لَقِيتُه صِفاحا . ولقيتُه كِفاحا . ولقيته كَفّة كَفّة . ٥

قال أبو زيد : فإن عرض لك من غير أن تذكره قلت : رُفِع رفْعاً ؛ وأُشِبَّ لى إشْبابا . فإن لقيته وليس بينك وبينه أحد ، قلت : لقيته صَحْرة بَحْرة . وهى غير مجراة . فإن لقيته فى مكان قفر لا أنيس به قلت : لقيته صحرة بَحرة أصْمَت ، غير مجرّى أيضا . ولقيته بين سَمْع الأرض وبصرها . فإن لقيته قبل الفجر قلت : لقيته قبل [كلِّ] صَبْح ونَفْر . النفر : التفرق . وإن لقيته بالهاجرة قلت : لقيته صَكّة عُمَىٍّ . وصكة أعمى . ١٠

قال رؤبة يصف الفلاة إذا لمعت بالسراب فى الهاجرة :

شبيهةً بسهم قوسٍ لَمَعَا * صَكَّ عُمَىٍّ زاجراً قد بَرَعا [1]

فإن لقيته فى اليومين والثلاثة قلت : لقيته فى الفَرَط . ولا يكون الفرط فى أكثر من خمس عشرة ليلة . فإن لقيته بعد شهر ونحوه ، قلت : لقيته فى عَفَر . فإن لقيته بعد الحول ونحوه قلت : لقيته عن هَجْر . فإن لقيته بعد أعوام قلت : لقيته ذاتَ العُوَيْم . فإن لقيته فى الزمان قلت : لقيته ذات الزُّمَيْن . والغبّ فى الزيارة ، وهو الإبطاء فيها . والاعتمار فى الزيارة . وهو التردّد فيها . ١٥

فى ترك الزيارة

منه قولهم : لا آتيك ما حَنّت النِّيب . وما أطت الإبل . وما اختلف الدرّة ٢٠

---

(١) فى بعض الأصول :

شبيه يَمّ بين عِبْرَين مَعا * صكةَ أعمى زاخرٍ قد أُتْرِعا

والجِرَّة . وما آختلف المَلَوان . وما آختلف الجديدان . ولا آتيك السَّمَر والقمر وأبَد الأبَد .

ويقال : أبَد الآبِدِين . ودهر الداهِرِين . وحتى يَرجع السَّهْم إلى فُوقِه . وحتى يَرجع اللبَن فى الضَّرْع . ولا آتيك سِنَّ الحِسْل .

٥ تفسيره : النيب : جمع ناب ، وهى المُسنة من الإبل . والدرة : الحلبة من اللبن . والجرة : من اجترار البعير . والملوان والجديدان : الليل والنهار . والحسل : هو ولد الضب . يقول : حتى تسقط أسنانه ، ولا تسقط أبداً حتى يموت .

استجهال الرجل ونفى العلم عنه

منه قولهم : ما يَعرفُ الحوَّ من اللوِّ . وما يَعرف الحىَّ من اللَّىِّ . ولا هَريراً

١٠ من غَرير . ولا قَبيلا من دبير . وما يَعرف أىُّ طَرَفيه أطول وأكبر . وما يعرفِ هرًّا من برّ ، أى ما يعرف من يَهُرُّه ممن يَبَرُّه . والقبيل : ما أقبلت به من فَتْل الحبل ، والدبير : ما أدبرت به منه . وأى طرفيه أطول : أنسب أبيه أم نسب أمه .

أمثال مستعملة فى الشعر

١٥ قال الأصمعى : لم أجد فى شعر شاعر بيتاً أوَّله مثَل وآخره مثَل إلا ثلاثة إبيات : منها بيت الحطيئة :

مَن يَفعل الخيرَ لا يَعْدَم جَوازِيَهُ * لا يَذهبُ العُرْفُ بين الله والناسِ

وبيتان لامرئ القيس :

وأفلتَهنَّ عِلْبــاءٌ جريضاً * ولو أدركْنه صَفِرَ الوِطاب

٢٠ وقاهمْ جــدُّهم ببنى أبيهم * وبالأشْقَيْنَ ماكان العقاب

ومثل هذا كثير فى القديم والحديث ، ولا أدرى كيف أغفل القديمَ منه

الأصمعى . فمنه قول طرفة :

ستُبدى لكَ الأيامُ ما كنتَ جاهلا * ويأتيك بالأخبارِ من لم تُزوِّدِ

وفى هذا مثلان من أشرف الأمثال . ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع هذا البيت ، فقال : إن معناه من كلام النبوة .

ومن ذلك قولُ الآخر : ٥

ما كلَّفَ اللهُ نفساً فوق طاقتِها * ولا تجودُ يدٌ إلا بما تجدُ

ومن ذلك قولُ الحسن بن هانئ :

أيها المُنتابُ عن عُفُرِه * لستَ من ليلى ولا سَمَرهْ

لا أذُودُ الطيرَ عن شجرٍ * قد بلوْتُ المُرَّ من ثمرهْ

إن العرب تقول : انتاب فلان عن عفره : أى تباعد عن أصله . لستَ من ١٠ ليلى ولا سمره : مثل ثان ، وليس فى البيت الثانى إلا مثلٌ واحد .

ومن قولنا فى بيت أوّله مثل وآخره مثل :

قد صرَّحَ الأعداء بالبيْنِ * وأشرقَ الصبحُ لذى العين

وبعده أبيات فى كل بيت منها مثل ، وذلك قولنا :

وعاد مَن أهواهُ بعد القِلَى * شقيقَ رُوحٍ بين جسمينِ ١٥

وأصبح الداخلُ فى بيننا * كساقطٍ بين فراشين

قد ألبسَ البغضاءَ من ذا وذا * لا يَصلُحُ الغِمْدُ لسيفين

ما بالُ مَن ليست له حاجةٌ * يكونُ أنفاً بين عينين

ومن قولنا الذى هو أمثال سائرة :

قالوا شبابَكَ قد وَلَّى فقلتُ لهم * هل من جديدٍ على كرِّ الجديدينِ ٢٠

صِلْ مَن هَوِيتَ وإن أبدى معاتبةً * فأطيبُ العيشِ وصلٌ بين إلْفينِ

واقطعْ حبائلَ خِلّ لا تُلائمُه * فربما ضاقتِ الدنيا على اثنين

وقلت بعد هذا فى المدح :

فكَّرْتُ فيكَ أبَحْرٌ أنتَ أَمْ قمَرٌ * فقد تحيَّرَ فكرى بين هٰذيْنِ
إنْ قلتُ بحراً وجدتُ البحرَ مُنحسِراً * وبَحْــرُ جودِكَ ممتــدُّ العبَابيْنِ
أوْ قلتُ بدراً رأيتُ البدرَ مُنتقصاً * فقلتُ شتَّانَ ما بينَ البُدْرَيْنِ

٥ ومن الأمثال التى لم تأت إلا فى الشعر أو فى قليل من الكلام ، من ذلك قول الشاعر :

ترجو النجاةَ ولم تسلُكْ مسالِكَها * إنّ السفينةَ لا تجرى على اليبَسِ

وقال آخر :

متى تنقضى حاجات من ليس صابراً * على حاجة حتى تكون له أخرى

١٠ قيل ولما بلغ حاتماً قولُ المتلمِّس :

وأعلم علم صدق غيرَ ظنٍ * لَتَقْوَى الله من خير العَتاد
وحفظ المال أيسر من بُغاهُ * وسير فى البلاد بغير زاد
وإصلاح القليل يزيد فيه * ولا يبقى الكثير مع الفساد

قال : قطع الله لسانه ! يحمل الناس على البخل : ألا قال :

١٥ لا الجود يُفنى المال قبل فنائه * ولا البخل فى مال الشحيح يزيد
فلا تلتمس مالا بعيش مُقَتَّرٍ * لكل غد رزق يعود جديد

وقال غيره :

إذا كنت لا أعفو عن الذنب من أخٍ * وقلت أكافيه فأين التفاضل
وإن أقطع الإخوان فى كل عثرة * بقيت وحيداً ليس لى من أواصل
٢٠ ولكننى أغضى الجفون على القذى * وأصفح عما رابنى وأجامل
متى ما يَرِبْنى مَفْصِل فقطعتُه * بقيتُ ومالى للنهوض مفاصل
ولكن أداويه فإن صحّ سرّنى * وإن هو أعيا كان فيه التحامل

وقال :

يُديفون لى سمًّا وأسقيهم الحَيا ٭ ويَقْرونني شرا وشرى مؤخَّر
كأنى سلبت القوم نور عيونهم ٭ فلا العذر مقبول ولا الذنب يُغفر
وقد كان إحسانى لهم غير مرة ٭ ولكن إحسان البغيض مكفَّر

ولغيره : ٥

لم يبق من طلب الغِنى ٭ إلا التعرّض للْحتوف
فلأُقبلنّ وإن رأيت الموت يلمع فى الصفوف
إنى امرؤ لم أوتَ من ٭ أدب ولا حظّ سخيف
لكنه قَدَرٌ يزو ٭ ل من القوىّ إلى الضعيف

كتاب الزمردة

في المواعظ والزهد

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولُنا في الأمثال ، وما تفننوا فيها على كل لسان ، ومع كل زمان ؛ ونحن نبدأ بعون الله وتوفيقه بالقول في الزهد ورجاله المشهورين به ، ونذكر المُنتخل من كلامهم ، والمواعظ التي وعظت بها الأنبياء ، واستخلصتها الآباء للأبناء ، وجرت بين الحكماء والأدباء ؛ ومقامات العُبّاد بين أيدي الخلفاء .

فأبلغ المواعظ كلها كلام الله تعالى الأعز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ٱدْعُ إلى سبيل ربِّكَ بالحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنةِ وجادِلْهُم بالتي هيَ أحسنُ إنّ ربَّكَ هو أعلمُ بمَنْ ضَلَّ عن سبيلِهِ وهو أعلمُ بالمُهْتَدين * وإنْ عاقَبْتُمْ فعاقِبوا بمِثْلِ ما عوقِبتُمْ به ولئِنْ صَبَرْتُمْ لهُوَ خيْرٌ للصَّابِرين * واصْبِرْ وما صبْرُكَ إلّا باللهِ ولا تَحزَنْ عليهم ولا تَكُ في ضَيْقٍ ممّا يَمْكُرونَ * إنّ الله مع الذين اتَّقَوْا والذين همْ مُحْسِنون ﴾ .

وقال جل ثناؤه : ﴿ كيف تَكفرونَ باللهِ وكنتم أمْواتاً فأحياكمْ ثم يُميتُكم ثم يُحْيِيكُمْ ثم إليه تُرجَعونَ ﴾ .

وقال : ﴿ أوَ لمْ يَرَ الإنسانُ أنا خَلقناهُ من نُطْفةٍ فإذا هو خصيمٌ مُبينٌ * وضَرَبَ لنا مثلاً ونَسِيَ خَلقَهُ قال من يُحيِي العِظامَ وهي رميمٌ * قلْ يُحْيِيها الذي أنشأها أوّل مرّةٍ وهو بكُلِّ خَلقٍ عليمٌ ﴾ .

فهذه أبلغ الحجج وأحكم المواعظ .

ثم مواعظ الأنبياء صلوات الله عليهم ، ثم مواعظ الآباء للأبناء ، ثم مواعظ الحكماء والأدباء ، ثم مقامات العُبّاد بين أيدي الخلفاء ، ثم قولهم في الزهد ورجاله المعروفين به ، ثم المشهورين من المنتسبين إليه .

والموعظة ثقيلة على السمع مُحرِّجة[1] على النفس، بعيدة من القبول، لاعتراضها الشهوة، ومُضادتها الهوى، الذي هو ربيع القلب، ومراد الروح، ومربع اللهو، ومسرح الأمانى؛ إلا من وعظه علمُه، وأرشده قلبُه؛ وأحكمتْه تجربتُه قال الشاعر:

لن تَرجِعَ الأنْفُس عن غَيِّها * حتى يُرى منها لها واعظ ٥

وقالت الحكماء: السعيد من وُعِظَ بغيره. لا يَعنون من وعظه غيره، ولكن من رأى العِبَر فى غيره فاتعظ بها فى نفسه. ولذلك كان يقول الحسن: اقدَعُوا هذه النفوس فإنها طلَعة، وحادثوها بالذِّكْر فإنها سريعة الدثور، واعصوها فإنها إن أُطيعت نَزَعت إلى شَرِّ غاية.

وكان يقول عند انقضاء مجلسه وخَتم موعظته: يالها من موعظة لو صادفتْ من القلوب حياة. ١٠

لابن السماك

وكان ابن السماك يقول إذا فرغ من كلامه: ألسُنٌ تَصِف، وقلوبٌ تَعرِف، وأعمال تخالف.

وقال يونس بن عُبيد: لو أُمِرْنا بالجزَع لصَبَرنا. يريد ثقل الموعظة على السمع، وجنوح النفس إلى مخالفتها. ومنه قولهم: ١٥

* أحبُّ شىءٍ إلى الإنسانِ ما مُنِعا *

وقولهم: * والشىء يُرْغَبُ فيه حين يَمتنعُ *

والموعظة مانعة لك مما تشتهى، حاملة لك على ما تكره، إلا أن تلقاها بسمعٍ قد فتقته العِبرة، وقلب قدحت فيه الفِكرة، ونفس لها من عِلمها زاجر، ومن عقلها رادع؛ فيفتح لك باب التوبة، ويُوضح لك سبيل الإنابة. ٢٠

للنبى صلى الله عليه وسلم

قال النبى صلى الله عليه وسلم: حُفَّت الجنة بالمكاره، وحُفَّت النار بالشهوات. يريد أن الطريق إلى الجنة احتمالُ المكروه فى الدنيا، والطريق إلى النار ركوب الشهوات.

---

(١) فى بعض الأصول: «مستحرجة».

وخير الموعظة ما كانت من قائل مخلص ، إلى سامع مُنصف .

لبعضهم

وقال بعضهم : الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت فى القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان .

وقالوا : ما أحسنَ التاجَ ! وهو على رأس الملك أحسن . وما أحسنَ الدر ، وهو على نَحْر الفتاة أحسنُ . وما أحسنَ الموعظةَ ! وهى منَ الفاضل التقِىّ أحسن .

لزياد

وقال زياد : أيها الناس ، لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا ، أن تنتفعوا بأحسن ما تسمعون منا . قال الشاعر :

آعْمل بقوْلى وإن قَصَّرْتُ فى عملى * ينفعْك قولى ولا يَضْرُرْك تقْصيرى

لابن عباس فى كلام لعلى

وقال عبد الله بن عباس : ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتفعت بكلامٍ كَتَبه إلىّ علىٌ بن أبى طالب رضى الله عنه ، كتب إلىّ :

أما بعد : فإن المرء يَسُرُّه إدراك ما لم يكن ليفوتَه ، ويسوءه فوتُ ما لم يكن ليدركه . فليكن سرورُك بما نلت من أمرِ آخرتِك ، وليكن أسفُك على ما فاتك منها ؛ وما نلت من أمر دنياك فلا تكن به فرحا . وما فاتك منها فلا تأس عليه جزعا . وليكن همك ما بعد الموت .

حكيم بباب بعض الملوك

وقف حكيم بباب بعض الملوك فحجب ، فتلطّف برقعة وأوصلها إليه ، وكتب فيها هذا البيت :

ألمْ ترَ أنّ الفقْر يُرجَى له الغِنى * وأنّ الغِنى يُخشَى عليه من الفَقْر

فلما قرأ البيت لم يلبث أن انتعل وجعل لاطئةً على رأسه ، وخرج فى ثوب فِضَال ، فقال له : والله ما اتعظتُ بشىء بعد القرآن آتعاظى ببيتك هذا ! ثم قضى حوائجه .

مواعظ الأنبياء

عليهم السلام

النبي صلى الله عليه وسلم

قال أبو بكر بن أبي شَيبة يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم : يَكْفِى أحدَكم من الدنيا قدْرُ زاد الراكِبِ .

وقال صلى الله عليه وسلم : ابنَ آدمَ . اغْتنِمْ خمساً قبل خمسٍ : شبابَك قبْل هرَمِك ، وصِحَّتَك قبل سقمِك ، وغناك قبل فقرِك ، وفراغَك قبل شُغْلك ، وحياتَك قبل موْتك .

عبد الله بن سلام قال : لما قَدِم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتيتُه ، فلما رأيت وجهه علمت أنه ليس بوجهِ كذّاب ؛ فسمعتُه يقول : أيها الناسُ ، أطعِموا الطّعام ، وأفْشُوا السلام ، وصلُّوا والناس نيام .

لعيسى عليه السلام

وقال عيسى بن مريم عليه السلام : ألا أُخبركم بخيركم مجالسة ؟ قالوا : بلى ياروح الله . قال : من تُذكّركم بالله رؤيته ، ويزيد فى عملكم منْطِقُه ، ويُشوّقُكم إلى الجنة عملُه .

وقال عيسى بن مريم عليهما السلام للحواريين : ويْلَكم يا عَبيد الدنيا ! كيف تُخالفُ فروعُكم أصولَكم ، وأهواؤكم عقولَكم . قولكم شِفاءٌ يُبرئُ الدَّاء ، وفعلُكم داءٌ لا يقبل الدّواء . لستم كالكَرمة التى حسُن ورقُها ، وطاب ثمرُها ، وسهُل مرتقاها . ولكنكم كالسمُرة التى قلّ ورقها ، وكثر شوكها ، وصعُب مرتقاها . ويلكم ياعبيد الدنيا ! جعلتم العمل تحت أقدامكم من شاء أخذه ، وجعلتم الدنيا فوق رءوسكم لا يُمكن تناولها ؛ فلا أنتم عبيدٌ نُصحاء ، ولا أحرارٌ كِرام . ويلكم يا أُجَراء السوء ! الأجر تأخذون ، والعملَ تُفسدون ، سوف تلقوْن ماتحذَرون ، إذا نظر ربُّ العمل فى عمله الذى أفسدتم ، وأجره الذى أخذتم .

وقال عليه السلام للحواريين : اتخذوا المساجد بيوتاً ، والبيوت منازل ، وكلوا بَقل البرية ، واشربوا الماء القَراحَ ، وانجوا من الدنيا سالمين .

وقال عليه السلام للحواريّين : لا تنظُروا فى أعمال الناس كأنكم أرباب ، وانظُروا فى أعمالكم كأنكم عبيد ؛ فإنما الناس رجلان : مبتلًى ومعافًى ؛ فارحموا أهل البلاء ، واحمَدُوا الله على العافية .

وقال عليه السلام لهم أيضا : عجباً لكم ، تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها ٥ بغير عمل ؛ ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلا بعمل .

وقال يحيى بن زكريا عليه السلام للمكذّبين من بنى إسرائيل : يا نَسْل الأفاعى ، من دلّكم على الدخول فى المساخط المُوبِقة بكم ؟ ويلكم ! تقرّبوا بعمل صالح ، ولا تغرّنكم قرابتُكم من إبراهيم عليه السلام . فإن الله قادر على أن يستخرج من هذه الجنادل نسلاً لإبراهيم . إن الفأس قد وُضعت فى أصول الشجر ، فأَخْلِقْ ١٠ بكلّ شجرة مُرّة الطعم أن تُقطَعَ وتُلْقَى فى النار .

وقال شَعياء لبنى اسرائيل ، إذ أطلق الله لسانه بالوحى : إن الدابة تزداد على كثرة الرياضة لِينا ، وقلوبكم لا تزداد على كثرة الموعظة إلا قسوةً . إنّ الجسد إذا صلَح كفاه القليل من الطعام ، وإن القلب إذا صحّ كفاه القليل من الحكمة . كم من سراج قد أطفأته الريح ، وكم عابد قد أفسده العُجب . ١٥ يا بنى إسرائيل ، اسمعوا قولى ، فإن قائلَ الحكمة وسامعَها شريكان ، وأولاهما بها من حقّقها بعمله .

وقال المسيح صلى الله عليه وسلم : إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين نظروا إلى باطن الدنيا إذ نظر الناس إلى ظاهرها ، وإلى آجلها إذ نظروا إلى عاجلها ، فأماتوا منها ما خَشُوا أن يُميتهم ، وتركوا ما علموا أن ٢٠ سيتركهم ؛ هم أعداء لما سالم الناس ، وسِلْم لما عادى الناس ، لهم خبرٌ [1] ، وعندهم الخبر العجيب ، بهم نطق الكتاب وبه نطقوا ، وبهم عُلِم الهدى وبه عَمِلوا ، لا يرون أمانا دون ما يرجون ، ولا خوفا دون ما يحذرون .

---

(١) فى بعض الأصول «لهم خبر عجيب» .

داود عليه السلام

وَهب بن مُنبه قال : قال داود عليه السلام : يارب ، ابنُ آدم ليس منه شعرة إلا وتحتها لك نعمة وفوقها لك نعمة، فمن أين يكافئك بما أعطيته ؟ فأوحى الله إليه : يا داودُ ، إنّى أُعطِى الكثيرَ ، وأرضى من عبادى بالقليل ، وأرضَى من شُكر نعمتى بأن يعلم العبدُ أن ما به من نعمة فمِنْ عِندى لا من عندِ نفسه .

إبراهيم عليه السلام

ولما أمر الله عز وجل إبراهيمَ صلى الله عليه وسلم بذبح ولده وأن يجعله قربانا ، أسرَّ ذلك إلى خليل له يقال له العازر ، وكان له صديقاً ؛ فقال له الصديق إن الله لا يَبتلى بمثل هذا مثلَك ، ولكنه يُريد أن يَختبرك أو يختبر بك ؛ وقد علمتُ أنه لا يبتليك بمثل هذا ليفتنك ، ولا ليُضلك ولا ليُعنتك ، ولا لينقُض به بصيرتك وإيمانك ويقينك ؛ فلا يَرُوعنّك هذا ، ولا يسوأن بالله ظنُّك ؛ وإنما رفع اللهُ اسمَك فى البلاء عنده [1] على جميع أهل البلايا ، حتى كنت أعظمَهم محنة فى نفسك وولدك . ليرفعك بقدر ذلك فى المنازل والدرجات والفضائل : فليس لأهل الصبر فى فضيلة الصبر إلا فضلُ صبرك ، وليس لأهل الثواب فى فضيلة الثواب إلا فضلُ ثوابك . وليس هذا من وجوه البلاء الذى يَبْتَلِى اللهُ به أولياءه ؛ لأن الله أكرم فى نفسه ، وأعدل فى حكمه وأرحم بعباده من أن يجعل ذبح الولد الطّيب بيد الوالد النبى المصطفَى . وأنا أعوذُ بالله أن يكون هذا مِنى حَتما على الله أو ردًّا لأمره ، أو سُخطاً لحكمه ، ولكن هذا الرجاء فيه والظنّ به : فإن عَزم ربُّك على ذلك فكن عند أحسن علمه بك ؛ فإنى أعلم أنه لم يُعرِّضك لهذا البلاء الجسيم ، والخطْب العظيم ، إلا لحسن علمه بك ، وصِدْقك وتصبُّرك ؛ ليجعلك إماما ؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

ومن وحى الله تعالى إلى أنبيائه

أوحى الله عز وجل إلى نبىٍ من أنبيائه : إنى أنا اللهُ مالكُ الملوك ؛ قلوبُ الملوك بيدى ؛ فمن أطاعنى جعلتُ الملوك عليه رحمةً ؛ ومن عصانى جعلتُ الملوكَ عليه نِقْمَةً .

(١) فى بعض الأصول : « الملأ » .

المسيح عليه السلام

وممـا أنزل الله على المسيح فى الإنجيل : شوّقناكم فلم تشتاقوا ؛ ونُحنا لكُمْ فلم تبْكُوا : يا صاحبَ الخمسين ، ماقدمت وما أخرت ؟ يا صاحبَ الستين ، قد دنَا حَصَادُك ! يا صاحبَ السبعين ، هَلُمَّ إلى الحساب .

وفى بعض الكتب القديمة المنزلة : يقول الله عز وجل يوم القيامة : يا عِبادى طالمـا ظمِئْتُم ، وتقلّصتْ فى الدنيا شفاهُكم ، وغارت أعينُكم عطشا وجوعا : فكُلُوا واشربوا هنيئاً بمـا أسلفتم فى الأيام الخالية .

وأوحى الله تعالى إلى نبيٍّ من أنبيائه : هَب لى من قلبك الخشوع ، ومن نفسك الُخضوع ، ومن عينيك الدُّموع ؛ وسلْنى فأنا القريب المُجيب .

وفى بعض الكتب : عبدى ، كم أتحبّبُ إليك بالنعم وتتبَغّض إلىّ بالمعاصى ؛ خيرى إليك نازل ، وشرُّك إلىّ صاعد .

وأوحى الله إلى نبيٍّ من أنبيائه : إن أردت أن تسكن غدا حظيرةَ القُدْس ، فكن فى الدنيا فريداً ، وحيدا ، طريداً ، مهموما ، حزينا ؛ كالطير الوُحدانىّ : يظل بأرض الفلاة ، ويَرِدُ ماء العيون ، ويأكل من أطراف الشجر ؛ فإذا جنّ عليه الليل أوى وحده ، استيحاشا من الطير واستئناسا بربه .

وممـا أوحى الله إلى موسى فى التوراة : ياموسى بن عمران ، يا صاحب جبل لبنان ، أنت عبدى وأنا إلٰهكَ الدَّيّان ، لا تَسْتَذِلّ الفقير ، ولا تَغْبِطِ الغنى بشىء يسير ، وكن عند ذِكرِى خاشعا ، وعند تلاوةِ وحْيِى طائعا ؛ أسْمِعْنى لذاذة التوراة بصوت حزين .

موسى عليه السلام

وقال وهب بن مُنبِّه : أوحى الله إلى موسى عند الشجرة : لا تُعجِبنَّك زينةُ فرعونَ ولا مامُتِّعَ به ، ولا تَمُدَّنَّ إلى ذلك عينَك ؛ فإنهـا زهرة الحياة الدنيا وزينةُ المترفين ؛ ولو شئتُ أن أوتيَكَ زينةً يعلم فرعون حين ينظر إليها أن مقدرته تعجز عنها فعلتُ ؛ ولكنى أرغبتك عن ذلك وأزْوَيْته عنك ؛ فكذلك أفعلُ بأوليائى ؛ إنى لأذودهم عن نعيمها ولذاذتها كما يذود الراعى الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة ؛ وإنى لأحميهم عيشها وحلوتها ، كما يحمى الراعى ذوده عن مَبارك العُرّ .

يوسف عليه السلام

وذُكر عن وهب بن مُنبه أن يوسف لما لبث فى السجن بضع سنين ، أرسل الله جبريل إليه بالبشارة بخروجه ، فقال : أما تعرفنى أيها الصِّدِّيق ؟ قال يوسف : أرى صورة طاهرة وروحا طيبا لا يشبه أرواح الخاطئين . قال جبريل : أنا الروح الأمين ، رسول رب العالمين . قال يوسف : فما أدخلك مداخل المُذنبين ، وأنت سيد المُرسلين ، ورأس المقرَّبين ؟ قال : ألم تعلم أيها الصديق ٥ أن الله يطهر البيوت بطُهر النبيين . وأن البُقعة التى تكون فيها هى أطهر الأرَضين ، وأنّ الله قد طهّر بك السجن وما حوله يا بن الطاهرين . قال يوسف : كيف تُشبهنى بالصالحين ، وتُسمينى بأسماء الصادقين ، وتعدُّنى مع آبائى المخلصين ، وأنا أسير بين هؤلاء المجرمين ؟ قال جبريل : لم يَكْلِم قلبك الجَزَعُ ، ولم يُغيِّرْ خُلُقَكَ البلاء ، ولم يتعاظمْك السجنُ ، ولم تطأ فراش سيِّدك ، ولم يُنسِك بلاء ١٠ الدنيا بلاء الآخرة ، ولم تُنسِك نفسُك أباك ، ولا أبوك ربَّك ، وهذا الزمان الذى يفكُّ الله فيه عُنقك ، ويعتق فيه رقبتك ، ويُبيِّنُ للناس فيه حِكْمَتَك ، ويُصدِّقُ رؤياك ، ويُنصِفُك ممن ظلمك ، ويجمع لك أحبتَك ويَهَبُ لك مُلْكَ مصر تَملِكُ ملوكها ، وتَذل جبابرتَها ، وتُصغِّر عظماءها ، ويُذِلُّ لك أعزتها . ويُخدمُك سوقتَها ، يُخوِّلك خَوَلَها ، ويَرحم بك مساكينَها ، ويُلقِى لك المودةَ والهيبةَ ١٥ فى قلوبهم ، ويَجعل لك اليدَ العليا عليهم ، والأثر الصالح فيهم ، ويُرِى فرعونَ حلماً يفزَع منه حتى يسهرَ ليلَه ، ويذهبَ نومُه ، ويُعمِّى عليه تفسيره وعلى السحرةِ والكهنةِ ، ويُعلِّمكَ تأويلَه .

مواعظ الحكماء

لعلى

قال على بن أبى طالب كرّم الله وجهه : أُوصيكم بخمس لو ضُرِبتْ عليها ٢٠ آباطُ الإبل لكان قليلا : لا يرجُوَنَّ أحدكم إلا ربَّه ، ولا يخافنَ إلا ذنبَه ، ولا يستَحِي إذا سُئِل عما لا يعلم أن يقولَ لا أعْلَم ، وإذا لم يعْلَم الشيء أن يتعلّمه . واعلموا أنّ الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا قُطع الرأس ذهب الجسد .

وقال أيضا : من أراد الغنى بغير مال ، والكثرة بلا عشيرة ، فليتحوّلْ من ذُل المعصية إلى عزّ الطاعة ؛ أَبَى الله إلا أن يذل من عصاه .

الحسن

وقال الحسن : من خاف اللهَ أخاف اللهُ منه كل شىء ، ومن خاف النّاس أخافه اللهُ من كل شىء .

لبعضهم

٥ وقال بعضهم : من عمل لآخرته كفاه الله أمْرَ دنياه ، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ، ومن أخلص سريرته أصلح الله علانيته .

كلمات أربع للعرب والعجم

قال العُتبي : اجتمعت العرب والعجم على أربع كلمات ، قالوا : لا تحملن على قلبك ما لا تُطيق ، ولا تَعملن عملا ليس لك فيه منفعة ، ولا تثق بامرأة ، ولا تغتر بمال وإن كثر .

لأبى بكر فى موته يوصى عمر

١٠ وقال أبو بكر الصديق لعمر بن الخطاب رضى الله عنهما عند موته حين استخلفه : أُوصيك بتقوى الله ؛ فإنّ لله عَملا بالليل لا يَقبلُه بالنهار ، وعملا بالنهار لا يقبلُه بالليل ؛ وإنه لا يقبل نافلة حتى تؤدَّى الفرائض . وإنما ثقلتْ موازين من ثقُلَت موازينه يوم القيامة باتّباعهم الحق وثِقَله عليهم ؛ وحُقَّ لميزان لا يُوضَع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلا . وإنما خَفت موازين من خَفَّت موازينه ١٥ يوم القيامة باتباعهم الباطل فى الدنيا وخفّته عليهم ؛ وحق لميزان لا يوضَع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفا . وإن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم ، وتجاوز عن سيئاتهم ، فإذا سمعْتَ بهم قلت : إنى أخاف ألَّا أكون من هؤلاء . وذكر أهل النار بأقبح أعمالهم ، وأمسك عن حسناتهم ؛ فإذا سمعت بهم قلت : أنا خير من هؤلاء . وذَكر آيةَ الرحمة مع آية العذاب : ليكون العبد راغباً راهبا ، ٢٠ لا يتمنى على الله غير الحق . فإذا حفظت وصيتى فلا يكونن غائبٌ أحبَّ إليك من الموت ، وهو آتيك ؛ وإن ضيعت وصيتى فلا يكونن غائبٌ أكرهَ إليك من الموت ، ولن تُعجزه .

الحسن وابن الأهتم

ودخل الحسن بن أبى الحسن على عبد الله بن الأهتم يعوده فى مرضه ؛ فرآه يصوِّب بصره فى صُندوق فى بيته ويُصعِّده ، ثم قال : أباسعيد ، ما تقول

فى مائة ألف فى هذا الصندوق لم أؤدّ منها زكاة ولم أصِل منها رحما ؟ قال : ثكلتك
أمك ! ولمن كنت تجمعُها ؟ قال : لروعة الزمان ؛ وجفوة السلطان ؛ ومُكاثرة
العشيرة . قال : ثم مات ، فشهده الحسن . فلما فرغ من دفنه قال : انظروا إلى
هذا المسكين ! أتاه شيطانه فحذّره روعة زمانه ، وجَفوة سلطانه ، ومُكاثرة
عشيرته ، عما رزقه الله إياه وغمره فيه ؛ انظروا كيف خرج منها مسلوبا محزونا ، ٥
ثم التفت إلى الوارث فقال : أيها الوارث ، لا تُخدعَنّ كما خُدع صُويحِبُك بالأمس ،
أتاك هذا المال حلالا فلا يكونَنّ عليك وبالا . أتاك عفواً صفْواً ، ممن كان له
جَمُوعا مَنُوعا ؛ من باطل جَمَعه ، ومن حقٍّ منَعه ؛ قَطع فيه لُجَج البحار ، ومَفاوز
القِفار ، لم تكدح فيه بيمين ، ولم يعرق لك فيه جبين . إن يوم القيامة يومٌ
ذو حسرات ، وإن من أعظم الحسرات غداً أن ترى مالَك فى ميزان غيرك . فيا لها ١٠
عثرةً لا تقالُ . وتوبة لا تُنال .

لحكيم يعظ قوما — ووعظ حكيمٌ قوماً فقال : يا قوم ، استبدلوا العوارىَ بالهبات تحمدوا العقبى ،
واستقبلوا المصائب بالصبر تستحقوا النُّعمى ، واستديموا الكرامة بالشكر تستوجبوا
الزيادة . واعرِفوا فضل البقاء فى النعمة والغنى فى السلامة قبل الفتنة الفاحشة ،
والمَثُلة البينة ، وانتقال العمل ، وحلول الأجل ؛ فإنما أنتم فى الدنيا أغراضُ ١٥
المنايا ، وأوطان البلايا ، ولن تنالوا نعمةً إلا بفراق أخرى ، ولا يَستقبل منكم
مُعمَّرٌ يوما من عُمُره إلا بانتقاص آخر من أجله ، ولا يحيا له أثر إلا مات له أثر ،
فأنتم أعوان الحُتوف على أنفسكم ، وفى معاشكم أسبابُ مناياكم ، لا يَمنعكم شىء
منها ، ولا يَشغلكم شىء عنها ، فأنتم الأخلاف بعد الأسلاف ، وستكونون أسلافا
بعد الأخلاف ، بكل سبيل منكم صريع مُنعفر ، وقائم ينتظر ، فمن أى وجه ٢٠
تطلبون البَقاء ، وهذان الليل والنهار لم يرفعا شيئاً قط إلا أسرعا الكرة فى هَدمه ،
ولا عقدا أمراً قط إلا رجعا فى نقضه .

لأبى الدرداء — وقال أبو الدَّرداء : يا أهل دمشق ، مالكم تَبنون مالا تسكنون ، وتأملون
مالا تُدركون ، وتجمعون مالا تأكلون ؟ هذه عاد وثمود قد ملئوا ما بين بُصرى

وعدن أموالا وأولادا ، فمن يشترى منى ما تركوا بدرهمين .

لابن شبرمة — وقال ابن شُبرمة : إذا كان البدن سقيما لم ينجع فيه الطعام ولا الشراب ، وإذا كان القلب مغرما بحُب الدنيا لم تنجع فيه الموعظة .

لابن خثيم — وقال الربيع بن خُثيم : أَقِلِ الكلام إلا من تِسع : تكبير ، وتهليل، وتسبيح ، وتحميد ، وسؤالك الخير ، وتعوُّذك من الشر ، وأمرك بالمعروف ، ونهيك عن المنكر ، وقراءتك القرآن .

لحكيم يعظ — قال رجل لبعض الحكماء : عِظْنى ! قال : لا يراك الله بحيث نهاك ، ولا يَفقِدُك من حيث أمرَك .

وقيل لحكيم : عظنى ! قال : جميع المواعظ كلّها منتظمة فى حرف واحد . قال : وما هو ؟ قال : تُجمِع على طاعة الله فإذا أنت قد حويت المواعظ كلها .

أبو جعفر وسفيان — وقال أبو جعفر لسفيان : عِظْنى ! قال : وما عَمِلْتَ فيما علِمتَ فأعظك فيما جَهِلْت ؟

الرشيد وابن السماك — قال هارون لابن السمّاك : عظنى ! قال : كفى بالقرآن واعظا . يقول الله تبارك وتعالى ﴿ألم تَرَ كيف فعَل ربُّك بعادٍ ، إرَمَ ذاتِ العِمادِ التى لم يُخلَق مثلُها فى البلادِ ، وثمودَ الذين جابُوا الصَّخر بالوادِ ، وفرعونَ ذى الأوتادِ ، الذين طَغَوْا فى البلاد ، فأكثَروا فيها الفسادَ ، فصَبَّ عليهم ربُّك سوْطَ عذابٍ ، إنَّ ربَّك لبالمرصَادِ﴾ .

مكاتبة جرت بين الحكماء

بين حكيمين — عتب حكيم على حكيم ، فكتب المعتوب عليه إلى العاتب : يا أخى ، إن أيام العُمر أقصر من أن تحتمل الهجر . فرجع إليه .

الحسن وعمر بن عبد العزيز — وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز : أما بعد ، فكأنك بالدنيا لم تكنْ ، وبالآخرة لم تَزل . والسلام .

وكتب إليه عمر : أما بعد فكأن آخر من كتِب عليه الموتُ قد مات ، والسلام .

بين سلمان وأبي الدرداء

ابن المبارك قال : كتب سلمان الفارسى إلى أبى الدرداء : أما بعد ؛ فإنك لن تَنال ما تُريد إلا بترك ماتشتهى ، ولن تنالَ ما تأمُل إلا بالصبر على ما تكره . فليكن كلامُك ذِكرا ، وصمتُك فِكرا ، ونظرُك عِبَرا ؛ فإن الدنيا تتقلب وبهجتُها تتغير فلا تغترّ بها ، وليكن بيتُك المسجد . والسلام .

فأجابه أبو الدرداء : سلام عليك ، أما بعد ؛ فإنى أُوصيك بتقوى الله ، وأن تأخذ من صحتك لسَقمِك ، ومن شبابك لهرَمِك ، ومن فراغِك لشُغُلك ، ومن حياتِك لموتِك ؛ ومن جفائك لمودّتك ، واذكر حياةً لا موتَ فيها فى إحدى المنزلتين . إما فى الجنة ، وإما فى النار ؛ فإنك لا تدرى إلى أيهما تصير . ٥

أبو موسى وعامر ابن عبد القيس

وكتب أبو موسى الأشعرى إلى عامر بن عبد القيس : أما بعد ؛ فإنى عاهدتك على أمر وبلغنى أنك تغيرت ، فإن كنت على ماعهدتُك فاتق الله ودُمْ ، وإن كنت على مابلغنى فاتق الله وعُدْ . ١٠

ابن النضر وأخ له

وكتب محمد بن النضر إلى أخ : أما بعد ؛ فإنك على مَنهج وأمامك منزلان لابد لك من نزول أحدهما ، ولم يأتك أمان فتطمئن ، ولا براءة فتتكل .

بين حكيمين

وكتب حكيم إلى آخر : اعلم حفظك الله أن النفوس جُبلت على أخذ ما أُعطيَتْ ومنع ماسئلت ؛ فاحملها على مطيّة ، لا تُبطئ إذا رُكبت . ولا تسبق إذا قُدِّمَتْ ؛ فإنما تحفظ النفوس على قدر الخوف ، وتطلب على قدر الطمع ، وتطمع على قدر السبب . فإذا استطعت أن يكون معك خوف المُشفق وقناعة الراضى فافعل . ١٥

من عمر بن عبد العزيز إلى ابن حيوة

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى رجاء بن حَيْوة : أما بعد ، فإنه من أكثر من ذكر الموت اكتفى باليسير ، ومَن عَلِمَ أن الكلامَ عملٌ قلّ كلامُه إلا فيما يَنفعه . ٢٠

من عمر بن الخطاب إلى ابن غزوان

وكتب عمر بن الخطاب إلى عُتبة بن غَزْوان عامِله على البصرة : أما بعد ؛ فقد أصبحت أميراً تقولُ فيسمعُ لك ، وتأمر فينفُذ أمرُك ؛ فيالها نعمةً إن لم ترفعْك فوق قدرك ، وتُطغيك على من دونك ؛ فاحترس من النعمة أشدّ من احتراسك

من المصيبة ؛ وإياك أن تَسقط سقطة لا لعاً لها ـ أى لا إقالة لها ـ وتعثر عثرة لا تُقالها . والسلام .

من الحسن إلى عمر

وكتب الحسن إلى عمر : إنّ فيما أمرك اللهُ به شُغُلا عما نهاك عنه ، والسلام .

بين عمر بن عبد العزيز والحسن

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن : آجمعْ لى أمْرَ الدنيا ، وصِفْ لى أمْرَ الآخرة .

٥

فكتب إليه : إنما الدنيا حُلمٌ ، والآخرةُ يقظة ، والموتُ متوسط ؛ ونحن فى أضغاث أحلام . من حاسبَ نفسه رَبِحَ ، ومن غفَل عنها خَسِر ، ومن نظر فى العواقب نجا ، ومن أطاع هواه ضلَّ ، ومن حلُمَ غَنِم ، ومن خاف سلم ؛ ومن آعتبر أبصر ، ومن أبصر فهِم ، ومن فهم علم ، ومن علم عمل ، فإذا زللتَ فارجع ، وإذا ندمت فأقلع ، وإذا جهلت فاسأل ، وإذا غضبت فأمسك . وآعلم أنّ أفضل الأعمال ما أُكرِهَت النفوسُ عليه .

١٠

مواعظ الآباء للأبناء

لقمان يوصى ابنه

قال لقمان لابنه : إذا أتيت مجلس قوم فارمهم بسهم السلام ثم اجلس ، فإن أفاضوا فى ذكر الله فأجِل سهمك مع سهامهم ، وإن أفاضوا فى غير ذلك فتخلَّ عنهم وانهض [1] .

١٥

وقال : يا بُنَىَّ ؛ استعذ بالله من شرار الناس ، وكن من خيارهم على حذر .

لأكثم

ومثل هـذا قول أكثم بن صيفى : احذر الأمين ولا تأتمن الخائن ، فإن القلوب بيد غيرك .

لقمان يعظ ابنه

وقال لقمان لآبنه : لا تركنْ إلى الدنيا ، ولا تَشغل قلبـك بهـا ، فإنك لم تخلق لهـا ، وما خلق اللهُ خلقاً أهون عليـه منها ، فإنه لم يجعل نعيمها ثواباً للمطيعين ، ولا بلاءها عُقوبة للعاصين . يا بُنى ، لا تضحك من غير عجب ، ولا تَمْشِ فى غير أرب ، ولا تسأل عما لا يَعنيك . يا بنى ، لا تضيِّعْ مالك وتصلح

٢٠

(١) فى بعض الأصول : « وانفض ثوبك » .

مال غيرك ؛ فإنما لك ماقدمت ، ولغيرك ما تركت . يابنى ؛ إنه من يرحم يُرحم ، ومن يَصْمُتْ يسلم ، ومن يَقُل الخير يغنم ، ومن يقل الباطل يأثم ، ومن لايملكْ لسانه يندم . يابنى ، زاحم العلماء بركبتيك ، وأنصت إليهم بأذنيك ؛ فإن القلب يحيا بنور العلماء كما تحيا الأرض الميتة بمطر السماء .

ابن صفوان ينصح ابنه

٥ وقال خالد بن صفوان لابنه : كن أحسنَ ما تكون فى الظاهر حالا ، أقلَّ ما تكون فى الباطن مآلا . ودع من أعمال السر ما لا يصلح لك فى العلانية .

لأعرابى يوصى ابنه

وقال أعرابى لابنه : يا بنى ، إنه قد أسمعك الداعى ، وأعذر إليك الطالب ، وانتهى الأمر فيك إلى حدِّه ؛ ولا أعرف أعظمَ رزية ممن ضيّع اليقين وأخطأه الأمل .

لعلى بن الحسين يوصى ابنه

١٠ وقال على بن الحسين لابنه ، وكان من أفضل بنى هاشم : يا بنى ، اصبر على النوائب ، ولا تَعَرَّضْ للحتوف ، ولا تُجب أخاك من الأمر إلى ما مضرّته عليك أكثر من منفعته لك .

لحكيم فى مثله

وقال حكيم لبنيه ، يا بَنِىّ ؛ إياكم والجزَع عند المصائب ؛ فإنه مَجلَبَةٌ للهمّ ، وسوء ظنٍ بالرب ، وشماتةٌ للعدوّ . وإياكم أن تكونوا بالأحداث مغترين ، ولها

١٥ آمنين ؛ فإنى والله ما سَخِرْتُ من شىء إلا نزل بى مثلُه ؛ فاحذروها وتوقّعوها . فإنما الإنسان فى الدنيا غرض تعاوره السهام ، فمجاوزٌ له ومقصِّر عنه ، وواقع عن يمينه وشماله ، حتى يصيبَه بعضها . واعلموا أنّ لكل شىء جزاءً ، ولكل عمل ثوابا . وقد قالوا : كما تدين تُدان ؛ ومن بَرّ يوما بُرَّ به .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

٢٠ إذا ما الدهرُ جَرَّ على أُناسٍ * حوادثَهُ أناخ بآخَرينا

فقُلْ للشامتين بنا : أفيقوا * سيَلقى الشامتون كما لَقِينا

لحكيم يعظ ابنه

وقال حكيم لابنه : يا بنى إنى مُوصيك بوصية ؛ فإن لم تحفظ وصيتى عنى لم تحفظها عن غيرى . اتق الله ما استطعت . وإن قدرت أن تكون اليوم خيراً منك أمس ، وغداً خيراً منك اليوم فافعل . وإياك والطمع ، فإنه فقرٌ حاضر .

وعليك باليأس فإنك لن تيأس من شيء قط إلا أغناك الله عنه . وإياك وما يُعتذر منه ، فإنك لن تعتذر من خير أبداً ، وإذا عثر عاثر فاحمد الله ألّا تكون هو .
يا بنى ، خذ الخير من أهله ، ودع الشر لأهله ، وإذا قمت إلى صلاتك فصلِّ صلاة مُوَدِّع وأنت ترى ألّا تصلى بعدها .

لعلى بن الحسين فى مثله

٥ وقال على بن الحسين عليهما السلام لابنه : يا بنى ، إن الله لم يرضك لى فأوصاك بى ، ورضينى لك فحذّرنى منك . واعلم أنّ خير الآباء للأبناء من لم تَدْعُه المودّة إلى التفريط فيه ، وخير الأبناء للآباء من لم يَدْعُه التقصير إلى العقوق له .

لحكيم فى مثله

وقال حكيم لابنه : يا بنى ، إن أشدّ الناس حسرة يوم القيامة : رجلٌ كسب ١٠ مالا من غير حِلّه فأدخله النار ، وأورثه مَن عمل فيه بطاعة الله فأدخله الجنة .

ابن عتبة وأبوه

عمرو بن عُتبة قال : لما بلغتُ خمس عشرة سنة قال لى أبى : يا بنى ؛ قد تقطعت عنك شرائع الصِّبا فالزم الحياء تكن من أهله ، ولا تزايله فتبين منه ؛ ولا يغرّنك من اغترّ بالله فيك فمدحك بما تعلم خلافه من نفسك ؛ فإنه مَن قال فيك من الخير ما لم يعلم إذا رَضى ، قال فيك من الشر مثله إذا سَخِط . فاستأنِسْ ١٥ بالوُحدة من جلساء السوء تسلَمْ مِنْ غبّ عواقبهم .

لعبد الملك يوصى بنيه

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه : كفّوا الأذى ، وابذلوا المعروف ، واعفوا إذا قدرتم ، ولا تبخلوا إذا سُئلتم ، ولا تُلحِفوا إذا سألتم ؛ فإنه من ضَيّق ضُيِّق عليه ، ومن أعطى أخلَف الله عليه .

للأشعث فى مثله

وقال الأشعث بن قيس لبنيه : يا بنى ، لا تَذِلُّوا فى أعراضكم ، وانخدعوا فى ٢٠ أموالكم : ولتخفّ بطونكم من أموال الناس ، وظهوركم من دمائهم : فإنّ لكل امرئ تبعة ؛ وإياكم وما يُعتذر منه أو يستحى : فإنما يُعتذر من ذنب ، ويستحى من عيب ؛ وأصلحوا المال لجفوة السلطان وتغير الزمان ، وكفوا عند الحاجة عن المسألة ؛ فإنه كفى بالردّ مَنعا ؛ وأجملوا فى الطلب حتى يوافق الرزق قدَراً ؛ وامنعوا النساء من غير الأكفاء ؛ فإنكم أهل بيت يتأسّى بكم الكريم ، ويتشرف

بكم اللئيم ، وكونوا فى عوام الناس مالم يضطرب الحبل ، فإذا اضطرب الحبل فالْحَقُوا بمشائركم .

من عمر بن الخطاب إلى ابنه عبد الله

وكتب عمر بن الخطاب إلى ابنه عبد الله فى غيبة غابها : أما بعد فإن من اتقى الله وقاه ، ومن اتكل عليه كفاه ، ومن شكر له زاده ، ومن اقترضه جزاه . فاجعل التقوى عمارة قلبك ، وجلاء بصرك . فإنه لا عمل لمن لا نيّة له ، ولا خير لمن لا خَشية له ، ولا جديد لمن لا خَلَق له .

من على إلى ابنه الحسن

وكتب على بن أبى طالب إلى ولده الحسن عليهما السلام : من علىّ أمير المؤمنين الوالدِ الفان ، المقرّ للزمان ، المستسلم للحدثان ، المُدبر العُمر ، المؤمل ما لا يدرك السالك سبيل من قد هَلك ، غرَض الأسقام ، ورهينة الأيام ، وعبد الدنيا ، وتاجر الغرور ، وأسير المنايا ، وقرين الرزايا ، وصريع الشهوات ، ونُصب الآفات ، وخليفة الأموات . أما بعد ؛ يا بنى ، فإن فيما تفكرت فيه من إدبار الدنيا عنى ، وإقبال الآخرة علىّ . وجُموح الدهر علىّ ما يرغِّبنى عن ذكر سوائى ، والاهتمام بما ورائى ، غير أنه حيث تفرد بى همُّ نفسى دون همّ الناس ، فصدَقنى رأيى ، وصرَفنى عن هواى ، وصرح بى محض أمرى ، فأفضى بى إلى جِدٍ لا يُزْرى به لعب ، وصِدْقٍ لا يَشوبه كذب ، ووجدتُك يا بنى بعضى ، بل وجدتك كُلّى ، حتى كأن شيئاً لو أصابك لأصابنى ، وحتى كأن الموت لو أتاك أتانى . فعند ذلك عنانى من أمرك ما عنانى من أمر نفسى . كتبت إليك كتابى هذا يا بنى مستظهرا به إن أنا بقيت لك أو فنيت ، فإنى مُوصيك بتقوى الله ، وعمارة قلبك بذكره ، والاعتصام بحبله فإن الله تعالى يقول : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً ولا تَفَرَّقوا وآذكُروا نِعمةَ اللهِ عليكُمْ إذ كنتم أعْداءً فألّفَ بين قلوبكُمْ فأصبحتم بنِعْمَتِهِ إخواناً ﴾ . وأى سبب يا بنى أوثق من سبب بينك وبين الله تعالى إن أنت أخذت به ، أحيِ قلبك بالموعظة ، ونوِّرْه بالحكمة وأمِتْه بالزهد ، وذلّله بالموت ، وقوّه بالغنى عن الناس ، وحَذِّره صولة الدهر ؛ وتقلُّب الأيام والليالى ، وآعرض عليه أخبار الماضين وسِرْ فى ديارهم وآثارهم فانظر ما فعلوا ،

وأين حلوا ، فإنك تجدهم قد انتقلوا من دار الغرور ونزلوا دار الغربة . وكأنك عن قليل يا بنى قد صرت كأحدهم ، فبع دنياك بآخرتك ، ولا تبع آخرتك بدنياك . ودع القول فيما لا تعرف ، والأمر فيما لا تُكلَّف ، وأْمُرْ بالمعروف بيدك ولسانك ، وآنْهَ عن المنكر بيدك ولسانك ، وبايِنْ مَن فعَله ، وخُضِ الغمرات إلى الحق ، ولا يأخذك فى الله لومةُ لائم ، واحفظ وصيَّتى ولا تذهب عنك صَفحاً ، فلا خير فى علم لا ينفع . واعلم أنه لاغنى لك عن حُسن الآرتياد مع بلاغك من الزاد ، فإن أصبت من أهل الفاقة من يحمل عنك زادك فيوافيك به فى معادك فاغتنمه ، فإن أمامك عقبة كئوداً لا يجاوزها إلا أخف الناس حملا فأَجمِلْ فى الطلب ، وأحسن المكتَسب . فرُب طلبٍ قد جرَّ إلى حرَب . وإنما المحروب من حُرب دينه ، والمسلوب من سُلب يقينَه . وآعلم أنه لا غنى يَعدِل الجنة ؛ ولا فَقر يعدل النار . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

منه إلى ولده ابن الحنفية

وكتب إلى آبنه محمد بن الحنفية : أنْ تَفقَّهْ فى الدين ، وعوِّدْ نفسك الصبر على المكروه ، وكِلْ نفسك فى أمورك كلّها إلى الله عز وجل ، فإنك تكلها إلى كهف[1] حريز ، ومانع عزيز ، وأخلص المسألة لربك فإن بيده العطاء والحرمان وأكثر الاستخارة له ، وآعلم أن من كان مطيته الليل والنهار فإنه يُسارُ به وإن كان لا يسير ، فإن الله تعالى قد أبى إلا خراب الدنيا وعمارة الآخرة ، فإن قدرت أن تزهد فيها زُهْدَك كله فافعل ذلك ، وإن كنت غير قابل نصيحتى إياك فاعلم علما يقينا أنك لن تبلغ أملك ، ولا تعدُوَ أجلَك ، فإنك فى سبيل[2] من كان قبلك ، فأكرِمْ نفسك عن كل دَنيَّة وإن ساقتك إلى الرغائب ، فإنك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضا ، وإياك أن توجِفَ بك مطايا الطمع وتقول : متى ما أُخِّرت نَزَعت ، فإن هذا أهْلك من هَلك قبلك ، وأمسِك عليك لسانَك ، فإنَّ تلافيك ما فرط من صمتك ، أيسر عليك من إدراك مافات من منطقك ،

(١) فى بعض الأصول : «كاف» .

(٢) فى بعض الأصول : «فى ديوان» .

وٱحفظ ما في الوعاء بشدّ الوكاء ، فحُسْن التدبير مع الاقتصاد أبقى لك من الكثير مع الفساد والحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور ، والمرء أحفظ لسره ، ولربما سعى فيما يضره ، وإياك والاتكال على الأمانى ، فإنها بضائع النَّوْكى ، وتُثَبِّط عن الآخرة والأولى ، ومن خير حظ الدنيا القرين الصالح ، فقارن أهل الخير تكن منهم ، وباينْ أهل الشر تَبِنْ عنهم ، ولا يَغلِبَنَّ عليك سوء الظن ، فإنه لن يدعَ بينك وبين خليلٍ صُلحاً . أذْكِ قلبَك بالأدب كما تُذْكى النارَ بالحطب ، واعلم أن كُفر النعمة لؤمٌ ، وصُحبةَ الأحمق شُؤمٌ ، ومن الكرم مَنعُ الحرم ، ومن حَلُم ساد ، ومن تفهم ازداد . ٱمحَض أخاك النصيحة ، حسنةً كانت أو قبيحة . لا تَصرم أخاك على ارتياب ، ولا تَقطعه دون استعتاب ، وليس جزاءُ من سرك أن تسوءه . الرزق رزقان : رزقٌ تطلبه ورزق يطلبك ، فإن لم تأته أتاك ، واعلم يا بنى أنه مالك من دنياك إلا ما أصلحت به من مثواك ، فأنفق من خيرك . ولا تكن خازنا لغيرك ، وإن جزعت على ما يُفلت من يديك ، فاجزع على ما لم يصل إليك ربما أخطأ البصيرُ قَصْدَه ، وأبصر الأعمى رشده ، ولم يَهلك ٱمرؤ ٱقتصد ، ولم يَفتقر من زَهد . من ائتمن الزمان خانه ومن تعظم عليه أهانه . رأس الدين اليقين ، وتمام الإخلاص ٱجتناب المعاصى ، وخير المقال ما صدّقه الفعال . سل عن الرفيق قبل الطريق ، وعن الجار قبل الدار ، واحمل لصديقك عليك ، واقبل عذرَ من اعتذر إليك ، وأخرّ الشر ما ٱستطعت ، فإنك إذا شئت تعجّلته . لا يكن أخوك على قَطيعتك أقوى منك على صِلته ، وعلى الإساءة أقوى منك على الإحسان . لا تُمَلِّكَنّ المرأة من الأمر ما يجاوز نفسها ، فإن المرأة ريحانة ، وليست بقَهرمانة ، فإنّ ذلك أدوم لحالها ، وأرخى لبالها ، واغضُض بصرها بسترك ، واكفُفها بحجابك ، وأكرِم الذين بهم تصول ، فإذا تطاولت تطول . أسأل الله أن يُلْهِمك الشكر والرشد ، ويُقوّيك على العمل بكل خير ، ويصرف عنك كل محذور برحمته . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

مقامات العباد عند الخلفاء

مقام صالح بن عبد الجليل

قام صالح بن عبد الجليل بين يدى المهدى فقال له : إنه لما سَهُل علينا ما توعّر على غيرنا من الوصول إليك ، قُمنا مقام الأداء عنهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بإظهار ما فى أعناقنا من فريضة الأمر والنهى [عند] انقطاع عذر الكتمان ، ولا سيما حين اتسمتَ بمِيْسم التواضع ، ووعدتَ الله وحَمَلَة كتابه إيثارَ الحقّ على ما سواه ، فجمعَنا وإياك مشهدٌ من مشاهد التمحيص . وقد جاء فى الأثر : مَن حَجبَ الله عنه العلم عذّبه على الجهل ، وأشدُّ منه عذاباً مَنْ أقبلَ إليه العلمُ فأدبرَ عنه . فاقبل يا أمير المؤمنين ما أهدَى إليك من ألسنتنا قَبُولَ تحقيق وعمل ، لا قَبولَ سُمْعةٍ ورياء ؛ فإنما هو تنبيه من غفلة ، وتذكير من سهو وقد وطّن الله عز وجل نبيه على نزولهما ، فقال تعالى : ﴿ وإمّا يَنْزَغَنَّكَ من الشيطانِ نَزْغ فاستَعِذْ بالله إنَّهُ سميعٌ عليم ﴾ .

مقام رجل من العبّاد عند المنصور

بينما المنصور فى الطواف ليلا إذ سمع قائلا يقول اللهمّ إنى أشكو إليك ظهورَ البغى والفساد فى الأرض ، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع ، فخرج المنصور ، فجلس ناحية من المسجد ، وأرسل إلى الرجل يدعوه فصلى الرجلُ ركعتين ، واستلم الركن ، وأقبل مع الرسول فسلم عليه بالخلافة

فقال المنصور : ما الذى سمعتُك تذكر من ظهور الفساد والبغى فى الأرض ، وما الذى يحول بين الحق وأهله من الطمع ؟ فوالله لقد حشوتَ مسامعى ما أرمضنى .

فقال : إن أمّنتنى يا أمير المؤمنين أعلمتُك بالأمور من أصولها ، وإلا احتجزت منك واقتصرت على نفسى فلى فيها شاغل .

قال : فأنت آمن على نفسك فقل . فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الذى دخله الطمع حتى حال بينه وبين ما ظهر فى الأرض من الفساد والبغى لأنتَ . فقال : فكيف ذاك ويحك ! يَدْخُلُنى الطمع والصفراء والبيضاء فى قبضتى ، والحلو والحامض عندى؟ قال : وهل دخل أحد من الطمع ما دخلك؟ إن الله استرعاك أمر عباده وأموالهم ، فأغفلت أمورَهم ، واهتممتَ بجمْع أموالهم ، وجعلتَ بينك وبينهم حجاباً من الجصّ والآجُرّ ، وأبواباً من الحديد ، وحُرَّاساً معهم السلاح ، ثم سجنتَ نفسك عنهم فيها ، وبعثتَ عُمَّالك فى جباية الأموال وجمعها وقوّيتهم بالرجال والسلاح والكراع ، وأمرت ألا يدخل عليك أحدٌ من الرجال إلّا فلان وفلان ، نفراً سَمّيْتَهم ، ولم تأمُرْ بإيصال المظلوم ، ولا الملهوف ، ولا الجائع العارى ، ولا الضعيف الفقير إليك ، ولا أحد إلا وله فى هذا المال حق ، فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرتَ أن لا يُحْجبوا دونك، تَجْبِى الأموال وتَجْمَعُها . قالوا : هذا قد خان الله فما لنا لا نَخونُه . فائتمروا ألّا يصل إليك من علم أخبار الناس شىء إلا ما أرادوا ، ولا يخرج لك عامل فيخالف أمرهم إلا خوّنوه عندك ونفَوْه ، حتى تسقطَ منزلتُه ، فلما انتشر ذلك عنك وعنهم ، أعظمهم الناسُ وهابوهم وصانعوهم ، فكان أولَ من صانعهم عمالُك بالهدايا والأموال ، ليَقْوَوْا بها على ظُلم رعيتك ، ثم فعل ذلك ذَوُو المقدرة والثروة من رعيتك ، لينالوا ظلم مَن دونهم ، فامتلأت بلادُ الله بالطمع ظُلما وبغيا وفساداً ، وصار هؤلاء القوم شركاءك فى سلطانك وأنت غافل ، فإن جاء متظلّم حيل بينك وبينه ، فإن أراد رَفْعَ قصته إليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك ، وأوقفت للناس رجلا ينظر فى مظالمهم ، فإن جاء ذلك المتظلم فبلغ بطانتك خبره ، سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته إليك ، فلا يزال المظلومُ يختلف إليه ويلوذ به ، ويشكو ويستغيث ، وهو يدفعه ، فإذا أُجْهِدَ وأُحْرِجَ ثم ظهرتَ صرخ بين يديك ، فيضرب ضربا مبرحاً يكون نكالا لغيره ، وأنت تنظر فما

تنكر ! فما بقاء الإسلام على هذا ؟ وقد كنتُ يا أميرَ المؤمنين أسافر إلى الصين فقدمتُها مرة وقد أصيب مَلِكهم بسمعه ، فبكى بكاء شديداً ، فحثه جلساؤه على الصبر فقال : أما إنى لست أبكى للبلية النازلة ، ولكنى أبكى لمظلوم يصرُخ بالباب فلا أسمع صوته ، ثم قال : أما إذ قد ذهب سمعى فإن بصرى لم يذهب ، نادوا فى
٥ الناس أن لا يلبَس ثوباً أحمرَ إلا مُتَظلّم . ثم كان يركب الفيل طرفى النهار وينظر هل يرى مظلوما ، فهذا يا أمير المؤمنين مُشركٌ بالله ، بلغتْ رأفته بالمشركين هذا المبلغ ، وأنت مؤمنٌ بالله من أهل بيت نبيّه لا تغلبك رأفتُك بالمسلمين على شُحّ نفسك ! فإن كنت إنما تجمع المال لولدك ، فقد أراك الله عِبرًا فى الطفل يسقط من بطن أمه ما له على الأرض مالٌ ، وما من مال إلا ودونه يدٌ شحيحة
١٠ تحويه ، فما يزال الله يلطُف بذلك الطفل ، حتى تعظم رغبةُ الناس إليه . ولستَ الذى تعطى ، بل اللهُ تعالى يُعطى من يشاء ما يشاء . فإن قلت إنما تجمع المال لتشديد السلطان ، فقد أراك الله عِبرًا فى بنى أمية ، ما أغنى عنهم جمعُهمْ من الذهب وما أعدوا من الرجال والسلاح والكراع حين أراد الله بهم ما أراد . وإن قلت إنما تجمع المال لطلب غاية هى أجسم من الغاية التى أنت فيها . فوالله ما فوق
١٥ ما أنت فيه إلا منزلةٌ ما تُدرَك إلا بخلاف ما أنت عليه يا أمير المؤمنين . هل تُعاقِبُ من عصاك بأشد من القتل . فقال المنصور : لا . فقال : فكيف تصنع بالملِك الذى خوّلك مُلك الدنيا ، وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن بالخلود فى العذاب الأليم . قد رأى ما عُقِد عليه قلبُك ، وعملته جوارحُك ، ونظر إليه بصرك ، واجترحته يداك ، ومشت إليه رجلاك . هل يغنى عنك ما شححتَ عليه
٢٠ من ملك الدنيا إذا انتزعه من يدك ودعاك إلى الحساب ؟ قال : فبكى المنصور ، ثم قال : ليتنى لم أُخلَقْ ! ويحك كيف أحتال لنفسى ؟ فقال يا أمير المؤمنين ، إن للناس أعلاماً يفزعون إليهم فى دينهم ، ويرضون بهم فى دنياهم ، فاجعلهم بطانتك يرشُدوك ، وشاورْهُم فى أمرك يُسَدّدوك . قال : قد بعثت إليهم فهربوا منى . قال : خافوك أن تحملهم على طريقتك . ولكن افتح بابك ، وسَهّل حجابك ، وانصر

المظلوم ، واقمع الظالم ، وخُذ الفىء والصدقات على حلها ، واقسمها بالحق والعدل على أهلها ، وأنا ضامن عنهم أن يأتوك ويساعدوك على صلاح الأمة .

وجاء المؤذنون فآذنوه بالصلاة[1] ، فصلى وعاد إلى مجلسه ، وطُلب الرجل فلم يوجد.

مقام الأوزاعى

بين يدى المنصور

قال الأوزاعى : دخلت عليه فقال لى : ما الذى بطأ بك عنى ؟ .

قلت : وما تريد منى يا أمير المؤمنين ؟ قال : أريد الاقتباس منك .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، انظر ما تقول ، فإن مكحولا حدثنى عن عطية بن بُسْر[2] ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ بلغته عن الله نصيحة فى دينه فهى رحمة من الله سِيقَتْ إليه ، فإن قبلها من الله بِشُكر وإلا فهى حجةٌ من الله عليه ليزدادَ إثماً ويزدادَ الله عليه غضباً . وإن بلغه شىء من الحق فرضى فله الرضا ، وإن سخط فله السخط ومن كرهه فقد كره الله عز وجل لأن الله هو الحق المبين .

ثم قلت : يا أمير المؤمنين ، إنك تحمّلت أمانة هذه الأمة وقد عُرِضَتْ على السموات والأرض فأبَيْن أن يَحْمِلْنها وأشفقن منها . وقد جاء عن جدك عبد الله ابن عباس فى تفسير قول الله عز وجل : ﴿لا يُغادِرُ صغيرَةً ولا كبيرَةً إلَّا أحْصاها﴾ قال : الصغيرة : التبسم ، والكبيرة : الضحك . فما ظنك بالقول والعمل ؟ فأُعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن ترى أن قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفعك مع المخالفة لأمره ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « ياصفيَّةُ عمَّةَ محمد ، ويافاطمةُ بنتَ محمد ، اْستَوْهِبا أنفُسَكما من الله ، فإنى لا أُغنى عنكما من الله شيئا » . وكذلك جدُّك العباس ، سأل إمارةً من النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : أى عَمِّ

---

(١) فى بعض الأصول : « فسلموا عليه » .

(٢) فى بعض الأصول : « بشير » .

نفْسٌ تحيها خيرٌ لك من إمارة لا تحصيها ؛ نظراً لعمه وشفقة عليه من أن يَلِيَ فَيَحِيدَ عن سنّته جناح بعوضة ، فلا يستطيعُ له نفعاً ولا عنه دفعا . وقال صلى الله عليه وسلم : مامن راعٍ يبيتُ غاشّا لرعيته إلا حَرّم الله عليه رائحةَ الجنة . وحقيق على الوالى أن يكون لرعيته ناظرا ، ولِمَا استطاع من عوراتهم ساترا ، وبالحق فيهم قائمـا ، فلا يتخوّف محسنُهم رَهَقا ، ولا مسيئُهم عدوانا ؛ فقد كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويردع عنه المشركين بها ، فأتاه جبريل فقال : يا محمد ، ما هذه الجريدة التى معك ! اتركها لا تملأ قلوبهم رعبا ! فـا ظنك بمن سفك دماءهم ، وقطع أستارهم ، ونهب أموالهم ! يا أمير المؤمنين ، إنّ المغفور له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر دعا إلى القِصاص من نفسه بخَدش خَدَشه أعرابيا لم يتعمده ؛ فقال جبريل : يا محمد ، إنّ الله لم يبعثك جباراً تَكْسِرُ قرون أمتك . واعلم يا أمير المؤمنين أن كل مافى يدك لا يعدل شربة من شراب الجنة ، ولا ثمرة من ثمـارها ؛ ولو أن ثوباً من ثياب أهل النار عُلق بين السماء والأرض لأَهْلَكَ الناسَ رائحتُه ، فكيف بمن يتقمّصُه ! ولو أن ذَنوباً من صديد أهل النار صُبَّ على ماء الدنيا لأَحَمَّه ، فكيف بمن يتجرّعه ! ولو أن حلْقةً من سلاسل جهنم وُضِعتْ على جبل لأذابته ؛ فكيف بمن يُسْلَك فيها ؛ ويُرَدّ فَضْلُها على عاتقه .

كلام أبى حازم

لسليمان بن عبد الملك

حج سليمان بن عبد الملك ؛ فلما قدم المدينة للزيارة بعث إلى أبى حازم الأعرج وعنده ابن شهاب . فلـما دخل قال : تكلم يا أبا حازم . قال : فِيمَ أتكلمُ يا أمير المؤمنين ؟ قال : فى المخرج من هـذا الأمر . قال : يسيرٌ إن أنت فعلته . قال : وما ذاك ؟ قال : لا تأخذ الأشياء إلا مِن حِلّها ، ولا تضعْها إلا فى أهلها . قال : ومن يَقْوَى على ذلك ؟ قال : من قلّده الله من أمر الرعية ماقلّدك . قال :

عظنى أبا حازم ! قال : اعلم أن هذا الأمر لم يَصِرْ إليك إلا بموت من كان قبلك ، وهو خارج من يديك بمثل ما صار إليك . قال : يا أبا حازم أشِرْ علىّ . قال : إنما أنت سوق ، فما نفق عندك حُمِلَ إليك من خير أو شر فاختر أيهما شئت . قال : مالك لا تأتينا ؟ قال : وما أصنع بإتيانك يا أمير المؤمنين ؟ إن أدنيتَنى فتنتَنى ، وإن أقصيتنى أخزيتَنى ؛ وليس عندك ما أرجوك له ، ولا عندى ما أخافك عليه ! قال : فارفع إلينا حاجتك . قال : قد رفعتها إلى من هو أقدر منك عليها ، فما أعطانى منها قبلت ، وما منعنى منها رضيت .

مقام ابن السماك

عند الرشيد

دخل عليه ، فلما وقف بين يديه قال له : عظنى يا ابن السماك وأوجز .

قال : كفى بالقرآن واعظاً يا أمير المؤمنين ، قال الله تعالى : ﴿ بسم الله الرحمٰن الرحيم * ويلٌ للمطفِّفين الذين إذا اكتالوا على الناسِ يَسْتوْفون * وإذا كالوهُمْ أو وزَنوهم يُخسِرون * ألَا يَظُنُّ أولٰئك أنّهم مبعوثون لِيوم عظيم * يومَ يقومُ الناسُ لربِّ العالَمين ﴾ . هذا يا أمير المؤمنين وعيد لمن طفف فى الكيل ، فما ظنك بمن أخذه كله ! وقال له مرة : عظنى . وأُتى بماء ليشربه . فقال : يا أمير المؤمنين ، لو حُبِستْ عنك هذه الشربة أكنت تفديها بملكك ؟ قال : نعم . قال : فلو حبس عنك خروجُها أكنت تفديها بملكك ؟ قال : نعم ! قال : فما خيرٌ فى ملك لا يساوى شربة ولا بَوْلة ! قال : يا ابن السماك ، ما أحسن ما بلغنى عنك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إن لى عيوباً لو اطلع الناس منها على عيب واحد ماثبتت لى فى قلب أحد مودة ؛ وإنى لخائف فى الكلام الفتنة وفى السر الغرة وإنى لخائف على نفسى من قلة خوفى عليها .

كلام عمرو بن عبيد

عند المنصور

دخل عمرو بن عبيد على المنصور وعنده ابنه المهدى ، فقال له أبو جعفر : هذا ابن أمير المؤمنين ، وولى عهد المسلمين ؛ ورجائى أن تدعو له . فقال : يا أمير المؤمنين ، أراك قد رضيت له أموراً يصير إليها وأنت عنه مشغول فاستعبر أبو جعفر وقال له عِظنى أبا عثمان ! قال يا أمير المؤمنين ! إنّ الله أعطاك الدنيا بأسرها ، فاشتر نفسك منه ببعضها . هذا الذى أصبح فى يديك لو بقى فى يد من كان قبلك لم يصل إليك ! قال : أبا عثمان أعِنِّى بأصحابك ، قال : آرفع علم الحق يَتْبعْك أهلُه : ثم خرج ، فأتْبَعه أبو جعفر بصُرَّة ، فلم يقبلها ؛ وجعل [المنصور] يقول :

كلكم يَمشى رُوَيْدْ ۞ كُلُّكم خاتِل صَيْدْ
غيرَ عمرِو بن عُبَيْدْ

خبر سفيان الثورى

مع أبى جعفر

لقى أبو جعفر سفيان الثورى فى الطواف ، وسفيان لا يعرفه ، فضرب بيده على عاتقه وقال : أتعرفنى ؟ قال : لا ، ولكنك قبضت على قبْضةَ جبَّار ، قال : عظنى أبا عبد الله . قال : وما عملتَ فيم علمتَ فأعظَك فيما جهلت ؟ قال : فما يمنعك أن تأتينا ؟ قال : إن الله نهى عنكم فقال تعالى ﴿ ولا تَرْكَنوا إلى الذين ظلَموا فتمسَّكمُ النارُ ﴾ فمسح أبو جعفر يده به ثم التفت إلى أصحابه فقال : ألقيْنا الحَب إلى العلماء فلقطوا إلا ما كان من سفيان فإنه أعيانا فِرارا .

كلام شبيب بن شبة

للمهـــدى

قال العتبى : سألت بعض آل شبيب بن شبة : أتحفظون شيئاً من كلامه ؟ قالوا : نعم ، قال للمهدى : يا أمير المؤمنين ، إن الله إذا قسم الأقسام فى الدنيا جعل لك أسناها وأعلاها ، فلا ترض لنفسك فى الآخرة إلا مثل ما رضى لك به من الدنيا ، فأوصيك بتقوى الله فعليكم نزلت ؛ ومنكم أُخذت ، وإليكم تردّ . ٥

من كره الموعظة

لبعض ما فيها من الغلظ أو الخرق

بين الرشيد وواعظ

قال رجل للرشيد : يا أمير المؤمنين ، إنى أريد أن أعظك بعظة فيها بعض الغلظة فاحتملها ، قال : كلا ، إنّ الله أمَرَ من هو خير منك بالإلانة القول لمن هو شر منى : قال لنبيّه موسى إذ أرسله إلى فرعون ﴿ فقُولا له قوْلا ليّناً لعلّه يتذكّر أو يخشى ﴾ . ١٠

سليمان بن عبد الملك وأعرابى

دخل أعرابىّ على سليمان بن عبد الملك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنى مكلّمك بكلام ، فاحتمله إن كرهته ، فإن وراءه ما تُحب إن قبلته ، قال : هات يا أعرابى ، قال : إنى سأطلق لسانى بما خرستْ عنه الألسن من عظتك ، تأدية لحق الله تعالى وحق إمامتك : إنه قد اكتنفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم ، فابتاعوا دنياك بدينهم ، ورضاك بسخط ربهم ، خافوك فى الله ولم يخافوا الله فيك ، فهم حرب الآخرة سِلْم للدنيا ، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ، فإنهم لا يألونك خبالا ، والأمانةَ تضييعا ، والأمةَ عسفاً وخسفا ، وأنت مسئول عما اجترحوا وليسوا مسئولين عما اجترحت ، فلا تُصلح دنياهم بفساد آخرتك ، فإن أخسر الناس صفقةً يوم القيامة وأعظمَهم غبنا ، من باع آخرته بدنيا غيره . قال سليمان : أما أنت يا أعرابى فقد سَلَلت لسانك وهو أحد سيفيك . قال : أجل يا أمير المؤمنين ، ١٥ ٢٠

لك لا عليك .

المأمون وواعظ

ووعظ رجل المأمون فأصغى إليه منصتا ، فلما فرغ قال : قد سمعت موعظتك ، فأسأل الله أن ينفعنا بها ، وربما عملنا ، غير أنا أحوج إلى المعاونة بالفعال منا إلى المعاونة بالمقال ، فقد كثُر القائلون وقلّ الفاعلون .

٥ العتبي قال : دخل رجل من عبد القيس على أبي فوعظه ، فلما فرغ قال أبي له : لو اتعظنا بما عَلمنا لانتفعنا بما عملنا ، ولكنا علمنا علما لزمتنا فيه الحجة ، وغَفلنا غفلة من وجبت عليه النقمة ، فوُعظنا فى أنفسنا بالتنقل من حال إلى حال ، ومن صِغر إلى كبَر ، ومن صحة إلى سَقم ، فأبينا إلا المُقام على الغفلة ، إيثاراً لعاجل لا بقاء لأهله ، وإعراضاً عن آجلٍ إليه المصير .

عتبان ابن أبي سفيان و ... القراء

١٠ سعد القصير قال : دخل أناس من القراء على عُتبة بن أبي سفيان فقالوا : إنك سلطت السيف على الحق ولم تسلط الحق على السيف ، وجئت بها عشوة[1] خفيّة . قال : كذبتم ! بل سلطت الحق وبه سُلطت ، فاعرفوا الحق تعرفوا السيف ، فإنكم الحاملون له حيث وضْعُه أفضل ، والواضعون له حيث عَمله أعْدل ، ونحن فى أول زمان لم يأت آخره ، وآخرِ دهر قد فات أوله . فصار المعروف عندكم ١٥ مُنكرا ، والمنكر معروفا . وإنى أقول لكم مهلا ، قبل أن أقول لنفسى هلا ! قالوا : فنخرج آمنين ؟ قال غير راشدين ولا مهذبين .

راهب وضالون فى سفرهم

حاد قوم سَفْر عن الطريق ، فدفعوا إلى راهب منفرد فى صومعته ، فنادوْه ، فأشرف عليهم ، فسألوه عن الطريق ، فقال : ههنا . وأومأ بيده إلى السماء ، فعلموا ما أراد ، فقالوا : إنا سائلوك . قال : سلوا ولا تكثروا : فإن النهار لا يرجع ٢٠ والعمر لا يعود ، والطالب حثيث ! قالوا : علام الناس يوم القيامة ؟ قال : على نياتهم وأعمالهم . قالوا : إلى أين الموئل ؟ قال : إلى ما قدمتم . قالوا : أوصنا . قال : تزوّدوا على قدر سفركم ، فخير الزاد ما بلَّغ المحل . ثم أرشدهم الجادّة وانقمع .

وقال بعضهم : أتيت الشامَ فمررت بدير حرملة ، فإذا فيه راهب كأن عينيه

(١) العشوة من الأمر: الملتبس . وفى بعض الأصول : « عشواء صعبة » .

مزادتان ، فقلت له : ما أشدّ ما يبكيك ! قال : يا مسلم ، أبكى على ما فرطت فيه من عمرى ، وعلى يوم يمضى من أجلى لم يحسن فيه عملى ! قال : ثم مررت بعد ذلك ، فسألت عنه ، فقيل لى إنه قد أسلم وغزا الروم وقُتل !

الحِيرى وثوبان فى لبس الرهبان

قال أبو زيد الحِيرى : قلت لثوبان الراهب : ما معنى لُبس الرهبان هذا السواد ؟ قال : هو أشبه بلباس أهل المصائب ! قلت : وكلكم معشرَ الرهبان قد أُصيب بمصيبة ؟ قال : يرحمك الله ، وهل مُصيبة أعظم من مصائب الذنوب على أهلها . قال أبو زيد : فما أذكر قوله إلا أبكانى .

آزادمرد

حبيبٌ العدَوىّ عن موسى الأُسوارى قال : لما وقعت الفتنة أردتُ أن أُحرز دينى ، فخرجت إلى الأهواز ، فبلغ آزادمَرْدَ قُدومى ، فبعث إلىّ متاعا ، فلما أردت الانصراف بلغنى أنه ثقيل ، فدخلت عليه ، فإذا هو كالخُفّاش ، لم يبق منه إلا رأسه ، فقلت : ما حالك ؟ قال : وما حال من يريد سفراً بعيداً بغير زاد ، ويدخل قبراً موحشاً بلا مؤنس ، وينطلق إلى ملك عدل بلا حجة ؟ ثم خرجت نفسه .

بين العتبى وبعض الرهبان

العتبى قال : مررت براهب باك ، فقلت : ما يُبكيك ؟ قال : أمرٌ عرفته وقَصرت عن طلبه ، ويوم مضى من عمرى نَقص له أجلى ولم ينقص له أملى .

باب

من كلام الزهاد وأخبار العباد

لبعض العباد

قيل لقوم من العبّاد : ما أقامكم فى الشمس ؟ قالوا : طلب الظل .

لعلقمة والأسود

قيل لعلقمة الأسود بن يزيد : كم تعذّب هذا الجسد الضعيف ؟ قال : لا تُنال الراحةُ إلا بالتعب .

لآخر

وقيل لآخر : لو رفقت بنفسك ! قال : الخير كلُّه فيما أُكرِهَت النفوس عليه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : حُفَّت الجنّة بالمكاره .

مسروق الأجدع

وقيل لمسروق بن الأجدع : لقد أضررت ببدنك . قال : كرامتَه أُريد . وقالت له امرأته فيروز لما رأته لا يُفطر من صيام ولا يفتر من صلاة : ويلك يا مسروق !

أما يعبدُ الله غيرُك ، أما خُلقت النارُ إلا لك؟ قال لها : ويْحَكِ يافيروز ! إن طالب الجنة لا يسأم ، وهارب النار لا ينام .

أبو الدرداء وزوجه

وشكت أم الدرداء إلى أبي الدرداء الحاجة ، فقال لها : تصبَّرى ، فإن أمامنا عقبة كئودا لا يجاوزها إلا أخف الناس حِملا .

أبو حازم

٥ ومر أبو حازم بسوق الفاكهة ، فقال : موعدُكِ الجنةُ .

ومر بالجزارين ، فقالوا له : يا أبا حازم ، هذا لحم سمين فاشتر . قال : ليس عندى ثمنُه . قالوا نؤخرك . قال : أنا أؤخر نفسى .

وكان رجل من العُبَّاد يأكل الرُّمَّانَ بقشره ، فقيل له : لِمَ تفعلُ هذا ؟ فقال إنما هو عدوٌّ فأثخن[1] فيه ما أمكنك .

على بن الحسين

١٠ وكان علىُّ بن الحسين عليهما السلام إذا قام إلى الصلاة أخذته رِعْدَة ، فسئل عن ذلك ، فقال : ويحكم ! أتدرون إلى مَن أقوم ومن أريد أن أناجى ؟

يونس بن عبيد

وقال رجل ليونس بن عُبيد : هل تعلم أحداً يعمل بعمل الحسن[2] ؟ قال : لا والله ولا أحداً يقول بقوله .

لمحمد بن على

وقيل لمحمد بن على بن الحسين أولعلىّ بن الحسين عليهم السلام : ما أقلّ ولدَ ١٥ أبيك ؟ قال : العجبُ كيف وِلدتُ له وكان يصلى فى اليوم والليلة ألف ركعة ، فمتى كان يتفرغ للنساء ؟ وحج خمساً وعشرين حجة راجلا .

ابن المسيب وامرأة

ولما ضُرب سعيد بن المسيب وأقيم للناس قالت له امرأة : لقد أُقمتَ مقام خزية ! فقال : من مقام الخزية فرَرْتُ .

لابن دينار فى قحط

وشكا الناس إلى مالك بن دينار القحط . فقال : أنتم تستبطئون المطر وأنا ٢٠ أستبطئ الحجارة !

لابن عياض فى مثله

وشكا أهل الكوفة إلى الفُضيل بن عِياض القحط . فقال : أمُدبِّراً غيرَ اللهِ تريدون ؟

(١) فى بعض الأصول : « فأدخل » .

(٢) هو الحسن البصرى وكان يونس من إصحابه .

لأبي حنيفة في السختياني

وذكر أبو حنيفة أيوب السَّختياني . فقال : رحمه الله تعالى - ثلاثا - لقد قدم المدينة مرة وأنا بها فقلت : لأقعدن إليه لعلى أتعلق منه بسقطة . فقام بين يدى القبر مقاما ما ذكرته إلا اقشعر له جلدى .

ابن أبي رباح

وقيل لأهل مكة : كيف كان عطاء بن أبي رباح فيكم ؟ قالوا : كان مثل العافية التى لا يُعرف فضلها حتى تفقد . وكان عطاء أفطس أسود أشل أعرج ثم عمى وأمه سوداء تسمى بركة . ٥

الأوقص المخزومي

وكان الأوقص المخزومىّ قاضيا بمكة ، فما رؤى مثلُه فى عفافه وزهده ؛ فقال يوما لجلسائه : قالت لى أمى : يا بُنى ، إنك خُلقت خلقة لا تصلح معها لجامعة الفِتيانِ عند القيان ؛ فعليك بالدين ؛ فإن الله يرفع به الخسيسة ؛ ويتم به النقيصة ، فنفعنى الله تعالى بكلامها وأطعتها فوليت القضاء . ١٠

بين ابن واسع وابن دينار

الفضيل بن عياض قال : اجتمع محمد بن واسع ومالك بن دينار فى مجلس بالبصرة ، فقال مالك بن دينار : ما هو إلا طاعة الله أو النار . فقال محمد بن واسع ما هو كما تقول ، ليس إلا عفو الله أو النار . قال مالك : صدقت . ثم قال مالك : إنه يعجبنى أن يكون للرجل معيشة قدر ما يقوته . قال محمد بن واسع : ما هو إلا كما تقول ، ولكن يعجبنى أن يصبح الرجل وليس له غداء ، ويمسى وليس له عشاء ، وهو مع ذلك راض عن الله عز وجل . قال مالك : ما أحوجنى إلى أن يُعلمنى مثلك . ١٥

لابن مهدى فى بعض العباد

جعفر بن سليمان قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدى يقول : ما رأيت أحداً أقشف من شعبة ، ولا أعبد من سفيان الثورى ، ولا أحفظ من ابن المبارك . وما أحب أن ألقى الله بصحيفة أحد إلا بصحيفة بشر بن منصور ، مات ولم يدع قليلا ولا كثيرا . ٢٠

بشر بن منصور على فراش الموت

عبد الأعلى بن حماد قال : دخلت على بشر بن منصور وهو فى الموت ، فإذا به من السرور فى أمر عظيم ؛ فقلت له : ما هذا السرور ؟ قال : سبحان الله ! أخرج من بين الظالمين والباغين والحاسدين والمغتابين ، وأقدم على أرحم الراحمين ولا أسر .

الرشيد وعابد بمكة

حج هارون الرشيد ، فبلغه عن عابد بمكة مجاب الدعوة معتزل فى جبال تهامة فأتاه هارون الرشيد فسأله عن حاله ثم قال له : أوصنى ومُرنى بما شئت ، فوالله لا عصَيتك ! فسكت عنه ولم يرد عليه جواباً ؛ فخرج عنه هارون ، فقال له أصحابه مامنعك إذ سألك أن تأمره بما شئت وحلف ألاّ يعصيك ـ أن تأمره بتقوى ٥ الله والإحسان إلى رعيته ؟ فخط لهم فى الرمل : إنى أعظمت الله أن يكون يأمره فيعصيه ، وآمره أنا فيطيعنى .

سفيان الثورى

على بن حمزة ابن أخت سفيان الثورى قال : لما مرض سفيان مرضه الذى مات فيه ذهبت ببوله إلى دَيرانى ، فأريته إياه فقال : ماهذا ببول حنيفى . قلت : بلى والله من خيارهم . قال : فأنا أذهب معك إليه ، قال : فدخل عليه وجس ١٠ عِرقه ، فقال : هذا رجل قطع الحزن كبده .

ابن سيرين

مورِّق العِجلى قال : مارأيت أحداً أفقهَ فى ورعه ولا أورع فى فقهه من محمد بن سِيرين ، ولقد قال يوماً : ماغشيتُ امرأة قط فى نوم ولا يقظة ، إلا امرأتى أم عبد الله فإنى أرى المرأة فى النوم ؛ فأعلم أنها لا تحل لى فأصرف بصرى عنها .

بعض العباد

١٥ الأصمعى عن ابنَ عون قال : رأيت ثلاثة لم أر مثلهم : محمد بن سيرين بالعراق ، والقاسم بن محمد بالحجاز ، ورجاء بن حيوة بالشام .

العتبي قال : سمعت أشياخنا يقولون : انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين : عامر بن عبد القيس ، والحسن بن أبى الحسن البصرى ، وهرم بن حيان ، وأبى مُسلم الخولانى ، وأُويس القَرنى ، والربيع بن خُثيم ومَسروق بن الأجدع ، ٢٠ والأسود بن يزيد .

كيف يكون الزهد

للنبى صلى الله عليه وسلم

العتبي يرفعه قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الزهد فى الدنيا ؟ قال : أما إنه ما هو بتحريم الحلال ، ولا إضاعة المال ، ولكن الزهدَ

فى الدنيا أن تكون بما فى يد الله أغنى منك عما فى يدك .

للزهرى

وقيل للزهرى : ما الزهد ؟ قال : أما إنه ليس تشعيث اللِّمّة ، ولا قَشَفَ الهيئة ؛ ولكنه صرف النفس عن الشهوة .

لبعضهم

وقيل لآخر : ما الزهد فى الدنيا ؟ قال : أن لا يغلب الحرامُ صبرَك ، ولا الحلالُ شكرَك . ٥

النبى صلى الله عليه وسلم

وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، من أزهد الناس فى الدنيا ؟ قال : من لم ينس المقابر والبِلى ، وآثَرَ ما يَبقَى على ما يفنى ، وعَدَّ نفسَه مع الموتى .

لابن واسع

وقيل لمحمد بن واسع : من أزهد الناس فى الدنيا ؟ قال : من لا يبالى بِيَد مَن كانت الدنيا . ١٠

للخليل

وقيل للخليل بن أحمد : من أزهد الناس فى الدنيا ؟ قال من لم يطلبِ المفقود حتى يَفقِدَ الموجود .

النبى صلى الله عليه وسلم

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : الزُّهْدُ فى الدنيا مِفتاحُ الرَّغبةِ فى الآخرة ، والرغبة فى الدنيا مفتاح الزهد فى الآخرة .

قالوا : مَثَلُ الدنيا والآخرة كمثل رجل له امرأتان ضرتان ، إن أرضى إحداهما أسخط الأخرى . ١٥

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : من جعل الدنيا أكبرَ همِّه نزَعَ اللهُ خوفَ الآخرى من قلبه ، وجعل الفقرَ بين عينيه ، وشغَلَه فيما عليه لا له .

لابن السماك

وقال ابن السماك : الزاهدُ الذى إن أصاب الدنيا لم يَفرَحْ ، وإن أصابتهُ الدنيا لم يَحزَن ، يضحكُ فى الملَا ، ويَبْكى فى الخلا . ٢٠

للفضيل

وقال الفضيل : أصل الزهد فى الدنيا الرضا عن الله تعالى .

صفة الدنيا

لعلى

قال رجل لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه : يا أمير المؤمنين ، صف لنا

الدنيا . قال : ما أصف من دار أوّلُها عَناء ، وآخرُها فَناء ، حَلالُها حساب ، وحرامُها عقاب ، من استغنى فيها فُتِن ، ومن افتقر فيها حَزِن !

قيل لأرسطاطاليس : صف لنا الدنيا . فقال : ما أصف من دار أولها فوْت ، وآخرُها موْت .

لحكيم — ٥ وقيل لحكيم : صف لنا الدنيا . قال : أمَلٌ بين يديك ، وأجل مُطِل عليك ، وشيطان فتان ، وأماني جرّارة العنان ، تدعوك فتستجيب ؛ وترجوها فتَخيب .

لعامر بن عبد القيس — وقيل لعامر بن عبد القيس : صف لنا الدنيا . قال : الدنيا والدةٌ للموت ، ناقضةٌ للمُبْرَم ، مرتجعة العطية وكل من فيها يجرى إلى ما لا يدرى .

لبكر المزنى — وقيل لبكر بن عبد الله المزنى : صف لنا الدنيا . فقال : ما مضى منها فحُلْمٌ ؛ ١٠ وما بقى فأمانى .

لابن ثعلبة — وقيل لعبد الله بن ثعلبة : صف لنا الدنيا . قال : أمْسُكَ مذموم فيك ، ويومك غيرُ محمودٍ لك ، وغدُك غير مأمون عليك .

للنبى صلى الله عليه وسلم — وقال النبى صلى الله عليه وسلم : الدنيا سِجْنُ المؤمنِ وجنةُ الكافر .

وقال : الدنيا عَرَضٌ حاضر يأكل منه البَر والفاجر . والآخرة وَعْدٌ صدْقٌ ١٥ يحكم فيها مَلِكٌ قادر ، يَفصِلُ الحق من الباطل .

وقال : الدنيا خضِرةٌ حُلوة ، فمن أخذها بحقها بُورِكَ له فيها ، ومن أخذها بغير حقها كان كالآكل الذى لا يَشْبَع .

لابن مسعود — وقال ابن مسعود : ليس من الناس أحدٌ إلا وهو ضيف على الدنيا ومالُهُ عاريةٌ ؛ فالضيف مرتحل ، والعارية مردودة .

للمسيح عليه السلام — ٢٠ وقال المسيح عليه السلام : الدنيا لإبليسَ مزرعةٌ وأهلها حَرّاثون .

وقال إبليس : ما أبالى إذا أحب الناس الدنيا أن لا يعبدوا صنما ولا وثنا ، الدنيا أفْتَنُ لهم من ذلك .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يسمى الدنيا أمّ دفر . الدفر : النتن .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم للضحاك بن سُفيان : ماطعامُك ؟ قال : اللحم واللبن . قال : ثم إلى ماذا يصير ؟ قال يصير إلى ما قد علمت . قال : فإن الله عز وجل ضرب مايخرج من ابن آدم مثلا للدنيا .

للمسيح عليه السلام — وقال المسيح عليه السلام لأصحابه : اتخذوا الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تَعْمُروها . ٥

من الأثر — وفى بعض الكتب : أوحى الله إلى الدنيا : من خدَمَنى فاخدُمِيه ، ومن خدَمك فاستَخدِميه .

لنوح عليه السلام — وقيل لنوح عليه السلام : ياأبا البَشر وياطويل العُمر ، كيف وجدت الدنيا ؟ قال كبيْتٍ له بابان ، دخلت من أحدِهما وخرجت من الآخر .

لقمان — وقال لقمان لابنه : إن الدنيا بحرٌ عريض ، قد هلك فيه الأولون والآخِرون ، فإن استطعت أن تجعل سفينتك تقوى الله ، وعُدَّتك التوكل على الله ، وزادك العمل الصالح . فإن نجوت فبرحْمة الله ، وإن هلكت فبذنوبك . ١٠

لابن الحنفية — وقال ابن الحنفية : من كرُمَت عليه نفسه هانت عليه الدنيا .

وقال : إن الملوك خلَّوْا لكم الحكمة فخَلُّوا لهم الدنيا .

لابن واسع — وقيل لمحمد بن واسع : إنك اترْضى بالدّون . قال : إنما رضى بالدون مَن رضِىَ بالدنيا . ١٥

وقال المسيح عليه الصلاة والسلام للحواريين : أنا الذى كفأت الدنيا على وجهها ، فليس لى زوجة تموت ، ولا بيتٌ يخرب .

لابن عبيد — شكا رجل إلى يونس بن عبيد وجعاً يجده ، فقال له : ياعبد الله ، هذه دار لا توافقك فالتمس لك داراً توافقك . ٢٠

لراهب — لقى رجل راهباً فقال : ياراهب ، صف لنا الدنيا . فقال : الدنيا تُخلِقُ الأبدان . وتُجدد الآمال ، وتُباعد الأُمْنِيّة ، و تقرّب المَنِيّة . قال : فما حال أهلها ؟ قال : من ظفِر بها تعِب ، ومن فاتته نَصِب . قال . فما الغنى عنها ؟ قال :

قطع الرجاء منها . قال . فأين المخرج ؟ قال : فى سلوك المنهج . قال : وماذاك ؟ قال : بذل المجهود ، والرضا بالموجود .

لبعض الشعراء

قال الشاعر :

ما الناسُ إلّا مع الدنيا وصاحبِها ◦ فحيثُما انقلَبتْ يوماً به انقلبوا

يُعَظِّمون أخا الدنيا وإن وثَبَتْ ◦ يوماً عليه بما لا يَشتهى وثبوا

وقال آخر :

يا خاطِب الدُّنيا إلى نفْسِها ◦ تَنَحَّ عن خِطبتِها تَسْلَمِ

إنّ التى تخطُبُ غَرّارة ◦ قريبةُ العُرْس من المأتَمِ

عبد الواحد ابن الخطاب

داود بن المُحبَّر قال : أخبرنا عبد الواحد بن الخطاب قال : أقبلنا قافلين من بلاد الروم ، حتى إذا كنا بين الرُّصافة وحمص سمعنا صوتا من تلك الجبال ، تسمعه آذاننا ولم تبصره أبصارنا ، يقول : يا مستورُ يا محفوظ ، انظر فى سِتْر من أنت ؛ إنما الدنيا شوك ، فانظر أين تضع قدميك منها !

لأبى العتاهية

وقال أبو العتاهية :

رضِيتَ بذِى الدُّنيا ككلِّ مُكاثِرٍ ◦ مُلِحٍّ على الدُّنيا وكلِّ مُفاخِرِ

ألمْ تَرَها تسقيه حتى إذا صبا[1] ◦ فَرَتْ حلْقَه منها بِشَفْرةِ جازِرِ

ولا تَعدِلُ الدُّنيا جناح بعوضةٍ ◦ لدَى اللهِ أو معْشار نَغْبة طائرِ

فلم يَرْضَ بالدنيا ثوابا لمؤمنٍ ◦ ولم يَرض بالدنيا عِقاباً لكافرِ

وقال أيضاً :

هىَ الدنيا ؛ إذا كَمُلتْ ◦ وتمَّ سرورُها خَذَلتْ

وتَفعلُ فى الذين بقُوا ◦ كما فيمن مَضى فَعَلتْ

قال بعض الشعراء يصف الدنيا :

لقد غَرَّتِ الدنيا رجالا فأصبحوا ◦ بمنزلةٍ ما بعدها مُتحوَّلُ

(١) فى بعض الأصول : « ترقيه حتى إذا سما » .

فساخطُ أمرٍ لا يُبدَّلُ غيره ٭ وراضٍ بأمرٍ غيره سيُبدَّلُ
وبالغ أمرٍ كان يَأْمُلُ دونه ٭ ومخترمٌ(١) من دون ما كان يأمُلُ

للرشيد — وقال هارون الرشيد : لو قيل للدنيا صِفِي لنا نَفْسَك ، وكانت ممن ينطق ، ما وصفت نفسها بأكثر من قول أبي نواس :

٥ إذا ٱمتحن الدُّنيا لبيبٌ تكشَّفت ٭ له عن عدُوٍّ في ثياب صديقِ
وما الناسُ إلّا هالكٌ وٱبن هالكٍ ٭ وذو نَسَبٍ في الهالكين عريقِ

لبعض الشعراء — وقال آخر في صفة الدنيا :

فرُحْنا وراح الشّامتون عشيّةً ٭ كأنّ على أكتافنا فِلَقَ الصَّخْرِ
لحَا اللهُ دُنيا تُدخِلُ السِّتر أهلَها ٭ وتَهتِك ما بين الأقاربِ من سِتْرِ

١٠ لأبي العتاهية — ولأبي العتاهية :

كُلنا نُكثِر الملامةَ للدنـ ٭ ـيا وكل يحبُّها مفتونُ
والمقاديرُ لا تناولها الأو ٭ هامُ لطفاً ولا تَراها العيونُ
ولركب الفناء في كلِّ يوم(٢) ٭ حركاتٌ كأنهنَّ سُكون

لابن عبد ربه — ومن قولنا في وصف الدنيا :

١٥ ألاَ إنما الدُّنيا نضارةُ أيكةٍ ٭ إذا ٱخضرّ منها جانبٌ جفَّ جانبُ
هيَ الدار ما الآمال إلّا فَجائعٌ ٭ عليها ولا اللّذّاتُ إلا مصائبُ
فكم سَخِنَت بالأمس عينٌ قريرةٌ ٭ وقرَّتْ عيون دمعُها اليومَ ساكبُ
فلا تكتحل عيناك فيها بِعَبْرةٍ ٭ على ذاهبٍ منها فإنك ذاهبُ

وقال أبو العتاهية :

٢٠ أصبحَت الدنيا لنا فِتْنةً ٭ والحمدُ للهِ على ذلِكا
قد أجْمَع الناسُ على ذَمها ٭ ما إنْ نرى منهم لها تاركا

(١) في بعض الأصول : « ومختلج » .
(٢) في بعض الأصول : « ويمر الفتى وفي كل يوم » .

لابن أدهم

وقال إبراهيم بن أدهم :

نُرقّع دُنيانا بتمزيقِ دينِنا ٭ فلا دِينُنا يبقى ولا ما نُرقّعُ

وما سمعت فى صفة الدنيا والسبب الذى يُحبها الناس لأجله بأبلغ من قول القائل .

٥ نُراعُ بذكرِ الموْت فى حين ذِكْرِه ٭ وتَعترِض الدُّنيـا فنلْهو ونلعبُ

ونحن بنو الدُّنيا خُلِقْنا لغيرها ٭ وما كنتَ منه فهو شىءٌ مُحبَّبُ

فذكر أن الناس بنو الدنيا وما كان الإنسان منه فهو محبب إليه .

واعلم أن الإنسان لا يحب شيئاً إلا أن يجانسه فى بعض طبائعه ، وأن الدنيا جانست الإنسان فى طبائعه كلها فأحبها بكل أطرافه .

ابن شبرمة وولده

١٠ وقال بعض ولد ابن شبرمة : كنت مع أبى جالساً قبل أن يلى القضاء فمرّ به طارق بن أبى زياد فى موكب نبيل ، فلما رآه أبى تنفّس الصُّعداء وقال :

أُراها وإنْ كانت تحَبُّ كأنها ٭ سَحابة صَيْفٍ عن قليلٍ تَقشَّعُ

ثم قال : اللهم لى دينى ولهم دنياهم . فلما ابتلى بالقضاء ، قلت : ياأبت ، أتذكر يوم طارق ؟ فقال : يا بنى إنهم يجدون خلفا من أبيك وإن أباك لا يجد خلفاً منهم

١٥ إن أباك خطب[1] فى أهوائهم وأكل من حلوائهم .

للشعبى

وقال الشعبى ما رأيت مَثَلَنا ومَثَل الدنيا إلا كما قال كُثيّر عزة :

أسِيئى بنا أو أحْسِنى لا ملومةً ٭ لدينا ولا مَقْلِيَّةً إنْ تَقَلَّت

وأحكم بيت قيل فى تمثيل الدنيا قول الشاعر :

ومَن يأْمَن الدُّنيا يكن مثل قابضٍ ٭ على الماءِ خانتْه فُروجُ الأصابعِ

الأصمعى فى بيت يستحسنه

٢٠ وحدّث العبّاس بن الفرج الرياشى ، قال : رأيت الأصمعى يُنشد هـذا البيت ويستحسنه فى صفة الدنيا :

ما عُــذْرُ مُرْضِعةٍ بكا ٭ سِ الموْتِ تفطِمُ مَن غَذَتْ

(١) فى بعض الأصول : « حط » .

قطرى

ولقطرى بن الفُجاءة فى وصف الدنيا خطبةٌ مجردة تقع فى جملة الخُطب فى كتاب الواسطة .

قولهم فى الخوف

لابن عباس

سئل ابن عباس عن الخائفين لله ، فقال : هم الذين صدَقوا الله فى مخافة وعيده ، قلوبُهم بالخوف قرِحة ، وأعينُهم على أنفسهم باكية ، ودموعهُم على خدودهم جارية ، يقولون كيف نفرح والموتُ مِنْ ورائنا . والقبورُ من أمامِنا ، والقيامةُ موعِدنا ، وعلى جهنم طريقُنا ، وبين يدى ربنا موقفُنا !

لعلى

وقال علىّ كرّم الله وجهه : ألا إن لله عباداً مخلصين ، كمن رأى أهل الجنة فى الجنة فاكهين ، وأهل النار فى النار معذبين ؛ شرورُهم مأمونة وقلوبُهم محزونة ، وأنفسهم عفيفة ، وحوائجُهم خفيفة ، صبروا أياما قليلة لعقبىْ راحة طويلة ، أما بالليل فصفُّوا أقدامَهُم فى صلاتهم ؛ تجرى دموعهم على خدودهم ، يَجأرُون إلى ربهم : ربَّنا ربَّنا ! يطلبون فَكاكَ قلوبهم ؛ وأما بالنهار فعُلماء حُلَماء بررة أتقياء ؛ كأنهم القِداح . القداح : السهام ، يريد فى ضمرتها - ينظر إليهم الناظر فيقول مَرْضى ، وما بالقوم من مرض ؛ ويقول : خولِطوا ؛ ولقد خالط القومَ أمر عظيم .

لابن عمار فى الزهد

وقال منصور بن عمار فى مجلس الزهد : إن لله عبادا جعلوا ما كتب عليهم من الموت مثالا بين أعينهم ، وقطعوا الأسباب المتصلة بقلوبهم من علائق الدنيا ؛ فهم أنضاء عبادته ، حلفاء طاعته ، قد نضحوا خدودَهم بوابل دموعهم ، وافترشوا جباههم فى محاريبهم ، يناجون ذا الكبرياء والعظمة فى فكاك رقابهم .

عمر بن عبد العزيز فى مرضه

ودخل قوم على عمر بن عبد العزيز يعودونه فى مرضه وفيهم شاب ذابل ناحل ؛ فقال له عمر : يافتى ، ما بلغ بك ما أرى ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، أمراض وأسقامٌ ! قال له عمر : لتَصْدُقَنِّى . قال : بلى يا أمير المؤمنين ، ذقت

يوما حلاوة الدنيا فوجدتها مرة عواقبُها ؛ فاستوى عندي حجرها وذهبها ؛ وكأنى أنظر إلى عرش ربنا بارزا ؛ وإلى الناس يساقون إلى الجنة والنار ؛ فأظمأت نهارى وأسهرت ليلى ؛ وقليلٌ كلُّ ما أنا فيه فى جنب ثواب الله وخوف عقابه .

لابن أبى الحوارى

وقال ابن أبى الحوارى : قلت لسفيان : بلغنى فى قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إلّا مَنْ أتَى اللهَ بِقَلْبٍ سليمٍ ﴾ : الذى يلقى ربه وليس فيه أحد غيره . فبكى وقال : ما سمعتُ منذ ثلاثين سنة أحسن من هذا التفسير .

الحسن

وقال الحسن : إن خوفك حتى تلقى الأَمْنَ خيرٌ من أَمْنِك حتى تلقى الخوف

وقال : ينبغى أن يكون الخوف أغلبَ على الرجاء . فإن الرجاء إذا غلب الخوفَ فَسَدَ القلب .

وقال : عجبا لمن خاف العقاب ولم يكُفّ ، ولمن رجا الثواب ولم يعْمَل .

لعلى

وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه لرجل : ما تصنع ؟ فقال : أرجو وأخاف . قال : من رجا شيئاً طلبه ، ومن خاف شيئاً هرب منه .

لابن عياض

وقال الفضيل بن عياض : إنى لأستحى من الله أن أقول : توكّلت على الله . ولو توكلت عليه حقَّ التوكل ما خفت ولا رجوت غيره .

لبعضهم

وقالوا : من خاف اللهَ أخاف اللهُ منه كل شىء ، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شىء .

وقال : وعدٌ من الله لمن خافه أن يدخله الله الجنة . وتلا قوله عز وجل : ﴿ ولِمَنْ خافَ مقامَ ربِّهِ جنَّتانِ ﴾ .

لابن ذر

وقال عمر بن ذرّ : عباد الله ؛ لا تغتروا بطول حِلْمِ الله واحذروا أَسفَهُ ؛ فإنه قال عز وجل : ﴿ فلمَّا آسفُونا انتقَمْنا منْهُمْ فأغرَقْناهُمْ أجْمعِين . فجعلْناهُم سلَفاً ومثَلًا للآخِرينَ ﴾ .

لابن سلام

وقال محمد بن سلّام : سمعتُ يونس بن حبيب[1] يقول : لا تأمن من قطع

---

(١) فى بعض الأصول «يوسف بن عبيد»

فى خمسة دراهم أشرفَ عُضوٍ فيك أن تكون عقوبته فى الآخرة أضعاف ذلك .

لابن خثيم — وقال الربيع بن خُثيم : لو أن لى نفسين إذا علقتْ إحداهما سعت الأخرى فى فكاكها ، ولكنها نفس واحدة ، فإن أنا أوثقتُها . من يفكُّها ؟

في الحديث — وفى الحديث : من كانت الدنيا همَّهُ ، طال فى الآخرة غمُّه . ومن خاف الوعيد لهـا عمَّا يُريد ، ومن خاف ما بين يدَيه ضاقَ ذرعا بما فى يَدِه . ٥

للوراق — وقال محمود الوراق :

يا غافلاً ترنو بعَيْنَىْ راقِدِ ۞ ومُشاهِداً للأمْرِ غيرَ مُشاهِدِ
تصِلُ الذنوبَ إلى الذُّنوبِ وتَرْتجِى ۞ دَرْكَ الجِنانِ بهـا وفوْزَ العابِدِ
ونَسِيتَ أنَّ اللهَ أخْرَجَ آدَماً ۞ منها إلى الدُّنيـا بِذَنْبٍ واحِدِ ١٠

للنابغة الشيبانى — وقال نابغة بنى شيبان :

إنَّ مَنْ يرْكَبُ الفواحِشَ سِرًّا ۞ حينَ يَخْلُو بِسِرِّهِ غيْرُ خالِ
كيف يَخْلو وعِنـدهُ كاتِباهُ ۞ شاهِداهُ وربُّهُ ذو الجلالِ

قولهم فى الرجاء

للعلماء — قال العلماء : لا تشهَدْ على أحدٍ من أهل القبلة بجنة ولا نار ؛ يُرجَى للمحسن ويُخاف عليه ، ويُخافُ على المسىء ويُرجَى له . ١٥

فى الأثر — وفى الحديث المرفوع : إن الله يغفر ولا يعيِّر ، والناس يعيِّرون ولا يغفرون .

وفى حديث آخر : لا تكفِّروا أهل الذنوب .

فتى توفى فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم — وتوفى رجل فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان مسرفا على نفسه فرفع رأسه ، وهو يجود بنفسه ، فإذا أبواه يبكيان عند رأسه ، فقال : ما يبكيكما؟ قال : نبكى لإسرافك على نفسك ! قال : لا تبكيا . فو الله ما يسرنى أن الذى بيد الله من أمرى بأيديكما . ثم مات . فأتى جبريلُ عليه الصلاة والسلام ٢٠

النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبره أن فتى توفى اليوم فاشهده فإنه من أهل الجنة ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه عن عمله ، فقالا : ما علمنا عنده شيئاً من خير ، إلا أنه قال لنا عند الموت كذا وكذا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مِن هاهنا أُوتِيَ ؛ إن حسن الظن بالله من أفضل العمل عنده .

عمر بن ذر ورجل توفى

٥ وتوفى رجل بجوار ابن ذر ، وكان مُسرفا على نفسه ، فتحامى الناس جنازته وبلغ ذلك عمر بن ذر ، فأوصى أهله : إذا جهزتموه فآذِنونى . ففعلوا ؛ فشهده والناس معه ، فلما أدلى وقف على قبره فقال : رحمك الله أبا فلان ؛ فلقد صحبت عمرك بالتوحيد ، وعفرت وجهك لله بالسجود ، فإن قالوا مذنب وذو خطايا ، فمن منا غير مذنب وذى خطايا ؟

معاوية عند الموت

١٠ وتمثل معاوية عند الموت بهذا البيت :

هو الموت لا مَنْجى من الموت والذى ٭ تحاذر بعـــد الموت أنكى وأفظعُ

ثم قال : اللهم فأقل العثرة ، واعفُ عن الزَّلة ، وعُد بحلمك على جهل من لم يَرْجُ غيرك ، ولم يثق إلا بك فإنك واسع المغفرة . يارب أين لذى الخطأ مهرب إلا إليك .

١٥ قال داود بن أبى هند : فبلغنى أن سعيد بن المسيَّب قال حين بلغه ذلك : لقد رغب إلى من لا مَرْغَبَ إلا إليه كرها ، وإنى أرجو من الله له الرحمة .

لأعرابى فى عائذة

الأصمعى قال : سمعت أعرابيا يقول فى دعائه وابتهاله : إلٰهى ، ما توهمت سعة رحمتك إلا وكأن نعمة عفوك تقرع مسامعى : أن قد غفرتُ لك ؛ فصدِّق ظنىّ بك ، وحقق رجائى فيك يا إلٰهى .

لبعض الشعراء

٢٠ ومن أحسن ما قيل فى الرجاء هذا البيت :

وإنى لأرجُو الله حتى كأنَّنى ٭ أرَى بِجميلِ الظَّنِّ ما اللهُ صانعُ

قولهم فى التوبة

للمسيح عليه السلام

مر المسيح بن مريم عليه السلام بقوم من بنى إسرائيل يبكون ، فقال لهم : مايبكيكم ؟ قالوا : نبكى لذنوبنا ! قال : اتركوها تُغفر لكم .

لعلى

وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : عجباً لمن يهلك ومعه النجاة ؛ قيل له : وما هى ؟ قال : التوبة والاستغفار . ٥

فتى من بنى إسرائيل

وقالوا : كان شاب من بنى إسرائيل قد عبد الله عشرين حِجة ، ثم عصاه عشرين حِجّة ؛ فبينما هو فى بيته يترامى فى مرآته ، نظر إلى الشيب فى لحيته ، فساءه ذلك ؛ فقال : إلهى ، أطعتك عشرين سنة وعصيتك عشرين سنة ؛ فإن رجعتُ إليك تقبلنى ؟ فسمع صوتاً من زاوية البيت ، ولم ير شخصاً : أحببتنا فأحببناك ، وتركتنا فتركناك ، وعصيتنا فأمهلناك ، وإن رجعت إلينا قبلناك . ١٠

ابن العلاء فى عابد

عبد الله بن العلاء قال : خرجنا حُجّاجا من المدينة ، فلما كنا بالحليفة نزلنا ، فوقف علينا رجل عليه أثواب رثّة له منظر وهيئة ، فقال : من يبغى خادما ؟ من يبغى ساقيا ؟ من يملأ قربة أو إداوة ؟ فقلنا : دونَكَ هذه القِربَ فاملأها . فأخذها وانطلق ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى أقبل وقد امتلأت أثوابه طينا ، فوضعها وهو كالمسرور الضاحك ، ثم قال : لكم غير هذا ؟ قلنا : لا . وأطعمناه قارصاً حاذرا [1] ، فأخذه وحمد الله وشكره ؛ ثم اعتزل وقعد يأكل أكْلَ جائع ، فأدركتْنى عليه الرِّقة ، فقمت إليه بطعام طيب كثير ؛ وقلت : قد علمتُ أنه لم يقع منك القرصُ موقعا ، فدونك هذا الطعام فكُلْه . فنظر فى وجهى وتبسم ؛ وقال : يا عبد الله ، إنما هى فَورة ، هذه النار قد أطفأتُها ــ وضرب بيده على بطنه ــ فرجعتُ وقد انكسف بالى لِما رأيت من هيبته ؛ فقال إلى رجل كان إلى جانبى : أتعرفه ؟ قلت : ما أعرفه . قال : هذا رجل من بنى هاشم ، من ولد العباس بن عبد المطلب ؛ كان يسكن البصرة ؛ فتاب وخرج منها ، ففُقد وما يُعرف له أثر . فأعجبنى قوله ؛ ثم لحقت به وناشدته الله ؛ وقلت له : ١٥ ٢٠

---

(١) فى بعض الأصول : « قرصاً بارداً » .

هل لك أن تعادلنى فإن معى فضلا من راحلتى وأنا رجل من بعض أخوالك ؟ فجزانى خيرا ، وقال : لو أردت شيئاً من هذا لكان لى مُعَدًّا . ثم أَنِسَ إلىّ وجعل يحدثنى ؛ وقال : أنا رجل من ولد العباس ، كنت أسكن البصرة ، وكنت ذا كِبْرٍ شديد وجبروت وبذخ ؛ وإنى أمرت خادماً لى أن

٥ تَحْشُو لى فراشاً من حرير بورد نثير ، ومخدة ؛ ففعلتْ ؛ فإنى لنائم إذ أيقظنى قِمعُ وردةٍ أغفلته الخادم ؛ فقمت إليها فأوجعتها ضربا ؛ ثم عدت إلى مضجعى بعد أن خرج ذلك القِمع من المخدة ؛ فأتانى آت فى منامى فى صورة فظيعة ، فهزنى وزَبرنى ، وقال : أفِقْ مِن غشيتك وأبصِر من حيرتك . ثم أنشأ يقول :

ياخِدْ إنك إن تُوَسَّدُ لَيِّناً ... وُسِّدْتَ بعدَ الموتِ صُمَّ الجَنْدَلِ

١٠ فامْهَدْ لنفسِك صالحاً تنجو به ... فلَتَنْدَمَنّ غداً إذا لم تَفْعَلِ

فانتبهت فزعا ، وخرجت من ساعتى هارباً بدِينى إلى ربى .

في التوبة

وقالوا : علامة التوبة الخروجُ من الجهل ، والندم على الذنب ، والتجافى عن الشهوة ، وترك الكذب ، والانتهاء عن الخلق السوء .

وقالوا : التائب من الذنب كمن لا ذنب له . وأول التوبة الندم .

لابن عبد ربه

١٥ ومن قولنا فى هذا المعنى :

يا وَيْلَنا من مَوقِفٍ ما بِهِ ... أَخوَفُ من أن يَعدِلَ الحاكمْ

أُبارِزُ اللهَ بعِصْيانِهِ ... وليس لِي مِن دونِه راحِمُ

يا ربِّ غُفْرانَكَ عن مُذْنِبٍ ... أسْرَفَ إلا أنه نادِمُ

لبعض المفسرين

وقال بعض أهل التفسير فى قول الله تبارك وتعالى : ﴿ يَاأَيُّها الذين آمنوا

٢٠ تُوبوا إلى اللهِ توبةً نَصُوحاً ﴾ . إن التوبة النصوح : أن يتوب العبد عن الذنب ولا ينوى العود إليه .

لابن عباس

وقال ابن عباس فى قول الله عز وجل : ﴿ إنما التوبة على اللهِ للذين يعملونَ السُّوءَ بجَهالة ثم يتوبونَ من قريبٍ ﴾ . إن الرجل لايركب ذنباً ولا يأتى فاحشةً إلا وهو جاهل . وقوله : ثم يتوبون من قريب . قال : كل من كان دون

المعاينة فهو قريب، والمعاينة : أن يؤخذ بكَظَمِ الإنسان ، فذلك قوله : ﴿إذا حضَرَ أحدَهم الموتُ قال إنِّى تُبْتُ الآن﴾ قال أهل التفسير : هو إذا أُخذ بكَظْمه .

لابن شبرمة — وقال ابن شبرمة : إنى لأعجب ممن يحتمى مخافة الضرر ، ولا يدع الذنوب مخافة النار .

المبادرة بالعمل الصالح

٥

قال الله عز وجل ﴿وسارِعوا إلى مغفرةٍ من ربِّكم وجنة﴾ .

وقال تعالى ﴿والسابقون السابقونَ أُولٰئك المُقرَّبون﴾ .

للحسن — وقال الحسن : بادروا بالعمل الصالح قبل حلول الأجل ، فإن لكم ما أمضيتم ، لا ما أبقيتم .

لبعضهم — وقالوا : ثلاثة لا أناة فيهن : المبادرة بالعمل الصالح ، ودفن الميت ، وإنكاح الكفء . ١٠

للنبي صلى الله عليه وسلم — وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ابن آدم : اغتنِم خمساً قبلَ خمس : شبابَك قبل هَرَمِك ، وصحّتَك قبل سقمِك ، وفَراغك قبل شُغلِك ، وحياتَك قبل موتِك ، وغِناك قبل فقرِك .

للحسن — وقال الحسن : صمْ قبل أن لا تقدرَ على يوم تصومه ، كأنك إذا ظمئت لم تكن رويت ، وكأنك إذا رويت لم تكن ظمئْت . ١٥

ليزيد الرقاشي — وكان يزيد الرَّقاشى يقول : يا يزيد ، من يصوم عنك أو يصلِّى لك أو يترضى لك ربك إذا مِت .

لابن معدان — وكان خالد بن معدان يقول :

إذا أنتَ لم تَزرعْ وأبصرْتَ حاصداً ﴿ ندمتَ على التَّفْرِيطِ فى زمنِ البذْرِ ٢٠

لابن المبارك — وقال ابن المُبارك : كنت مع محمد بن النَّضر فى سفينة ، فقلت : بأى شىء أستخرج منه الكلام ؟ فقلت له : ما تقول فى الصوم فى السفر ؟ فقال : إنما هى المُبادرة يابن أخى . فجاءنى والله بفتيا غير فتيا إبراهيم والشعبى .

لابن عبد ربه

ومن قولنا فى هذا المعنى :

بادِرْ إلى التوبةِ الخَلْصاءِ مُبتدئاً[1] ۞ والموتُ ويْحَكَ لم يَمدُدْ إليك يدا

وٱرقُب من الله وعداً ليس يُخلفُه ۞ لا بُدّ لله من إنجازِ ما وعَدا

لعلى

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه لأصحابه : فيم أنتم ؟ قالوا : نرجو

٥ ونخاف . قال : من رجا شيئاً طلبه ، ومن خاف شيئاً هرب منه .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

تَرجو النجاةَ ولم تَسلُك مَسالِكَها ۞ إنّ السفينةَ لا تَجرى على اليَبَسِ

وقال آخر :

ٱعمَل وأنتَ من الدنيا على حذَرٍ ۞ وٱعلم بأنك بعد الموتِ مبعوثُ

١٠ وٱعلم بأنك ما قدَّمتَ من عملٍ ۞ يُحصَى عليك، وما خلّفت موروث

النبى صلى الله عليه وسلم وعائشة

وقدّمت عائشة رضى الله عنها إلى النبى صلى الله عليه وسلم صَحْفة فيها خبزُ شعير وقطعة من كَرِش ، وقالت : يارسول الله ، ذبحنا اليوم شاة فما أمسكنا منها غير هذا . فقال : بل كلّها أمسكتم غير هذا .

العجز عن العمل

مؤرق وشاك

١٥ قال رجل لمؤرِّق العجلى : أشكو إليك نفسى ؛ إنها لا تريد الصلاة ، ولا تستطيع الصبر على الصيام . قال : بئس الثناء [ما] أثنيتَ على نفسك ، فإذا ضعفت عن الخير ، فاضعف عن الشر ؛ فإن الشاعر قال :

ٱحزنْ على أنك لا تَحزنُ ۞ ولا تُسئْ إنْ كنتَ لا تُحسِنُ

وٱضعُف عن الشرّ كما تدّعِى ۞ ضَعفاً عن الخير وقد يُمكنُ

لبكر بن عبد الله

٢٠ وقال بكر بن عبد الله : اجتهدوا فى العمل ، فإن قصّر بكم ضعفٌ فأمسكوا عن المعاصى .

(١) فى بعض الأصول : « مجتهدا » .

للحسن — وقال الحسن رحمه الله : من كان قويا فليعتمد على قوته فى طاعة الله ؛ وإن كان ضعيفاً فليكفّ عن معاصى الله .

لعلى — وقال علىّ : لا تكن كمن يعجز عن شكر ما أوتى ، فيبتغى الزيادة فيما بقى ؛ وينهى الناس ولا ينتهى .

٥ — وكان الحسن إذا وَعظ يقول : يا لها موعظةً لو صادفت من القلوب حياة ! أسمع حسيساً ولا أرى أنيساً ، ما لهم تفاقدوا عقولهم ؟ فراش نار وذباب طمع .

لابن السماك — وكان ابن السماك إذا فرغ من موعظته يقول : ألسنة تصف ، وقلوب تعرف ، وأعمال تخالف .

وقال : الحسنة نور فى القلب ، وقوة فى العمل ؛ والسيئة ظلمة فى القلب ، وضعف فى العمل . ١٠

لبعض الحكماء — وقال بعض الحكماء : يا أيها المشيخة الذين لم يتركوا الذنوب حتى تركتهم الذنوب ، ثم ظنوا أنّ تركها لهم توبة ؛ وليتهم إذا ذهبتْ عنهم لم يَتمنَّوْا عَودها إليهم .

لابن دينار — وكان مالك بن دينار يقول : ما أشدّ فطام الكبير . وينشد :

١٥ وتَروضُ عِرسَكَ بعدما هرمتْ ⁂ ومن العَناءِ رياضةُ الهرِمِ

لابن وضاح — ومن حديث محمد بن وضّاح قال : إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتُب ، مسح إبليس بيده على وجهه وقال : بأبى وجهٌ لا أفلحَ أبدا .

لبعض الشعراء — قال الشاعر :

فإذا رأى إبليسُ غرّةَ وجْهِهِ ⁂ حيَّا وقال فديْتُ مَن لا يُفلِحُ

٢٠ الحسن ورجل — وقال رجل للحسن : أبا سعيد ، أردت البارحة أن أصلى فلم أستطع ، قال : قيَّدتْك ذنوبُك .

قولهم فى الموت

بين النبى صلى الله عليه وسلم وابن الخطاب

قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضوان الله عليه : ما عندَك من ذكر الموت أبا حَفْص ؟ قال : أُمْسِى فما أرى أنّى أُصبِح ، وأُصبح فما أرى أنى أُمسِى ! قال : الأمر أوشكُ من ذلك أبا حفص ، أما إنه يَخرج عنى نفَسى فما أرى أنه يعود إلىَّ !

لابن شداد

وقال عبد[1] الله بن شدّاد : أرى داعىَ الموت لا يُقلِع ، ومن مضى لا يَرجع ، ومن بقِىَ فإليه يَنزع .

للحسن

وقال الحسن : ابنَ آدم ، إنما أنت عدد ، فإذا مضى يومك فقد مضى بعضُك .

لأبى العتاهية

وقال أبو العتاهية :

النَّاسُ فى غفَلاتِهم ٭ ورحَى المنيَّةِ تطْحنُ

لعمر ابن عبد العزيز

وقال عمر بن عبد العزيز : مَن أكثر من ذكر الموت اكتفى باليسير ، ومَن علِم أن الكلام عملٌ : قلَّ كلامُه إلا فيما ينفع .

أبو الدرداء

وكان أبو الدرداء إذا رأى جنازة قال : اُغدِى فإنا رائحون ، أو رُوحى فإنا غادون .

وقال رجل للحسن : مات فلان فجأة . فقال : لو لم يمت فجأة لمرض فجأة ثم مات .

ليعقوب عليه السلام

وقال يعقوب صلوات الله عليه للبشير الذى أتاه بقميص يوسف : ما أدرى ما أُثيبك به ، ولكن هوّن اللهُ عليك سكرات الموت .

ابن العلاء وجرير

وقال أبو عمرو بن العلاء : لقد جلستُ إلى جرير وهو يملى على كاتبه :

٭ ودِّعْ أُمامةَ حانَ منك رحيلُ ٭

ثم طلعت جنازة فأمسك وقال : شيَّبتْنى هذه الجنازة . قلت : فلم تسابّ

(1) فى بعض الاصول : «عبيد» .

الناس ؟ قال : يبدءوننى ثم لا أعفو ، وأعتدى ولا أبتدى . ثم أنشأ يقول :

تُروِّعُنا الجنائزُ مُقبِلاتٍ ۞ فنَلهو حين تَذهَبُ مُدبِراتِ

كروْعةِ ثَلّةٍ لِمُغارِ سَبْعٍ ۞ فلما غابَ عادتْ راتِعاتِ

لبعضهم وقالوا : من جعل الموت بين عينيه ، لَهَا عما فى يديه .

وقالوا : اتخذ نوح بيتاً من جصّ ، فقيل : لو بنيتَ ماهو أحسن من هذا ! ٥
قال : هذا كثير لمن يموت .

لأمية وأحكم بيت قالته العرب فى وصف الموت ، بيت أمية بن أبى الصلت حيث يقول :

يوشِكُ مَن فَرَّ من منيَّتِه ۞ فى بعضِ غِرَّاتِه يُوافِقُها

من لم يَمُتْ عَبْطةً يَمتْ هَرَماً ۞ للموتِ كأسٌ والمرءُ ذائقُها

لأصبغ زعابد وقال أصبغ بن الفرَج : كانَ بنَجْران عابد يصيح فى كل يوم صيحتين ١٠
بهذين البيتين :

منعَ البقاءَ مَطالِعُ الشمسِ ۞ وغُدُوُّها من حيث لا تُمسِى

وطُلوعُها حمراءَ قانِيةً ۞ وغُروبُها صفراءَ كالوَرْسِ

اليومَ يُخبِرُ ما يَجيءُ بهِ ۞ ومضى بفَصْلِ قضائه أمْسِ

لبعض الشعراء وقال آخر : ١٥

زَيَّنْتَ بيْتَكَ جاهِلًا وعَمَرْتَهُ ۞ ولعلَّ صِهْرَكَ [1] صاحبَ البيْتِ

من كانتِ الأيامُ سائرةً به ۞ فكأنه قد حَلَّ بالموت !

والمرءُ مُرْتَهَنٌ بسوفَ وليْتَنى ۞ وهلاكُهُ فى السَّوْفِ واللَّيْتِ

لِلّهِ دَرُّ فتًى تَدَبَّرَ أمْرَهُ ۞ فغَدا وراح مُبادِرَ الموت [2]

لصريع الغوانى وقال صريع الغوانى : ٢٠

كم رأينا من أناسٍ هلَكوا ۞ قد بَكَوْا أحبابَهم ثم بُكُوا

(١) فى بعض الأصول : « غيرك » .

(٢) فى بعض الأصول : « الفوت » .

تركوا الدُنيا لمنْ بعدهُم ٭ وُدُّهُم لو قدّموا ما تركوا

كم رأينا من ملوكٍ سُوقة ٭ ورأينا سُوقةً قد مَلكوا

للصلتان

وقال الصَّلتان العبديّ :

أشابَ الصّغيرَ وأفنَى الكبيـرَ كَرُّ الغَداة ومَرُّ العشِى

إذا ليلةٌ هَرَمتْ يومَها ٭ أتى بَعد ذلك يومٌ فتِى ٥

نرُوح ونغدُو لحاجاتِنا ٭ وحاجةُ مَنْ عاش لا تَنْقضى

تموت مع المرء حاجاته ٭ وتبْقى له حاجة ما بقِى

وكان سفيان بن عيينة يستحسن قول عدى بن زيد :

أين أهلُ الدّيار من قومِ نوحٍ ٭ ثم عادٌ من بعدِها وثمودُ

بينما هُمْ على الأسِرّة والأنْـماط أفضَتْ إلى التراب الخدودُ ١٠

وصحيحٌ أمسى يعود مريضا ٭ وهو أدْنى للموْتِ ممنْ يعودُ

ثم لم يَنقَضِ الحديث ولكن ٭ بعد ذا كلّه وذاك الوعيدُ

لأبى العتاهية

وقال أبو العتاهية فى وصف الموت :

كأنّ الأرض قد طُويَت علَيّا ٭ وقد أُخرجتُ مما فى يَديّا

كأنى[1] صرت مُنفرداً وحيداً ٭ ومُرتَهناً لديْك بما علَيّا ١٥

كأنّ الباكياتِ علىّ يوماً ٭ ولا يُغنى البُكاءُ علىّ شَيّا

ذَكَرْن مَنيّتى فنَعيْتُ نفسى ٭ ألا أسْعِد أُخيّك يا أُخيّا

وقال :

ستَخْلق جِدّةٌ وتحُولُ حالُ ٭ وعند الحقّ تُختَبر الرِّجالُ

وللدُنيا ودائعُ فى قلوبٍ ٭ بها جرَتِ القَطيعةُ والوصالُ ٢٠

تَخوّفُ ما لعلَّك لا تراهُ ٭ وتَرجو ما لعلَّك لا تنالُ

وقد طَلَع الهلالُ لهدم عُمْرى ٭ وأفرَحُ كلما طلَع الهلالُ !

(١) فى بعض الأصول « كأن قد » .

وله أيضاً :

من يعشْ يكبَرْ ومن يكْبَرْ يمتْ ∗ والمَنايا لا تُبالى من أتتْ
نحن فى دارِ بلاءٍ وأذًى ∗ وشَقاءٍ وعَناءٍ وعَنتْ
منزلٌ ما يَثبُت المرءُ به ∗ سالمًا إلّا قليلاً إن ثبَتْ
أيها المغرورُ ماهذا الصّبا ∗ لو نَهيْتَ النفْسَ عنه لانتهتْ ٥
رَحم الله امرأً أنصَفَ من ∗ نفْسِه إذ قال خيْرًا أو سكتْ

لابن عبد ربه ومن قولنا فى ذكر الموت :

من لى إذا جُدْتُ بين الأهل والولدِ ∗ وكان مِنّىَ نحو الموْت قيْس يَدى
والدّمع يَهمل والأنفاسُ صاعدةٌ ∗ فالدّمع فى صبَبٍ والنّفْس فى صَعدِ
ذاك القضاء الذى لاشىء يَصرِفُه ∗ حتى يُفرّقَ بين الرُّوح والجسدِ ١٠

ومن قولنا فيه :

أتلهو بين باطيَةٍ وزِير ∗ وأنت من الهلاك على شفيرِ ؟
فيامن غرّه أملٌ طويلٌ ∗ يُؤدّيه إلى أجلٍ قصيرِ
أتفْرحُ والمنيّةُ كلَّ يومٍ ∗ تُريكَ مكان قبرِك فى القبورِ؟
هى الدُّنيا فإن سرّتْك يوْماً ∗ فإنّ الحُزنَ عاقبةُ السرورِ ١٥
سَتُسْلَب كل ما جَمّعْت منها ∗ كعاريَةٍ تُردُّ إلى المُعيرِ
وتَعْتاض اليقين من التّظنّى ∗ ودارَ الحقّ من دارِ الغُرورِ

لأبى العتاهية ولأبى العتاهية :

وليس من منزلٍ يأويه مُرْتحِلٌ[1] ∗ إلّا وللموْت سيْفٌ فيه مسلولُ

وله أيضاً : ٢٠

ماأقرَب الموتَ منا ∗ تجاوز اللهُ عنا
كأنه قد سَقانا ∗ بكاسِه حيث كنا

---

(١) فى بعض الأصول : « ذو نفس » .

وله أيضاً :

أُؤَمِّلُ أنْ أُخلَّد والمنايا * يَثِبن عليَّ من كلِّ النواحى
وما أدرى إذا أمسَيْتُ حيًّا * لَعلّى لا أعيش إلى الصباح

وقال الغزّال :

٥ أصبحْتُ واللهِ مجهوداً على أمل * من الحياة قصيرٍ غير مُمتدِّ
وما أُفارقُ يوماً مَن أُفارقُه * إلّا حسِبْت فِراقى آخر العهدِ
انظرْ إلىّ إذا أُدْرِجت فى كفنى * وانظرْ إلىّ إذا أُدْرِجتُ فى لَحْدِى
واقعُدْ قليلا وعايِن مَن يُقيم معى * ممَّنْ يُشيِّع نعْشِى من ذوى وُدِّى
هيهات ! كُلُّهُمُ فى شأْنِه لعبٌ * يَرمى التراب ويَحثُوه على خدّى

١٠ وقال أبو العتاهية :

نَعى لك ظِلَّ الشَّبابِ المشيبُ * ونادتْك باسم سواك الخُطوبُ
فكن مُستعدًّا لرَيْب المنونِ * فإنّ الذى هو آتٍ قريبُ
وقبلَك داوَى الطَّبيبُ المريض * فعاش المريض ومات الطَّبيبُ
يَخاف على نفسِه من يتوبُ * فكيف تُرى حال من لا يتوبُ ؟

١٥ وله أيضاً :

أخى آدَّخِرْ مهما استطعـــت ليوم بُؤْسِك وافتقارِكْ
فلَتَنْزِلَنّ بمـــنزلٍ * تحتاجُ فيه إلى ادِّخارِكْ

وقال أبو الأسود الدؤلى :

أيها الآملُ ما ليس له * ربمـا غرَّ سفيهاً أملُهْ
٢٠ ربَّ من مات يُمنِّى نفْسَه * حال من دونِ مُناه أجلُهْ
والفتَى المُختالُ فيما نابه * رُبما ضاقتْ عليه حِيَلُهْ
قل لمن مثَّل[1] فى أشعاره * يَهلِك المرء ويبقى مَثَلُهْ

---

(١) فى بعض الأصول : « لمن قد مات ».

نافِسِ المحسِنَ فى إحسانِه * فسيكفيك سناء[1] عمَلُهْ

لعدى بن زيد

وقال عدى بن زيد العبادى :

أين كِسْرى كِسْرى الملوك أنوشِرْ * وانَ أم أين قبْلَهُ سابورُ

وبنو الأصفَرِ الكرامُ مُلوكُ الرُّ * وم لم يَبقَ منهمُ مَذكورُ

وأخو الحَضْرِ إذ بناه وإذ دِجْلةُ تُجبَى إليه والخابورُ ٥

شادَه مَرْمَرا وجلَّلَه كِلْساً فلِلطَّيرِ فى ذُراه وُكورُ

لم يَهَبْه رَيبُ المَنونِ فبادَ الـمُلك عنه فبابُه مهجورُ

وتفكَّرْ[2] ربَّ الخوَرْنَق إذ أصبح يوماً ولِلهُدى تفكيرُ

سَرَّهُ حالُه وكثرةُ ما يَملِكُ والبحر مُعرِضاً والسَّدير

فارْعَوَى قلبه فقال : وما غِبْطةُ حىٍّ إلى المماتِ يصيرُ ؟ ١٠

ثم بعد الفَلاح والمُلْكِ والنِّعمةِ وارَتْهُمُ هناك القُبورُ

ثم صاروا كأنهم ورقٌ جفَّ فألوَت به الصَّبا والدَّبور

لحريث بن جبلة

وقال حريث بن جَبلة العذرى :

يا قلبُ إنك فى الأحياء مغْرورُ * فاذكرْ وهل ينفعَنْك اليوْم تذكيرُ

حتى متَى أنت فيها مُذنبٌ وله * لا يستفِزَّنْك منها البدْرُ والحورُ ١٥

قد بُحْت بالجهل لا تخفيه عن أحد * حتى جرَتْ بك أطلاقٌ محاضيرُ

تريد أمراً فما تدرى أعاجله * خيرٌ لنفسِك أم ما فيه تأخيرُ

فاستقْدِرِ الله خيراً وارضَيَنَّ به * فبينما العُسر إذ دارتْ مياسيرُ

وبينما المرء فى الأحياء مغْتبطاً * إذ صار فى الرَّمسِ تعفوه الأعاصيرُ

حتى كأنْ لم يكن إلّا توهُّمُه * والدهرُ فى كلِّ حالَيْه دَهاريرُ ٢٠

يبكى الغريبُ عليه ليس يعرِفُه * وذو قرابتِه فى الحىِّ مسرورُ

(١) فى بعض الأصول : « مسيئا ».

(٢) فى بعض الأصول : « وتبين ».

فذاكَ آخِرُ عهدٍ من أخيكَ إذا ٭ ما ضُمِّنَتْ شِلْوَهُ اللَّحدُ المحافيرُ

قولهم فى الطاعون

عمر بن الخطاب وابن الجراح فى الطاعون

قال أبو عبيدة بن الجراح لعمر بن الخطاب رضوان الله عليه لما بلغه أن الطاعون وقع فى الشام فانصرف بالناس : أفِراراً من قَدرِ الله يا أمير المؤمنين ؟ قال : لو غيرُك قالها يا أبا عبيدة ! نعم نَفِرُّ من قَدَرِ الله إلى قدر الله : أرأيتَ لو أن لك إبلا هبطت بها واديا له جهتان إحداهما خصيبة والأخرى جديبة ، أليس لو رعيت فى الخصيبة رعيتَها بقدَر الله ، ولو رعيت الجديبة رعيتها بقدر الله ؟ وكان عبد الرحمن بن عوف غائباً فأقبل ، فقال : عندى فى هذا علمٌ سمعتُه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : إذا سمِعْتُمْ به فى أرضٍ فلا تَقْدَموا عليها ، وإذا وقَعَ فى أرضٍ وأنتم بها فلا تخرُجوا فِراراً منه . فحمد اللهَ عمرُ ، ثم انصرف بالناس .

للوليد بن عبد الملك فى مثله

وقيل للوليد بن عبد الملك حين فرّ من الطاعون : يا أمير المؤمنين ، إن الله تعالى يقول : ﴿ قُل لَنْ ينفعَكمُ الفِرارُ إنْ فرَرْتُمْ من الموت أوِ القتل وإذاً لا تُمتَّعونَ إلا قليلا ﴾ . قال : ذلك القليلَ نطلُب .

من شريح إلى صديق له فر من الطاعون

العتبى قال : وقع الطاعون بالكوفة ، فخرج صديق لشُريح إلى النَّجف ، فكتب إليه شريح : أما بعد ؛ فإن الموضع الذى هربتَ منه لم يَسُقْ إلى أجلك تمامَه ، ولم يسلبه أيامَه ؛ وإن الموضع الذى صرتَ إليه لبِعيْن من لا يُعجزه طالب ، ولا يفوته هرب ؛ وإنا وإياك على بساط ملك ، والنجف من ذى قدرة لَقريب .

الحسين فى الطاعون الجارف

لما وقع الطاعون الجارف أطاف الناس بالحسين ، فقال : ما أحسن ماصنع بكم ربُّكم ؛ أقلعَ مُذنِب وأنفَق مُمْسك .

لأعرابى هرب من الطاعون

وخرج أعرابى هارباً من الطاعون فلدغته أفعى فى طريقه فمات . فقال أخوه يرثيه :

طافَ يَبغى نَجْوةً ٭ مِن هلاك فهلَكْ

لَيتَ شِعْرِى ضَلَّةً ٭ أَىُّ شىءٍ قتَلَكْ
أَجُحافٌ سائلٌ ٭ من جِبالٍ حَمَلَكْ
والمَنايا رَصَدٌ ٭ للفتى حيث سَلَكْ
كلُّ شىءٍ قاتِلٌ ٭ حين تَلْقَى أَجَلَكْ

ابن وهب وابن الزيات

حكى [1] أن ماء المطر اتصل فى وقت من الأوقات ، فقطع الحسنَ بنَ وهب عن لقاء محمد بن عبد الملك الزيات ، فكتب إليه الحسن : ٥

يُوضِحُ العُذْرَ فى تَراخِى اللِّقاءِ ٭ ما تَوالَى من هذه الأَنواءِ
فسلامُ الإلٰهِ أُهْدِيهِ منِّى ٭ كلَّ يومٍ لسيدِ الوزراءِ
لستُ أدرى ماذا أَذُمُّ وأشكو ٭ من سماءٍ تَعُوقُنى عن سماءِ
غيرَ أنى أدعو لهاتِيكَ بالثُّكْـلِ وأدعو لهــذه بالبَقاءِ ١٠

ابن الزيات وابن أبى دواد

اتصل بأحمد بن أبى دُواد أن محمد بن عبد الملك هجاه بقصيدة فيها تسعون بيتا ، فقال :

أَحسنُ من تسعينَ بيتاً سُدًى ٭ جَمْعُــكَ معناهنَّ فى بيْتِ
ما أحوجَ النـاسَ إلى مَطْرةٍ ٭ تُزِيلُ عنهم وَضَرَ الزَّيْتِ

فبلغ قوله محمداً فقال : ١٥

يأيها المـأفونَ رأياً لقد ٭ عرَّضتَ بى نفسَكَ للموتِ
قَيَّرْتُمُ المُلْكَ فلَم تُنْقِهِ ٭ حتى غسَلْنا القارَ بالزَّيْتِ
الزيتُ لا يُزْرِى بأحسابِنا ٭ أحسابُنا معروفةُ البيْتِ

لابن أبى دواد

وقيل لابن أبى دواد : لم لا تسأل حوائجك الخليفة بحضرة محمد بن عبد الملك ؟ فقال : لا أحب أن أعلمه شأنى . ٢٠

مقتل زيد ابن حسين

وقد حدث أبو القاسم جعفر ، أن محمد الحسنى قال : أخبرنا محمد بن زكريا

---

(١) هذا الخبر غريب عن هذا الباب ؛ وقد ذكر فى باب الزيارة ، وهناك موضعه فيما نرى .

الغَلَابيُّ ، قال : حدثنا محمد بن نجيح النّوبختى ، قال : حدثنا يحيى أبن سليمان قال :
حدثنى أبى ، وكان ممن لحق الصحابة ، قال : دخلت الكوفة ، فإذا أنا برجل
يحدث الناس ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : بكر بن الطرماح ؛ فسمعته يقول :
سمعت زيد بن حسين يقول : لما قُتل أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام ،
٥ أتى بنعيه إلى المدينة كلثومُ بن عمرو ، فكانت تلك الساعة التى أتى فيها أشبَهَ
بالساعة التى قُبِضَ فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، من باك وباكية ،
وصارخ وصارخة ، حتى إذا هدأتْ عَبرة البكاء عن الناس ، قال أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم : تعالوْا حتى نذهب إلى عائشة زوج النبي صلى الله
عليه وسلم ، فننظر حزنها على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام
١٠ الناس جميعاً حتى أتوا منزل عائشة رضى الله عنها ، فاستأذنوا عليها ، فوجدوا
الخبر قد سبق إليها ، وإذا هى فى غمرة الأحزان وعَبرة الأشجان ، ماتفتر عن
البكاء والنحيب منذ وقتِ سمعتْ بخبره ، فلما نظر الناس إلى ذلك منها انصرفوا ؛
فلما كان من غد قيل إنها غدت إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يبق
فى المسجد أحد من المهاجرين إلا استقبلها يسلم عليها ، وهى لا تسلم ولا تردُّ
١٥ ولا تطيق الكلام ؛ من غزورة الدمعة ، وغمرة العبرة ، تختنق بعبرتها ، وتتعثر
فى أثوابها ، والناس من خلفها ، حتى آتت إلى الحجرة ، فأخذت بعضادَتَى الباب ،
ثم قالت : السلام عليك يا نبى الهدى ، السلام عليك يا أبا القاسم ، السلام عليك
يا رسول الله وعلى صاحبيك ، يا رسول الله ؛ أنا ناعية إليك أحظى أحبابك ،
وذاكرة لك أكرم أودّائك عليك ، قُتل والله حبيبُك المجتبى ، وصفيُّك المرتضى ،
٢٠ قتل والله من زوجتُه خيرُ النساء ، قتل والله من آمن ووفى ، وإنى لنادبةٌ ثَكْلَى ،
وعليه باكيةٌ حَرَّى ، فلو كشف عنك الثرى لقلت إنه قتل أكرمهم عليك ، وأحظاهم
لديك ؛ ولو أمرت أن يجيب النداء لك منى ماتمرضتُ له منذ اليوم ، والله يُجرى
الأمور على السداد .

قال المبرد : عزى أحمد بن يوسف الكاتب ولد الربيع ، فقال : عُظِّم أجركم ،

ورحم الله [1] فقيدكم ؛ وجعل لكم من وراء مصيبتكم حالًا يجمع شملكم ، ويلم شعثكم ، ولا يفرق ملأكم .

وقيل لأعرابية مات لها بنون عدة : ما فعل بنوك ؟ قالت : أكلهم دهرٌ لا يشبع .

رجل يعزى الرشيد

وعزى رجلٌ الرشيد فقال : يا أمير المؤمنين ، كان لك الأجر لا بك ، وكان العزاء لك لا عنك . ٥

لابن عباس

ومما روى أنّ عبد الله بن عباس رضى الله عنهما نُعِيَ إليه ابنُه وهو فى السفر ، فاسترجع ثم قال : عورةٌ سترها الله ، ومؤْنَةٌ كفاها الله ، وأجرٌ ساقه الله .

للنبى صلى الله عليه وسلم فى ابنته

وقال أسامة بن زيد رضى الله عهما لما عُزّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بابنته رقية . قال : الحمدُ لله . دفْنُ البنات من المَكْرُمات . وفى رواية : من المكرمات دفن البنات . ١٠

ملك كندة وأعرابى عزاه فى ابنته

وقال الغزّال : ماتت ابنة لبعض ملوك كندة ، فوضع بين يديه بدرة من الذهب ، وقال : من أبلغ فى التعزية فهى له ! فدخل عليه أعرابى فقال : أعظم الله أجرَ الملكِ ! كُفِيت المؤنة ! وسترتَ العورة ! ونعم الصهرُ القبر ! فقال له الملك : أبلغتَ وأوجزتَ . وأعطاه البدرة . ١٥

من أحب الموت ومن كرهه

فى الحديث

فى بعض الأحاديث : لا يتمنى أحدُكم الموتَ ؛ فعسى أن يكون مُحْسِناً فيزدادَ فى إحسانه ، أو يكون مسيئاً فيَنْزِعَ عن إساءته .

وقد جاء فى الحديث : يقول الله تبارك وتعالى : إذا أحَبَّ عبدى لِقائى أحْبَبْتُ لِقاءه ، وإذا كَرِهَ لقائى كَرِهْتُ لِقاءه . ٢٠

وليس معنى هذا الحديث حبَّ الموت وكراهته ، ولكن معناه من

(١) فى بعض الأصول : « ووجه إلى فقيدكم » .

أحب الله أحبه الله ، ومن كره الله كرهه الله .

لأبى هريرة

وقال أبو هريرة : كَرِه الناسُ ثلاثاً وأحببْتُهن : كرهوا المرض وأحببته ، وكرهوا الفقر وأحببته ، وكرهوا الموت وأحببته !

بشر بن منصور

عبد الأعلى بن حماد قال : دخلنا على بشر بن منصور وهو فى الموت ، وإذا هو من السرور فى أمر عظيم ؛ فقلنا له : ما هذا السرور ؟ قال : سبحان الله ! أُخْرُج من بين الظالمين والحاسدين والمغتابين والباغين وأقدم على أرحم الراحمين ولا أُسَرُّ .

عبد الملك وشيخ

ودخل الوليد بن عبد الملك المسجد ، فخرج كل من كان فيه ، إلا شيخاً قد حناه الكبر ؛ فأرادوا أن يُخرجوه ، فأشار إليهم [الوليدُ] أن دعوا الشيخ . ثم مضى حتى وقف عليه ، فقال له : يا شيخ ، تحب الموت ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين ؛ ذهب الشباب وشره ، وأتى الكبرُ وخيرُه ؛ فإذا قمت حمدت الله ، وإذا قعدتُ ذكرته ؛ فأنا أحب أن تدوم لى هاتان الخلتان .

النبى صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن عمر

قال عبد الله بن عمر : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، ما لى لا أحب الموت ؟ قال : هل لك مال ؟ قال : نعم . قال : فقدّمه بين يديك . قال : لا أطيق ذلك ! فقال النبى عليه السلام : المرء مع ماله ؛ إن قدمه أحب أن يلحقه ، وإن أخره أحب أن يتخلف معه !

لبعض الشعراء

وقال الشاعر فى كراهية الموت :

قامت تشجِّعنى هندٌ فقلتُ لها ٭ إنّ الشجاعةَ مقرونٌ بها العَطَبُ

لا والذى مَنعَ الأبصارَ رؤيتَه ٭ ما يشتهى الموتَ عندى مَن له أرَب

للحكماء

وقالت الحكماء : الموت كريه .

وقالوا : أشدّ من الموت ما إذا نزل بك أحببتَ له الموت ؛ وأطيبَ من العيش ما إذا فارقتَه أبغضت له العيش .

التهجد

النبي صلى الله عليه وسلم

المُغيرة بن شُعبة قال : قام النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى ورِمتْ قدماه .

وقيل للحسن : ما بال المُتهجدين أحسن الناس وجوها ؟ قال : إنهم خلوْا بالرحمن فأسفر نورهم من نوره .

لبعضهم

وكان بعضهم يصلى الليل حتى إذا نظر إلى الفجر قال : عند الصباح يَحمد القوم السُّرى . ٥

وقالوا : الشتاء ربيع المؤمنين : يطول ليلُهم للقيام ، ويقصُر نهارُهم للصيام .

النبي صلى الله عليه وسلم

وقال صلى الله عليه وسلم : أطعِموا الطعام ، وأفشوا السلام ، وصلُّوا بالليل والناسُ نيام .

وقال الله تبارك وتعالى ﴿وبالأسحارِ هم يَستغفرون﴾ . ١٠

وهذا يوافق الحديث الذى رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله تبارك وتعالى يَنزل إلى سماء الدنيا فى الثلث الأخير من الليل فيقول : هل من سائل فأُعطيَه ، هل من داعٍ فأستجيبَ له ، هل من مُستغفر فأغفر له ، هل من مستغيث فأُغيثه .

المغيرة والنخعى

أبو عَوانة عن المُغيرة قال : قلتُ لإبراهيم النَّخَعى : ما تقول فى الرجل يرى الضوء بالليل ؟ قال : هو من الشيطان ، لو كان خيراً لَأُرِيَه أهل بدر . ١٥

البكاء من خشية الله عز وجل

قال النبي صلى الله عليه وسلم : حرّم الله على النار كلَّ عين تبكى من خشية الله ، وعينٍ غضت عن محارم الله .

يزيد الرقاشى

وكان يزيد الرقاشى قد بكى حتى سقطت أشفار عينيه . ٢٠

لغالب بن عبد الله

وقيل لغالب بن عبد الله : أما تخاف على عينيك من العَمَى من طول البكاء ؟ فقال : شِفاءها أريد .

لابن مزيد

وقيل ليزيد بن مزيد : ما بال عينك لا تجف ؟ قال : أى أخى ، إن الله أوعدنى إن عصيتُه أن يحبسنى فى النار : ولو أوعدنى أن يحبسنى فى الحمّام لكنتُ حَريًّا أن لا تجف عينى .

لابن ذر

قال عمر بن ذرّ لأبيه : مالَكَ إذا تكلمت أبكيت الناس ، فإذا تكلم غيرُك لم يُبكهم ؟ قال : يا بنى ، ليست النائحة الثَّكلى مثل النائحة المستأجَرة .

وقال الله لنبيّ من أنبيائه : هب لى من قلبك الخشوع ، ومن عينيك الدموع ؛ ثم ادعنى أستجب لك .

لابن عبد ربه

ومن قولنا فى البكاء :

مدامعٌ قد خدَّدتْ فى الخُدود ٭ وأعين مكحولةٌ بالهُجود
ومعشر أوْعدَهم ربُّهم ٭ فبادَروا خشيةَ ذاك الوعيد
فهُم عُكوفٌ فى محاريبهم ٭ يبكون من خوفِ عقابِ المجيد
قد كاد أن يُعشِبَ من دمعِهم ٭ ما قابلتْ أعينُهم فى السُّجود

لابن الأصم

وقال قيس بن الأصمّ فى هذا المعنى :

صلَّى الإله على قومٍ شهدْتُهُم ٭ كانوا إذا ذَكروا أو ذُكِّروا شهِقوا
كانوا إذا ذَكروا نار الجحيم بكَوْا ٭ وإن تَلا بعضُهم تخوِّفاً صَعِقوا
مِن غير همزٍ من الشيطان يأخذهم ٭ عند التِّلاوة إلا الخوفُ والشَّفَق
صَرْعَى من الحُزن قد سجَّوْا ثيابهم ٭ بقيَّة الرُّوح فى أوْداجهم رمَق
حتى تخالَهمُ لو كنتَ شاهدَهم ٭ من شدّة الخوف والإشفاقِ قد زَهِقوا

النهى عن كثرة الضحك

فى الحديث

فى الحديث المرفوع : كثرة الضحك تُميت القلبَ وتُذهبُ بهاءَ المؤمن .

وفيه : لو علمتم ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا .

وفيه : إن الله يكره لكم العبثَ فى الصلاة ؛ والرفث فى الصيام ، والضحك فى الجنائز .

الحسن وقوم يضحكون

ومر الحسن بقوم يضحكون فى شهر رمضان ، فقال : ياقوم ، إنّ الله جعل رمضانَ مِضْماراً لخلقه يتسابقون فيه إلى رحمته ؛ فسبق أقوام ففازوا ، وتخلف أقوام فخابوا ؛ فالعجب من الضاحك اللاهى فى اليوم الذى فاز فيه السابقون ، وخاب فيه المتخلفون ! أما والله لو كُشف الغطاء لشغل محسناً إحسانُه ومُسيئاً إساءتُه . ٥

عبد الله وضاحك

ونظر عبد الله بن ثعلبة إلى رجل يضحك مستغرقا ، فقال له : أتضحك ولعل أكفانك قد أُخذت من عند القصّار ؟

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

وكم من فتًى يُمْسى ويُصْبِحُ آمِناً ٭ وقد نُسِجتْ أكفانُهُ وهو لايدرى

النهى عن خدمة السلطان وإتيان الملوك ١٠

لابن الخطاب

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من دخل على الملوك خرج وهو ساخط على الله .

أبو جعفر وسفيان

أرسل أبو جعفر إلى سفيان ، فلما دخل عليه قال : سلنى حاجتك أبا عبد الله ! قال : وتقضيها يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم . قال : فإن حاجتى إليك أن لا ترسل إلىّ حتى آتِيَك ، ولا تعطينى شيئاً حتى أسألك ! ثم خرج ؛ فقال أبو جعفر : ١٥ ألقينا الحَبَّ إلى العلماء فلقطوا ، إلا ما كان من سفيان الثورى ، فإنه أعيانا فِرارا .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : الدخولُ على الأغنياء فتنةٌ للفقراء .

زياد وأصحابه

وقال زياد لأصحابه : مَن أغبطُ الناس عيشاً ؟ قالوا : الأمير وأصحابه . قال : كلا ؛ إنّ لأعواد المنبر لهيبة ، ولقرع لجام البريد لفَزْعة . ولكن أغبط الناس عيشاً رجل له دار يسكنها ، وزوجة صالحة يأوى إليها ، فى كفاف من عيش ، ٢٠ لا يعرفنا ولا نعرفه ؛ فإن عرفَنا وعرفْناه أفسدنا عليه آخرته ودنياه .

وقال الشاعر :

إنّ الملوكَ بَلاءٌ حيثُما حلُّوا ٭ فلا يكنْ لك فى أكنافِهِم ظِلُّ

ماذا تريد بقومْ إن هُمُ غضبوا * جاروا عليك وإن أرضيتَهم مَلُّوا
فاستَغْنِ بالله عن إتيانهم أبداً * إنّ الوقوف على أبوابهم ذُلُّ

وقال آخر :

لا تَصحَبَنّ ذوى السُّلطانِ فى عملٍ * تُصبحْ على وجَل تُمسى على وجَلِ
٥ كلِ التُّرابَ ولا تعمَل لهم عملا * فالشَّرُّ أجمعُه فى ذلك العمل

من كليلة ودمنة — وفى كتاب كليلة ودمنة : صاحب السلطان مثل راكب الأسد : لا يدرى متى يهيج به فيقتله .

مالك بن دينار وسجين — ودخل مالك بن دينار على رجل فى السجن يزوره ، فنظر إلى رجل جنديّ قد اتكأ فى رجليه كُبولٌ قد قَرنتْ بين ساقيه ، وقد أُتى بسفرة كثيرة الألوان ؛ ١٠ فدعا مالكَ بن دينار إلى طعامه ؛ فقال له : أخشى إن أكلت من طعامك هذا أن يُطرح فى رجلى مثل كُبولك هذه .

من كتاب الهند — وفى كتاب الهند : السلطان مثل النار : إن تباعدتَ عنها احتجت إليها ، وإن دنوت منها أحرقتْك .

أيوب وأبو قلابة فى القضاء — أيوب السختيانى قال : طُلِب أبو قِلابة لقضاء البصرة ، فهرب منها إلى الشام ، ١٥ فأقام حينا ثم رجع ، قال أيوب فقلت له : لو وَلِيت القضاء وعدلت كان لك أجران . قال : يا أيوب ، إذا وقع السابح فى البحر فكم عسى أن يسبح !

إبراهيم يعظ بقية — وقال بقية : قال لى إبراهيم : يا بقية ، كن ذَنَباً ولا تكن رأسا ؛ فإن الرأس يهلِك والذنب ينجو .

لابن عبد ربه — ومن قولنا فى خدمة السلطان وصحبته :

٢٠ تجنَّب لباسَ الخزِّ إن كنت عاقلا * ولا تَختتم يوماً بفصِّ زَبَرجدِ
ولا تتغلَّلْ[1] بالغوالى تعطُّراً * وتَسحَبْ أذيالَ المُلاءِ المُعضَّد
ولا تتبخْتَر صيِّتَ النَّعل زاهياً * ولا تتصدَّرْ فى الفِراش المُمهَّد

(١) فى بعض الأصول : « تتطيب » .

وكن هملا فى الناسِ أغبَرَ شاعثاً ٭ تَروح وتغدو فى إزارٍ وبُرْجُدِ
ترى جلدَ كبْشٍ تحته كلُّ مااستوى ٭ عليه سَريرٌ فوق صرْحٍ مُمَرَّدِ
ولا تَطمَح العيْنانِ منك إلى آمرئٍ ٭ له سَطَواتٌ باللِّسانِ وباليدِ
تَراءتْ له الدُّنيا بِزِبْرِجِ عيْشِها ٭ وقادتْ له الأطماعُ غير مُقوَّدِ
فأسْمَن كَشْحَيْه وأهزَل دينَه ٭ ولم يَرتقِبْ فى اليوم عاقبةَ الغدِ ٥
فيوْماً تَراه تحت سوْطٍ مُجرَّداً ٭ ويوْماً تراه فوق سَرْجٍ منضَّدِ[1]
فيُرْحم تاراتٍ ويُحسَدُ تارةً ٭ فذا شر مرحومٍ وذا شرُّ مُحسَدِ

القول فى الملوك

الأصمعى قال : بلغنى أن الحسن قال : يابن آدم ، أنت أسير الجوع ، صريع الشبع ؛ إن قوما لبسوا هذه المطارف العتاق ، والعمائم الرقاق ، ووسعوا دورهم ، ١٠ وضيقوا قبورهم ، وأسمنوا دوابهم ، وأهزلوا دينهم ، يتكئ أحدهم على شماله ، ويأكل من غير ماله فإذا أدركته الكظّة قال : ياجارية ، هاتى هاضومَك ! ويلَك ! وهل تهضم إلا دينَك ؟

لمالك — يحيى بن يحيى قال : جلس مالك يوما فأطرق مليا ، ثم رفع رأسه فقال : ياحسرة على الملوك ! لاهم تُركوا فى نعيم دنياهم ، وماتوا قبل أن يموتوا حزنا على ١٥ ما خلّفوا ، وجزعا مما استقبلوا !

للحسن — وقال الحسن ، وذُكر عنده الملوك : أما إنهم وإن هَمْلجتْ لهم البغال ، وأطافت بهم الرجال ، وتعاقبت لهم الأموال ، إن ذل المعصية فى قلوبهم ؛ أبى الله إلا أن يُذِلَّ من عصاه !

لعبد الله بن الحسن — الأصمعى قال : خطب عبد الله بن الحسن على مِنْبر البصرة فأنشد على المنبر : ٢٠
أين الملوكُ التى عن حظِّها غفَلتْ ٭ حتى سقاها بكأس الموْتِ ساقيها

(١) فى بعض الأصول : « مجوّد » .

بلاء المؤمن فى الدنيا

للنبي صلى الله عليه وسلم

قال النبي صلى الله عليه وسلم : المؤمن كالخامة من الزرع : تميل بها الريح مرة كذا ومرة كذا ؛ والكافر كالأرزة المجذئة على الأرض يكون انجعافها مرة .

ومعنى هذا الحديث : تردُّد الرزايا على المؤمن ، وتجافيها عن الكافر ليزداد إثما .

لوهب بن منبه

٥ وقال وهب بن منبه : قرأت فى بعض الكتب : إنى لأذود عبادى المخلصين عن نعيم الدنيا ، كما يذود الراعى الشفيق إبله عن موارد الهلكة .

لابن عياض

قال الفضيل بن عياض : ألا ترون كيف يَزوى الله الدنيا عمن يحب من خلقه : يمررها عليه مرة بالجوع ، ومرة بالعرى ، ومرة بالحاجة ؛ كما تصنع الأم الشفيقة بولدها : تفطمه بالصبر مرة ، ومرة بالحُضَض ؛ وإنما يريد بذلك

١٠ ماهو خير له .

وفى الحديث : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أخبرنى جبريل عن الله تبارك وتعالى أنه قال : ما ابتليت عبدى ببلية فى نفسه أو ماله أو ولده فتلقاها بصبر جميل إلا استحييت يوم القيامة أن أرفع له ميزانا أو أنشر له ديوانا .

كتمان البلاء إذا نزل

١٥ قال النبي صلى الله عليه وسلم : من ابْتُلِيَ ببلاء فكتمه ثلاثة أيام صبراً واحتسابا ، كان له أجر شهيد .

وسَمع الفضيل بن عياض رجلا يشكو بلاء نزل به ، فقال : ياهذا ، تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك .

وقال : من شكا مصيبةً نزلتْ به فكأنما شكا ربَّه .

لدريد بن الصمة يرثى أخاه

٢٠ وقال دُريد بن الصمة يرثى أخاه عبد الله بن الصمة :

قليل التَّشكِّى للمصائبِ ذاكراً * من اليوم أعقابَ الأحاديثِ فى غدِ

لتأبط شرا

وقال تأبط شرا :

قليـــل التَّشكِّى للمُلِمِّ يُصيبُه * كثير النَّوى شتى الهوى والمسالِكِ

لشريح — الشيباني قال : أخبرني صديق لي قال : سمعني شُريح وأنا أشتكي بعض ما غمّني إلى صديق ، فأخذ بيدي وقال : يابن أخي . إياك والشكوى إلى غير الله ؛ فإنه لا يخلو مَن تشكو إليه أن يكون صديقاً أو عدوا ؛ فأما الصديق فتحزنه ولا ينفعك ، وأما العدو فيشمت بك . انظر إلى عيني هذه ـ وأشار إلى إحدى عينيه ـ فوالله ما أبصرت بها شخصاً ولا طريقاً[1] منذ خمس عشرة سنة ، وما أخبرت بها أحداً إلى هذه الغاية . أما سمعت قول العبد الصالح : إنما أشكو بَثّي وحُزني إلى الله ! فاجعله مشكاك ومحزنك عند كل نائبة تنوبك ؛ فإنه أكرم مسئول ؛ وأقرب مدعوّ .

بين عقيل بن أبي طالب وأخيه علي — كتب عقيل إلى أخيه عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليهما ، يسأله عن حاله ؛ فكتب إليه :

فأن تسألِني كيف أنت فإنني * جليدٌ على ريْب الزمانِ صليبُ
عزيزٌ عليّ أن تُرى بي كآبةٌ * فيَفْرحَ واشٍ أو يُساء حبيبُ

لابن شبرمة — وكان ابن شبرمة إذا نزلت به نازلة قال : سحابة صيفٍ عن قليلٍ تَقشّع .

وكان يقال : أربع من كنوز الجنة : كتمان المصيبة ، وكتمان الصدقة ، وكتمان الفاقة ، وكتمان الوجع .

القناعة

للنبي صلى الله عليه وسلم — قال النبي صلى الله عليه وسلم : من أصبح وأمسى آمنا في سربه معافى في بدنه ، عنده قوت يومه ؛ كان كمن حِيزت له الدنيا بحذافيرها .

السِّرب : المسلك ؛ يقال : فلان واسع السرب : يعني المسلك والمذهب .

لقيس بن عاصم — وقال قيس بن عاصم : يابَنيّ ، عليكم بحفظ المال ، فإنه مَنْبَهة الكريم ، ويُستغْنَى به عن اللئيم ؛ وإياكم والمسألة فإنها آخر كسب الرجل .

لسعد بن أبي وقاص — وقال سعد بن أبي وقاص لابنه : يابُنيّ ، إذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة ، فإنها

(١) في بعض الأصول : « صديقا » .

مال لا ينفد ؛ وإياك والطمع فإنه فقرٌ حاضر ؛ وعليك باليأس ، فإنك لم تيأس من شيء قط إلا أغناك الله عنه .

لبعضهم

وقالوا : الغَنِيّ من استغنى بالله ، والفقيرُ من افتقر إلى الناس .

وقالوا : لا غنى إلا غنى النفس .

لابن أبى حازم

٥ وقيل لأبى حازم : ما مالكَ ؟ قال : مالانِ : الغنى بما فى يدى عن الناس ، واليأسُ عما فى أيدى الناس !

وقيل لآخر : ما مالك ؟ فقال : التجمل فى الظاهر ، والقصد فى الباطن .

لبعض الشعراء

وقال آخر :

لا بُدّ مِمّا ليس منه بُدُّ ٭ اليأسُ حُرٌّ والرجاء عبْدُ

١٠ وليس يُغْنِي الكدَّ إلّا الجدُّ

وقالوا : ثمرة القناعة الراحة ، وثمرة الحرص التعب .

للبحترى

وقال البحترى :

إذا ما كانَ عندى قوتُ يوْمٍ ٭ طرحْتُ الهمَّ عنِّى ياسعيدُ

ولم تخطُرْ هُمومُ غدٍ ببالى ٭ لأنَّ غداً لهُ رزقٌ جديدُ

لعروة بن أذينة

١٥ وقال عروة بن أُذَينة :

لقد علِمْتُ وخيْرُ القوْلِ أصدقهُ ٭ بأنّ رِزقى وإن لم يأت يأتيني

أسعَى له فيُعَنِّيني تطَلُّبُهُ [(١)] ٭ ولو قعَدْتُ أتانِى لا يُعَنِّينى

عبدالملك وعروة بن أذينة

وفد عروة بن أذينة على عبد الملك بن مروان فى رجال من أهل المدينة ، فقال له عبد الملك : ألست القائل يا عروة :

٢٠ ٭ أسعَى لهُ فيُعَنّينى تطلبُهُ [(١)] ٭

فما أراك إلا قد سعيت له . فخرج عنه عروة وشخص من فوره ذلك إلى المدينة . فافتقده عبد الملك، فقيل له : توجّهَ إلى المدينة . فبعث إليه بألف دينار؛

(١) فى بعض الأصول : « أسعى إليه فيعيينى تطلبه » .

فلما أتاه الرسول قال : قل لأمير المؤمنين : الأمر على ما قلتُ ؛ قد سعيتُ له فعنّانى تطلُّبُهُ ، وقعدتُ عنه فأتانى لا يُعنّينى .

النبى صلى الله عليه وسلم — قال النبى صلى الله عليه وسلم : إن روحَ القدُس نفث فى روعِى أنّ نفساً لن تموت حتى تَستَوفِىَ رزقَها . فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب .

٥ وقال تعالى فيما حكى عن لقمان الحكيم : ﴿ يا بُنَىّ إنّها إنْ تَكُ مثقالَ حبّةٍ مِنْ خَرْدَل فتكن فى صخْرَة أو فى السّمٰوات أو فى الأرض يأتِ بها اللهُ ، إنّ الله لطيفٌ خبيرٌ ﴾ .

الحسن — وقال الحسن : ابن آدم ، لستَ بسابِقٍ أجلَك ، ولا ببالغٍ أمَلك ، ولا مغلوبٍ على رزق ، ولا بمرزوق ما ليس لك ؛ فعلامَ تقتل نفسك ؟ .

١٠ لابن عبد ربه — قال ابنُ عبد ربّه : قد أخذت هذا المعنى فنظمتُه فى شعرى فقلت :

لستُ بقاضٍ أمَلِى ٭ ولا بعادٍ أجَلِى
ولا بمغلوبٍ على الرّ ٭ زقِ الذى قُدّرَ لى
ولا بمُعطَى رزقَ غيْ ٭ رِى بالشّقا والعمَلِ
فليتَ شِعْرى ماالّذِى ٭ أدخلنى فى شُغُلِى !

١٥ لبعض الشعراء — وقال آخر :

سيكُونُ الذى قُضِى ٭ غضِبَ المرءُ أم رضِى

للوراق — وقال محمود الوراق :

أما عجبٌ أن يكْفل النّاسَ بعضُهُمْ ٭ ببعضٍ فيَرْضى بالكفيلِ المطالِبُ
وقد كفلَ اللهُ المَلِىّ بنفسِه ٭ فلم يرْض والإنسانُ فيه عجائبُ
٢٠ عليمٌ بأن الله مُوفٍ بوعدِهِ ٭ وفى قلبِه شكٌّ على القلبِ دائبُ
أبَى الجهلُ إلّا أن يصيرَ بعِلْبِهِ ٭ فلم يُغْنِ عنه علْمُهُ والتّجاربُ

وله أيضاً :

أتطلُبُ رزقَ اللهِ من عندِ غيْرِه ٭ وتصبِحُ من خوْفِ العواقِبِ آمِنا

وترضَى بصرّافٍ وإن كان مُشْرِكا * ضميناً ، ولا ترضَى بربّك ضامِنــا !

وقال أيضاً :

غِنَى النفسِ يُغنيهــا إذا كنتَ قانِـعاً * وليس بمُغْنيك الكثيرُ من الحِرْصِ

وإنّ اعتِقادَ الهمّ لِلخَيْرِ جامِعًا * وقِلّة همّ المرء يدعو إلى النَّقْصِ

٥ وله أيضاً :

مَن كان ذا مالٍ كثيرٍ ولم * يقنَعْ ، فذاكَ الموسِرُ المعْسِرُ

وكلُّ مَنْ كان قنوعاً وإنْ * كان مُقِــلا ، فهو المُكْثِرُ

الفقرُ فى النفسِ وفيها الغِنَى * وفى غِنَى النفسِ الغِنَى الأكبرُ

وقال بكر بن حماد : لبكر بن حماد

١٠ تباركَ مَنْ ساسَ الأمورَ بِعِلْمِهِ * وذلّ له أهلُ السّمٰواتِ والأَرْضِ

ومَن قسّمَ الأرزاقَ بين عبــادِه * وفضّل بعضَ الناسِ فيها على بعضِ

فمن ظنّ أنّ الحِرصَ فيهــا يزيدُهُ * فقولُوا له يَزْداد فى الطُّول والعرْضِ!

وقال ابن أبى حازم : لابن أبى حازم

ومُنتظِرٍ للموْتِ فى كلّ ساعةٍ * يشيدُ ويبْنِي دائبــاً ويُحصِّنُ

١٥ له حينَ تبلُوهُ حقيقةُ مُوقِنٍ * وأفعالهُ أفعالُ مَن ليس يوقِنُ

عِيانٌ كإنكارٍ ، وكالجهلِ عِلْمُهُ * يشُكُّ به فى كلّ ما يُتَيقّنُ

وقال أيضاً :

اضْرعْ إلى اللهِ لا تضْرعْ إلى الناسِ * واقْنَعْ بيأسٍ فإنّ العِزّ فى الياسِ

واستغْنِ عن كلّ ذى قُرْبَى وذى رحِمٍ * إنّ الغَنِىّ مَن استغْنَى عن النّاسِ

٢٠ وله أيضاً :

فلا تَحرِصنّ فإنّ الأُمورَ * بِكفّ الإلهِ مقاديرُها

فليس بآتيكَ مَنْهِيُّهــا * ولا قاصِرٍ عنكَ مأمورُها

وله أيضاً[1] :

كم إلى كم أنتَ للحِرْ ٭ صِ وللآمالِ عبْدُ ؟
ليس يُجدِي الحِرْصُ والسَّعْيُ إذا لم يَكُ جِدُّ
ما لِمَا قد قَدَّرَ الله مِنَ الأمرِ مَرَدُّ
قد جرى بالشرِّ نحْسٌ ٭ وجرى بالخيرِ سعْدُ ٥
وجرى الناسُ على جَرْ ٭ يِهما قبلُ وبعدُ
أَمِنوا الدَّهرَ وما للدهرِ والأيامِ عهدُ
غالهُمْ فاصطَلمَ الجَمْ ٭ عَ وأفنَى ما أعدُّوا
إنها الدُّنيا ـ فلا تحفَلْ بها ـ جزْرٌ ومدُّ

الأضبط بن قريع — وقال الأضبط بن قريع : ١٠

ارضَ منَ الدهرِ ما أتاكَ بهِ ٭ مَنْ يَرْضَ يوماً بعيْشِهِ نفَعهْ
قد يجمعُ المالَ غيرُ آكِلِه ٭ ويأكُلُ المالَ غيرُ مَن جَمَعهْ

لمسلم بن الوليد — وقال مسلم بن الوليد :

لن يُبْطِئَ الأمرُ ما أمَّلتَ أوبَتَهُ ٭ إذا أعانكَ فيه رِفقُ مُتَّئِدِ
والدهرُ آخِذُ ما أعطى، مُكدِّرُ ما ٭ أصفى ، ومُفْسِدُ ما أهوَى له بيَدِ ١٥
فلا يغرَّنْكَ من دهرٍ عطِيَّتُهُ ٭ فليْسَ يتْرُكُ ما أعطَى على أحَدِ

لكلثوم العتابي — وقال كلثوم العتابي :

تلومُ على تَرْكِ الغِنى باهِليَّةٌ ٭ لَوَى الدهرُ عنها كل طِرْفٍ وتالدِ
رأتْ حولها النّسوانَ يَرْفُلنَ في الكُسا ٭ مُقلَّدةً أجيادُها بالقلائِدِ
يسُرُّكِ أنِّي نِلْتُ ما نال جعفَرٌ ٭ وما نالَ يَحيى ـ في الحياةِ ـ بنُ خالدِ ٢٠
وأنَّ أميرَ المُؤمنين أعضَّني ٭ معَضَّهُما بالمُرْهفاتِ الحدائدِ
ذرِيني تجِئْني مُنْيَتِي مُطْمَئِنَّةً ٭ ولم أتجشَّمْ هوْلَ تِلكَ الموارِدِ

(١) في بعض الأصول . « وقال محمود الوراق » .

فإن الذى يسمو إلى الرتب العلى * سيُرمى بألوان الفرى والمكايد
وجدتُ لذاذاتِ الحياة مَشوبةً * بمُستودَعاتٍ فى بُطون الأساود

وقال[1] :

حتى متى أنا فى حلّ وترحالِ * وطُولِ شُغل بإدبار وإقبالِ
٥ ونازِح الدار ما أنفكّ مُغترباً * عن الأحِبّة ما يدرون ما حالى
بمشرقِ الأرض طوْرا ثم مغربها * لا يَخطر الموتُ من حرص على بالى
ولو قنِعتُ أتانى الرزق فى دَعَةٍ * إن القُنوع الغنَى ، لا كثرةُ المال

لابن عباس — وقال عبد الله بن عباس : القناعة مال لا نفاد له .

لعلى — وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه ، الرزق رزقان : فرزق تطلبه ، ورزق
١٠ يطلبك فإن لم تأته أتاك .

لحبيب — وقال حبيب :

فالرِّزق لا تَكمَدْ عليه فإنه * يأْتى ولم تَبعث إليه رسولا

من كتاب الهند — وفى كتاب للهند : لا ينبغى للملتمس أن يلتمس من العيش إلا الكفاف الذى به يدفع الحاجة عن نفسه ، وما سوى ذلك إنما هو زيادة فى تعبه وغمه .

١٥ للحكماء — ومن هذا قالت الحكماء : أقل الدنيا يكفى وأكثرها لا يكفى !

لأبى ذؤيب — وقال أبو ذؤيب :

والنفسُ راغبةٌ إذا رغّبتَها * وإذا تُردُّ إلى قليلٍ تَقنعُ

للمسيح عليه السلام — وقال المسيح عليه السلام : عجبا منكم ! إنكم تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بلا عمل ، ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلا بالعمل .

٢٠ للحسن — وقال الحسن : عيَّرت اليهود عيسى عليه السلام بالفقر ؛ فقال : من الغنى أُتيتم .

للوراق — أخذ هذا المعنى محمود الوراق فقال :

يا عائبَ الفقر ألا تَزدجرْ * عيبُ الغنَى أكثرُ لو تَعتبرْ

(١) فى بعض الأصول : « وقال غيره » .

من شرَف الفقر ومن فضله * على الغنَى إن صحّ منك النظرْ :
... أنّك تعصى كى تَنال الغنَى * ولستَ تَعصى اللهَ كى تَفتقر

لإبراهيم — سفيان عن مُغيرة عن إبراهيم قال : كانوا يكرهون الطلب فى أطارف الأرض .

الأعمش والبنانى — وقال الأعمش : أعطانى البُنانىّ مضاربه[1] أخرج بها إلى ماء ، فسألت إبراهيم ، فقال لى : ما كانوا يطلبون الدنيا هذا الطلب وبين ماء وبين الكوفة عشرة أيام . ٥

ليونس بن حبيب — الأصمعى عن يونس بن حبيب قال : ليس دون الإيمان غنى ولا بعده فقر .

لخالد بن صفوان — قيل لخالد بن صفوان : ما أصبرك على هذا الثوب الخلق ! قال : رُبّ مملول لا يُستطاع فراقه .

بين حكيمين — وكتب حكيم إلى حكيم يشكو إليه دهره : إنه ليس من أحد أنصفه زمانُه فتصرّفت به الحال حسب استحقاقه ، وإنك لا ترى الناس إلا أحد رجلين : إما مُقدَّم أخّره حظُّه ، أو متأخر قدّمه جَدُّه ؛ فارضَ بالحال التى أنت عليها . وإن كانت دون أملك واستحقاقك اختيارا ، وإلا رضيت بها اضطرارا . ١٠

للأحنف — وقيل للأحنف بن قيس : ما أصبرك على هذا الثوب ؟ فقال : أحق ما صُبرَ عليه ما ليس إلى مفارقته سبيل . ١٥

بين الأصمعى وأعرابية — قال الأصمعى : رأيت أعرابيةً ذات جمال تسأل بمِنَى ؛ فقلت لها : يا أمة الله ، تسألين ولك هذا الجمال ؟ قالت : قدر الله فما أصنع ؟ قلت : فمن أين معاشكم ؟ قالت : هذا الحاج ، نسقيهم ونغسل ثيابهم . قلت : فإذا ذهب الحاجُ فمن أين ؟ فنظرتْ إلىّ وقالت : يا صَلْتَ الجبين ، لو كنا نعيش من حيث نعلم ما عشنا !

لرجل من أهل المدينة — وقيل لرجل من أهل المدينة : ما أصبرك على الخبز والتمر ! قال : ليتهما صَبَرا علىّ . ٢٠

(١) المضارب : جمع مضرب ، وهو الفسطاط الكبير .

الرضا بقضاء الله

للحكماء

قالت الحكماء : أصل الزهد الرضا عن الله .

لابن عياض

وقال الفضيل بن عياض : استخيروا الله ولا تتخيروا عليه ؛ فربما اختار العبد أمراً هلاكُه فيه .

٥ وقالت الحكماء : رب محسود على رخاء هو شقاؤه ، ومرحوم من سقم هو شفاؤه ، ومغبوط بنعمة هى بلاؤه .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

قد يُنعِم الله بالبلوَى وإن عظُمتْ * ويَبتلى اللهُ بعضَ القومِ بالنِّعمِ

وقالوا : من طلب فوق الكفاية ، رجع من الدهر إلى أبعد غاية .

١٠ من قتر على نفسه

وترك المال لوارثه

لمالك

زياد عن مالك قال : من لم يكن فيه خير لنفسه لم يكن فيه خير لغيره ؛ لأن نفسه أولى الأنفس كلها ؛ فإذا ضيَّعها فهو لما سواها أضيع ؛ ومن أحب نفسه حاطها وأبقى عليها وتجنب كل ما يعيبها أو ينقصها ؛ فجنبها السرقة مخافة القطع ، والزنا ١٥ مخافة الحدّ ، والقتل خوف القصاص .

الرشيد وبطريق هرقلة

داود بن على الكاتب قال : لما افتتح هارون الرشيد هِرَقلة وأباحها ثلاثة أيام ، وكان بطريقها الخارج عليه «فسيل» الرومى ؛ فنظر إليه الرشيد مقبلا على جدار فيه كتاب باليونانية وهو يطيل النظر فيه . فدعا به وقال له : لِمَ تركت النظر إلى الانتهاب والغنيمة وأقبلت على هذا الجدار تنظر فيه ؟ فقال : ٢٠ يا أمير المؤمنين ، قرأت فى هذا الجدار كتاباً هو أحب إلىّ من هرقلة وما فيها . قال له الرشيد : ما هو ؟ قال « بسم الله الملك الحق المبين . ابنَ آدم ، غافِص الفرصةَ عند إمكانها ، وكِل الأمور إلى وليها . ولا تحمل على قلبك همَّ يوم ولم يأت بعدُ ؛

إن يكن من أجلكَ يأتك الله برزقك فيه ؛ ولا تجعل سعيك فى طلب المال أسوة المغرورين ، فربّ جامع لبَعْل حليلته ، واعلم أن تقتير المرء على نفسه هو توفير منه على غيره ، فالسعيد من اتعظ بهذه الكلمات ولم يضيعها ، قال له الرشيد : أعِدها علىّ يا فسيل . فأعادها عليه حتى حفظها .

وقال الحسن : ابنَ آدم ، أنت أسير فى الدنيا ، رضيت من لذتها بما ينقضى ، ومن نعيمها بما يمضى ، ومن ملكها بما ينفد ، فلا تجمع الأوزارَ لنفسك ، ولأهلك الأموالَ ، فإذا متّ حملت الأوزار إلى قبرك وتركت أموالك لأهلك .

لأبى العتاهية

أخذ أبو العتاهية هذا المعنى فقال :

أبقيْتَ مالكَ ميراثاً لوارثِه ... فليتَ شِعرىَ ما أبقى لك المالُ ؟
القومُ بعدَك فى حالٍ تَسوءهم ... فكيف بعدَهم دارتْ بك الحالُ ؟
مَلوا البكاءَ فما يَبكيك من أحدٍ ... وآستحكمَ القيلُ فى الميراث والقالُ !

من الحديث

وفى الحديث المرفوع : أشدُّ الناس حسرة يوم القيامة رجلٌ كَسَبَ مالا من غير حلّه فدخل به النار ، وورثه مَن عمِل فيه بطاعة الله فدخل به الجنة .

لابن عمر فى وفاة ابن حارثة

وقيل لعبد الله بن عمر : توفى زيد بن حارثة وترك مائة ألف . قال : لكنها لا تتركه .

الحسن وابن الأهتم فى مرضه

ودخل الحسن علَى عبد الله بن الأهتم يعوده فى مرضه ، فرآه يُصعِّدُ بصره فى صندوق فى بيته ويصوّبه ، ثم التفت إلى الحسن فقال : أبا سعيد ، ما تقول فى مائة ألف فى هذا الصندوق لم أؤدّ منها زكاة ولم أصِل منها رَحِما ؟ فقال له : ثكِلتْك أُمك ! ولمن كنتَ تجمعُها ؟ قال : لروْعة الزمان ، وجفوة السلطان ، ومُكاثرة العشيرة . ثم مات ، فشهد الحسن جنازته ، فلما فرغ من دفنه ضرب بيده على القبر ثم قال :

انظروا إلى هذا ، أتاه شيطانه فحذره روعة زمانه ، وجفوة سلطانه ، ومكاثرة عشيرته ، عما استودعه الله إياه ، وغمره فيه ، انظروا إليه يَخرج منها مذموما مدحورا .

ثم قال : أيها الوارث ، لا تُخدعنّ كما خُدِعَ صُوَيْحِبُك بالأمس : أتاك هذا المالُ حلالا فلا يكونَنَّ عليك وبالا ، أتاك عفواً صفوا ، ممن كان له جَموعا مَنوعا ؛ من باطل جمعه ، ومن حق منعه ؛ قطع فيه لججَ البحار ، ومفاوز القِفار ؛ لم تكدح فيه يمين ، ولم يعرق لك فيه جَبين ؛ إن يوم القيامة يومُ حسرة وندامة ، وإن مِنْ أعظم الحسرات غداً أن ترى مالك فى ميزان غيرك ؛ فيالها حسرةً لا تقال ، وتوبةً لا تُنال .

هشام بن عبد الملك حين حضرته الوفاة

لما حضرت هشام بن عبد الملك الوفاة ، نظر إلى أهله يبكون عليه ، فقال : جاد لكم هشام بالدنيا وجُدتم له بالبكاء ، وترك لكم ما جمع ، وتركتم عليه ما حَمل ؛ ما أعظم منقلَب هشام إن لم يغفر الله له .

نقصان الخير وزيادة الشر

لمعاذ بن جبل

عاصم بن حميد عن معاذ بن جبل قال : إنكم لن تروا من الدنيا إلا بلاء وفتنةً ، ولا يزيد الأمر إلا شدة ، ولا الأئمة إلا غِلظا ، وما يأتيكم أمرٌ يهولكم إلا حقّره ما بعده .

لبعض الشعراء

قال الشاعر :

الخير والشر مُزْدادٌ ومُنتقَصٌ ✽ فالخيرُ مُنتقَصٌ والشر مُزدادُ
وما أُسائلُ عن قومٍ عرَفْتُهُمُ ✽ ذوِى فضائلَ إلا قيلَ قد بادوا

العزلة عن الناس

للنبى صلى الله عليه وسلم

قال النبي صلى الله عليه وسلم : آستأنِسوا بالوحدة عن جُلساء السوء .

وقال : إن الإسلامَ بدأ غريباً ولا تقومُ الساعة حتى يعودَ غريباً كما بدأ .

للعتابى

وقال العتابى : مارأيتُ الراحة إلا مع الخلوة ، ولا الأنس إلا مع الوحشة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : خيركم الأتقياء الأصفياء الذين إذا حضروا لم يُعرفوا وإذا غابوا لم يُفتَقدوا .

وقال : لا تدَعوا حظكم من العزلة ؛ فإن العزلة لكم عبادة .

لقمان يعظ ابنه — وقال لقمان لابنه : آستعذ بالله من شرار الناس ، وكن من خيارهم على حذر .

لابن أدهم — وقال إبراهيم بن أدهم : فِرَّ من الناس فرارَك من الأسد .

وقيل لإبراهيم بن أدهم : لِمَ تجتنب الناس ؟ فأنشأ يقول :

ٱرْضَ بالله صاحبًا ٭ وذَرِ النـاسَ جانِبا

قَلِّب الناس كيف شئـــتَ تجـــدهم عقاربا

لابن الزيات — وكان محمد بن عبد الملك الزيات يأنس بأهل البلادة ويستوحش من أهل الذكاء ؛ فسئل عن ذلك فقال : مؤنة التحفظ شديدة !

لابن محيريز — وقال ابن مُحيريز : إن استطعتَ أن تَعرف ولا تُعرَف ، وتَسأل ولا تُسأل ، وتمشى ولا يُمشى إليك ، فافعل .

للسختيانى — وقال أيوب السختيانى : ما أحب اللهُ عبداً إلا أحب أن لا يُشعَر به .

وقيل للعتابى : من تجالس اليوم ؟ قال : من أبصُق فى وجهه ولا يغضب ! قيل له : ومن هو ؟ قال : الحائط .

لدعبل — وقيل لدعبل الشاعر : ما الوحشة عندك ؟ قال : النظر إلى الناس ! ثم أنشأ يقول :

ما أكثرَ الناسَ لابل ما أقلَّهُمُ ٭ اللهُ يعلمُ أنى لم أقُلْ فَنَدا

إنى لأفتحُ عينِى حين أفتحُها ٭ على كثيرٍ ولكنْ لا أرى أحدا

لابن أبى حازم — وقال ابن أبى حازم :

طِبْ عن الإمْرةِ نفسًا ٭ وٱرضَ بالوَحشةِ أُنْسا

ما عليهـا أحـدٌ يَسْوَى ٭ على الخِـبْرةِ فَلْسا

لبعض الشعراء — وقال آخر :

قد بَلَوْتُ النـاسَ طُرًّا ٭ لم أجِدْ فى الناسِ حُرّا

صارَ أحلَى الناس فى العَـــيْنِ إذا ما ذِيقَ مُرّا

إعجاب الرجل بعلمه

لابن الخطاب قال عمر بن الخطاب : ثلاث مهلكات ، شُحٌّ مُطاع ، وهوًى متَّبع ، وإعجاب المرء بنفسه .

فى الحديث وفى الحديث : خير من العُجب بالطاعة ، أن لا تأتى طاعة .

٥ وقالوا : ضاحِك معترفٌ بذنبه ، خيرٌ من باكٍ مُدِلٍّ على ربه .

وقالوا : سيِّئة تسيئك ، خير من حسنة تعجبك .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّى مَنْ يشاء ﴾ .

للحسن وقال الحسن : ذمّ الرجل لنفسه فى العلانية مدح لها فى السريرة .

١٠ لبعضهم وقالوا : من أظهر عيب نفسه فقد زكاها .

وقيل : أوحى الله إلى عبده داود : ياداود ، خالِق النَّاس بأخلاقهم واحتجز الإيمان بينى وبينك .

للبنانى وقال ثابت البُنانى : دخلت على داود ، فقال لى : ما جاء بك ؟ قلت : أزورك . قال : ومَن أنا حتى تزورَنى ؟ أمِنَ العُبّاد أنا ؟ لا والله ! أم مِن الزهاد ؟ لا والله !

١٥ ثم أقبل على نفسه يوبِّخها . فقال : كنت فى الشبيبة فاسقا ، ثم شِبْتُ فصرت مرائيا ؛ والله إن المُرائى شر من الفاسق .

بين عابدين لقِى عابد عابدا ، فقال أحدهما لصاحبه : والله إنى أحبك فى الله . قال : والله لو اطلعت على سريرتى لأبغضتنى فى الله .

معاوية وبعض الرجال وقال معاوية بن أبى سفيان لرجل : مَن سيد قومك ؟ قال : أنا ! قال : لوكنت

٢٠ كذلك لم تقله .

للوراق وقال محمود الوراق :

تَعصِى الإلهَ وأنت تُظهِرُ حُبَّه * هذا مُحالٌ فى القياس بديعُ

لوكنت تُضمِر حُبَّه لأطعتَه * إن المُحبَّ لمن أحبَّ مُطيعُ

فى كل يوم يبتليك بنعمة ٭ منه وأنت بشكر ذاك مُضيِّعُ

تواضع ابن سيرين

وقال أبو الأشعث : دخلنا على ابن سيرين فوجدناه يصلى ، فظن أنّا عجبنا بصلاته ، فلما انفتل منها التفت لنا فقال : الرياء أخاف .

للنبى صلى الله عليه وسلم

زياد عن مالك قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : إياكم والشِّرْك الأصغر . قالوا : وما الشِّرْك الأصغر يارسول الله ؟ قال : الرياء . ٥

وقال عبد الله بن مسعود : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : لا رياء ولا سمعة ، مَنْ سَمَّع سَمَّع الله به .

وقال صلى الله عليه وسلم : ما أسرَّ امرُؤ سريرةً إلّا ألبسه الله رداءها : إنْ خيراً فخير ، وإن شرًّا فشرّ .

لقمان يعظ ابنه

وقال لقمان الحكيم لابنه : احذر واحدة هى أهل للحذر . قال : وما هى ؟ ١٠ قال : إياك أن تُرى الناس أنك تخشى الله وقلبك فاجر .

وفى الحديث . من أصلح سريرتَه أصلح الله علانيتَه .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

وإذا أظهرْتَ شيئاً حسناً ٭ فليكنْ أحسنَ منه ما تسِرّ

فمُسِر الخيْرِ موْسومٌ به ٭ ومُسِرُّ الشَّرّ موْسوم بشَرّ ١٥

للأشعث فى تخفيف الصلاة

صلى أشعث فخفف الصلاة ، فقيل له : ما أخف صلاتك ! قال : إنه لم يخالطها رياء .

وصلى رجل من المُرائين ، فقيل له : ما أحسن صلاتك ! فقال : ومع ذلك إنى صائم !

بين طاهر والمروزى

وقال طاهر بن الحسين لأبى عبد الله المروزى : كم لك منذ نزلت بالعراق ؟ ٢٠ قال : منذ عشرين سنة ، وأنا أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة . قال : أبا عبد الله ، سألناك عن مسألة فأجبتنا عن مسألتين .

ابن الخطاب

الأصمعى قال : أخبرنى إبراهيم بن القعقاع بن حكيم قال : أمر عمر بن الخطاب

لرجل بكيس ، فقال الرجل : آخذ الخيط ؟ قال عمر : ضع الكيس !

بين الحسن وبعضهم

قال رجل للحسن وكتب عنده كتابا : أتجعلنى فى حِلٍّ من تراب حائطك ؟ قال : يابن أخى ، بلى ، ورَعُك لا يُنكر .

الوراق

وقال محمود الوراق :

٥ أظهروا للناس دِيناً * وعلى الدِّينارِ داروا

وله صاموا وصَلَّوا * وله حَجُّوا وزاروا

لو بدَا فوْق الثُّريَّا * ولهم ريشٌ لطاروا !

لمساور

وقال مساور الوراق :

شَمِّرْ ثيابَك واستعدَّ لقائلٍ * واحْكُكْ جبينَك للقضاء بثُومِ

١٠ وعليك بالغنوى[1] فاجلِس عنده * حتى تُصيبَ وديعةً ليتيمِ

وإذا دخلت على الرَّبيع مُسَلِّماً * فاخصُصْ سبابةَ منك بالتَّسليم

وقال :

تصوَّف كى يقال له أمينٌ * وما معنى التَّصوُّف والأمانهْ

ولم يُرِدِ الإله به ولكن * أراد به الطريق إلى الخِيانهْ

للغزال

١٥ وقال الغزال :

يقول لِىَ القاضى مُعاذٌ مُشاوراً * ووَلَّى امرأً فيما يَرى من ذوى العدْل

قعيدكَ ماذا تحسبُ المرء فاعلاً * فقلتُ وماذا يفعل الدَّبْر فى النحلِ

يدُقُّ خلاياها ويأكلُ شُهْدَها * ويَتركُ للذِّبَّان ماكان من فضلِ

المازنى

وقال أبو عثمان المازنى لبعض من رأى فهتك الله عز وجل ستره :

٢٠ بينَا أنا فى توبتى مُستعبراً * قد شبَّهونى بأبى دُواد

وقد حملتُ العلمَ مُستظهرا * وحـــدَّثوا عنى بإســـناد

(١) فى بعض الأصول « بالعلوى »

إذ خطر الشيطانُ لى خَطْرةً ، نُكِسْتُ منها فى أبى جاد[1]

أبو العتاهية ومتصوف

وقال ابن أبى العتاهية : أرسلنى أبى إلى صوفىّ قد قَيَّرَ إحدى عينيه أسأله عن المعنى فى ذلك ؛ فقال : النظر إلى الدنيا بكلتا عينىَّ إسراف . قال : ثم بدا له فى ذلك ، فاتصل الخبر بأبى فكتب إليه :

مُقَيِّرَ عينِه ورَعا ، أردتَ بذلك البِدعا
خَلَعْتَ وأخبثُ الثقليـن صوفىٌّ إذا خَلَعا

فخ الإسرائيلى والعصفورة

يحيى بن عبد العزيز قال : حدثنى نعيم عن إسماعيل ، رجل من ولد أبى بكر الصديق ، عن وهب بن منبه ، قال : نصب رجل من بنى إسرائيل فخّا فجاءت عصفورة فوقعت عليه ، فقالت : مالى أراك منحنيا ؟ قال : لكثرة صلاتى انحنيت قالت : فمالى أراك باديةً عظامُك ؟ قال : لكثرة صيامى بدت عظامى ! قالت : فمالى أرى هذا الصوف عليك ؟ قال : لزهادتى فى الدنيا لبست الصوف ! قالت : فما هذه العصا عندك ؟ قال : أتوكأ عليها وأقضى بها حوائجى . قالت : فما هذه الحبة فى يديك ؟ قال : قربان إن مرَّ بى مسكين ناولته إياه ! قالت : فإنى مسكينة ! قال : فخذيها . فقبضت على الحبة فإذا الفخ فى عنقها ؛ فجعلت تقول : قعِى قعِى ! قال : الخُشنى[2] : تفسيره : لا غرنى ناسك مُرَاءٍ بعدك أبداً .

الدعاء

النبى صلى الله عليه وسلم

قال النبى صلى الله عليه وسلم : الدعاءُ سلاحُ المؤمن .

وقال : الدعاء يَرُدُّ القدر والبِرُّ يزيد فى العُمُر .

وقال : الدعاء بين الأذان والإقامة لا يُرَدُّ .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : استقبلوا البلاءَ بالدعاء .

(١) يعنى : عاد مختلط الأمر مضطربا . أو لعله يعنى أنه عاد بعد الاشتهار بالعلم إلى مثل حال الصبى الذى لم يزل يتعلم أول دروسه .

(٢) فى بعض الأصول : « الحسن » .

وقال الله تعالى : ﴿ آدعونى أَستجبْ لكم ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ فلَوْلا إذ جاءَهُم بَأْسُنا تضَرَّعوا ولـكن قَسَتْ قلوبهُمْ ﴾ .

لابن عباس

وقال عبد الله بن عباس : إذا دعوتَ الله فاجعل فى دعائك الصلاةَ على النبى صلى الله عليه وسلم ؛ فإن الصلاةَ عليه مقبولة ، واللهُ أكرم من أن يقبل ٥ بعض دعائك ويردّ بعضا .

لابن المسيب

وقال سعيد بن المسيب : كنت جالساً بين القبر والمنبر ، فسمعتُ قائلا يقول: اللهم إنى أسألك عملًا بارًّا ، ورزقا دارًا ، وعيشا قارًّا . فالتفتُّ فلم أر أحدا .

لعائشة والنبى صلى الله عليه وسلم

هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كنت نائمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة النصف من شعبان ، فلما لصق جلدى بجلده أغفيت ؛ ثم انتبهت ، ١٠ فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس عندى ؛ فأدركنى ما يدرك النساء من الغيرة ، فلففت مرطى ـ أما والله ما كان خزًّا ولا قزًّا ، ولا ديباجا ، ولا قطنا ولا كتانا ، قيل : فما كان يا أمَّ المؤمنين ؟ قالت : كان سداه من شعر ، ولحمته من أوبار الإبل ـ قالت : فخنوت عليه أطلبه حتى ألفيته كالثوب الساقط على وجهه فى الأرض وهو ساجد يقول فى سجوده :

١٥ « سجد لك خيالى وسَوادى ، وآمن بك فُؤادى ؛ هذه يدى وما جنيت بها على نفس . تُرْجَى لكلِّ عظيمٍ ، فاغفرلى الذنب العظيمَ » فقلت : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، إنك لفى شأن وإنى لفى شأن . فرفع رأسه ثم عاد ساجدا فقال : أعوذُ بوجهك الذى أضاءتْ له السمواتُ السبعُ والأرضون السبع ، من فَجْأة نِقمتك ، وتحوُّلِ عافيتك ؛ ومن شر كتاب قد سبق ؛ وأعوذ برضاك من ٢٠ سخطك ، وبعفوك من عقوبتك ، وبك منك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك .

فلما انصرف من صلاته تقدمت أمامه حتى دخلتُ البيت ولى نَفَسٌ عال ، فقال : مالك يا عائشة ؟ فأخبرته الخبر ، فقال : ويح هاتين الركبتين ما لقيتا فى هذه الليلة ! ومسح عليهما ؛ ثم قال : أتدرين أى ليلة هذه يا عائشة ؟ فقلت : الله ورسوله

أعلمُ . فقال صلى الله عليه وسلم : هذه الليلة ليلةُ النّصفِ من شعبان ، فيها توقت الآجال وتثبت الأعمال .

ابن ذر ودعاء له

العتبي عن أبيه قال : خرجت مع عمر بن ذَرّ إلى مكة ، فكان إذا لبّي لم يُلبِّ أحدٌ من حُسْن صوته ؛ فلما جاء الحرَمَ قال يا رب ، ما زلنا نَهبِط وهْدة ونصعد أكمة ، ونعلو نشرا ، ويبدو لنا علَمٌ ، حتى جئناك بها نقبةً أخفافها ، دبِرة ظهورُها ، ذابلةً أسنمتُها ؛ وليس أعظم المؤنة علينا إتعاب أبداننا ، ولكن أعظم المؤنة علينا أن تُرجعنا خائبين من رحمتك ، يا خيرَ من نزل به النازلون .

لبعضهم في الدعاء

وكان آخرُ يدعو بعرفات : ياربِّ ، لم أعصك إذ عصيتك جهلا مني بحقك ، ولا استخفافا بعقوبتك ؛ ولكن الثقة بعفوك ، والاغترار بسترك المُرْخَى عليّ ، مع الشِّقوة الغالبة والقَدَرِ السابق ؛ فالآن من عذابك مَن يستنقذني ؟ وبحبل من أعتصم إن قطعتَ حبلك عني ؟ فيا أسفي على الوقوف بين يديك ، إذا قيل للمُخِفِّين جوزوا ، وللمذنبين حطوا .

لعروة بن الزبير في مناجاته

أبو الحسن قال : كان عُروة بن الزبير يقول في مناجاته بعد أن قطعت رجلُه ومات ابنه : كانوا أربعةً ـ يعني بنيه ـ فأخذتَ واحداً وأبقيْتَ ثلاثةً ؛ وكنّ أربعاً ـ يعني يديه ورجليه ـ فأخذتَ واحدةً وأبقيت ثلاثا ؛ فلئن ابتليتَ لطالما عافيْت ، ولئن عاقبْت لطالما أنعمتَ .

دعاء داود

وكان داود إذا دعا في جوف الليل يقول : نامت العيون ، وغارت النجوم وأنت حيٌّ قيوم : اغفرلي ذنبي العظيم ، فإنه لا يغفر الذنب العظيمَ إلا العظيمُ ؛ إليك رفعتُ رأسي ، نظر العبدِ الذليل إلى سيده الجليل .

من دعاء يوسف

وكان من دعاء يوسف : يا عُدّتي عند كُربتي ، وياصاحبي في غُربتي ، ويا غِياثي عند شدتي ، ويا رجائي إذا انقطعت حيلتي ، اجعل لي فرجاً ومَخرجا .

دعاء ابن ثعلبة

وكان عبد الله بن ثعلبة البصري يقول : اللهم أنت من حلمك تُعصَى فكأنك لا ترى ، وأنت من جودك وفضلك تُعطى فكأنك لا تعْصَى ، وأيُّ زمان لم تعصِك فيه سكان أرضك فكنت عليهم بالعفو عوّادا ، وبالفضل جواداً .

من دعاء على ابن الحسين

وكان من دعاء علىّ بن الحسين رضى الله عنهما : اللهم إنى أعوذ بك أن تحسُن فى مرأى العيون علانيتى ، وتقبُحَ فى خفيّات القلوب سريرتى ؛ اللهم كما أسأتُ فأحسنتَ إلىّ . . . . . . فإذا عدتُ فعُدْ علىّ ، وارزقنى مواساةَ من قتّرتَ عليه ما وسّعتَ علىّ .

دعاء لبعضهم

٥ الشيبانى قال : أصاب الناس ببغداد ريحٌ مظلمة ، فانتهيتُ إلى رجل فى المسجد وهو ساجد يقول فى سجوده : اللهم احفظ محمداً فى أمته ، ولا تشمت بنا أعداءنا من الأمم ؛ فإن كنت أخذت العوام بذنبى ، فهذه ناصيتى بين يديك !

دعاء لابن عياض

وكان الفضيل بن عياض يقول : إلهى ، لو عذبتنى بالنار لم يخرُج حُبُّك من قلبى ، ولم أنس أياديك عندى فى دار الدنيا !

لابن مسعود

١٠ وقال عبد الله بن مسعود : اللهم وسع علىّ فى الدنيا وزهّدنى فيها ، ولا تُزوِها عنى وترغّبنى فيها .

أبو الدرداء ورجل فى سجوده

مرّ أبو الدرداء برجل يقول فى سجوده : اللهم إنى سائلٌ فقيرٌ فأغننِى من سعة فضلك ، خائفٌ مستجيرٌ فأجِرنى من عذابك .

من دعاء ابن أبى رباح

الأصمعى قال : كان عطاء بن أبى رباح يقول فى دعائه : اللهم ارحم ١٥ فى الدنيا غربتى ، وعند الموت صرْعتى ، وفى القبور وحدتى ، ومقامى غداً بين يديك .

ابن زياد وأبو بكر بن عبد الله

العتبى قال : حدّثنى عبد الرحمن بن زياد قال : اشتكى أبى فكتب إلى أبى بكر بن عبد الله يسأله أن يدعو له ، فكتب إليه : حقّ لمن عمل ذنباً لا عذر له فيه ، وخاف موتا لابد له منه ، أن يكون [وجِلاً] مُشفقا ؛ سأدعو لك ولستَ ٢٠ أرجو أن يُستجاب لى بقوة فى عمل ، ولا براءةٍ من ذنب .

من دعاء عبد الملك ابن مروان

العتبى قال : كان عبد الملك بن مروان يدعو على المنبر : يارب ؛ إن ذنوبى قد كثُرت وجلّت عن أن توصف ، وهى صغيرة فى جنب عفوك ، فاعف عنى

كيف يكون الدعاء

لابن عباس

سفيان بن عيينة عن أبي معبد عن عكرمة عن ابن عباس قال : الإخلاص هكذا — وبسط يده اليسرى وأشار بأصبعه من يده اليمنى — والدعاء هكذا — وأشار براحته إلى السماء — والابتهال هكذا ، ورفع يديه فوق رأسه وظهورهما إلى وجهه .

٥

بين جعفر بن محمد وسفيان الثوري

سفيان الثوري قال : دخلتُ على جعفر بن محمد رضي الله عنهما فقال لي : يا سفيان ، إذا كثرت همومُك فأكثر من « لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » وإذا تداركتْ عليك النعم فأكثر من « الحمد لله » ، وإذا أبطأ عنك الرزق فأكثر من الاستغفار .

لابن عباس

وقال عبد الله بن عباس : لا كبيرة مع استغفار ، ولا صغيرة مع إصرار .

١٠

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : عجبا ممن يهلِك والنجاةُ منه ! قيل له : وما هي ؟ قال : الاستغفار .

دعاء النبي صلى الله عليه وسلم

وأبي بكر ، الصديق وعمر رضوان الله عليهما

دعاء النبي صلى الله عليه وسلم

أم سلمة قالت : كان أكثر دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا مقلب القلوب ثبِّت قلبي على دينك .

١٥

المغيرة بن شعبة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم من الصلاة يقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

دعاء أبي بكر

وكان آخر دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته : اللهم اجعل خيرَ زماني آخرَه ، وخير عملي خواتِمهُ ، وخيرَ أيامي يوم لقائك .

٢٠

دعاء عمر

وكان آخر دعاء عمر رضي الله عنه في خطبته اللهم لاتدَعْني في غمرة ، ولا تأخُذْني في غرة ، ولا تجعلني مع الغافلين .

الدعاء عند الكرب

النبي صلى الله عليه وسلم

عبد الله بن مسعود قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من عبدٍ أصابه هم فقال: « اللهم إني عبدُك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيّ حكمُك، عدلٌ فيّ قضاؤُك: أسألك بكل اسم سميتَ به نفسك، أو ذكرته في كتابك، أو علّمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك: أن تجعل القرآن ضياء صدري، وربيعَ قلبي، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وبدله مكان حزنه فرحاً.

وقالوا: كلمات الفرج من كل كرب « لا إله إلا اللهُ الكريم الحليمُ، سُبحانَ اللهِ ربِّ العرش العظيمِ، والحمد لله رب العالمين.

الكلمات التى تلقى آدم من ربه

اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، عَمِلْتُ سوءًا وظلمت نفسي، فتُبْ على إنك أنت التوابُ الرحيم.

اسم الله الأعظم

عبد الله بن يزيد عن أبيه قال: سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقول: اللهم إني أسألك بأنك أنت اللهُ الأحدُ الصمدُ الذى لم يَلِدْ ولم يولد ولم يكن له كُفُواً أحدٌ. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لقد سألتَ اللهَ باسمه الأعظم الذى إذا دُعِيَ به أجاب وإذا سئل به أعطى.

أسماء بنت يزيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: اسمُ اللهِ الأعظم فيما بين الآيتين: ﴿ وإلهُكم إلهٌ واحدٌ لا إلهَ إلّا هو الرَّحمنُ الرَّحيمُ ﴾، وفاتحةِ آل عمران ﴿ الٓمٓ. الله لا إله إلّا هو الحَيُّ القَيُّومُ ﴾

الاستغفار

للنبي صلى الله عليه وسلم

شداد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : سيد الاستغفار أن تقول : اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت ، خلقتنى وأنا عبدُك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعتُ ، أعوذ بك من شرّ ماصنعت ، أبوء لك بنعمتك علىّ ، وأبوء بذنبى فاغفر لى ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . ٥

لابن مسعود

الأسود وعلقمة قالا : قال عبد الله بن مسعود : إن فى كتاب الله آيتين ما أصاب عبدٌ ذنباً فقرأهما ثم استغفر الله إلا غفر له : ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا اللهَ فاستغفروا لذنوبهم ومن يَغفرُ الذنوبَ إلا اللهُ ولم يُصرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾ ، ﴿ومن يَعمَلْ سوءا أو يَظلِمْ نفسه ثم يستغفرِ اللهَ يجدِ اللهَ غفوراً رحيما﴾ . ١٠

لأبى سعيد الخدرى

أبو سعيد الخدرى قال : من قال : أستغفرُ اللهَ الذى لا إله إلا هو الحىَّ القيومَ وأتوب إليه . خمس مرات ـ غُفِر له ولو فرّ من الزحف .

دعاء المسافر

للنبي صلى الله عليه وسلم

عكرمةُ عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفراً قال : اللهم أنت الصاحبُ فى السفر ، والخليفةُ فى الحضر ؛ اللهم إنى أعوذ بك من وَعْثاءِ السفر وكآبة المنقلب والحَوْرِ بعدالكوْر ، ومن سوء المنظر فى الأهل والمال . ١٥

لأم سلمة

الشعبى عن أم سلمة قالت : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا خرج فى سفر يقول : اللهم إنى أعوذ بك أن أَزِل أو أُزَل ، أو أَضِلَّ أو أُضَلَّ ، أو أَظلِم أو أُظلَم أو أَجْهَلَ أو يُجْهَلَ علىّ . ٢٠

وقالت : من خرج فى طاعة الله ، فقال : اللهم إنى لم أخرج أشراً ولا بَطَرا ، ولا رياء ولا سمعة ، ولكنى خرجتُ ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك ؛ فأسألك بحقك على جميع خلقك أن ترزقنى من الخير أكثرَ مما أرجو ، وتصرفَ عنى

من الشر أكثر مما أخاف . استجيب له بإذن الله .

الدعاء عند الدخول على السلطان

لابن عباس

سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : إذا دخلت على السلطان المَهيب تخاف أن يسطو عليك فقل : اللهُ أكبرُ ، اللهُ أكبرُ وأعزُّ مما أخاف وأحذر ، اللهم ربَّ السموات السبع وربَّ العرش العظيم ، كن لى جاراً من عبدك فلان وجنودِه وأشياعه وأتباعه ، تبارك اسمُك ، وجل ثناؤك ، وعزّ جارك ، ولا إلهَ غيرُك .

المنصور وجعفر ابن محمد

أبو الحسن المدائنى قال : لما حج أبو جعفر المنصور مرَّ بالمدينة ، فقال للربيع : علىّ بجعفر بن محمد ، قتلنى الله إن لم أقتله ؛ فَمُطِلَ به ، ثم ألح فيه فحضر ؛ فلما كشف الستر بينه وبينه ومثل بين يديه ، همس جعفر بشفتيه ، ثم تقرب وسلَّم ، فقال : لا سلَّم الله عليك يا عدوّ الله ! تعمل على الغوائل فى مُلكى ؟ قتلنى الله إن لم أقتلك ! فقال له جعفر : يا أمير المؤمنين ، إن سليمان صلى الله عليه وسلم أُعْطِى فشكر ، وإن أيوب ابتُلى فصبر ، وإن يوسف ظُلم فغفر ؛ وأنت على إرث منهم ، وأحقُّ من تأسّى بهم . فنكس أبو جعفر رأسه مليا ، ثم رفع إليه رأسه فقال له : [إلىَّ] ياأبا عبد الله فأنت القريب القرابة ، وأنت ذو الرحم الواشجة ، السليمُ الناحية ، القليلُ الغائلة . ثم صافحه بيمينه ، وعانقه بيساره ، وأجلسه معه على فراشه وانحرف له عن بعضه ، وأقبل عليه بوجهه يسائله ويحادثه ؛ ثم قال : عجِّلوا لأبى عبد الله إذنَه وكسوته وجائزتَه . قال الربيع : فلما خرج وخطرف [1] الستر أمسكت بثوبه . فارتاع وقال : ما أرانا ياربيعُ إلا وقد حُبِسنا! قلت : هذه مِنى لا مِنه . قال : فذلك أيسر ؛ قل حاجتك . قلت : إنى منذ ثلاث أدافع عنك وأدارى عليك ؛ ورأيتك إذ دخلتَ همَسْت بشفتيك ، ثم رأيت الأمر انجلى عنك : وأنا خادم سلطان ولا غنى بى عنه ؛ فأحب منك أن تعلمنيه ... قال : نعم ، قل : اللهم احرسنى بعينك التى لا تنام ، واكنفنى بكنفك الذى لا يُرام ، ولا أهلِك وأنت رجائى ؛ فكم من نعمة أنعمتَها علىّ قَلَّ عندها شكرى فلم تحرمنى ، وكم من بلية ابتليتنى بها قلَّ

(١) فى بعض الأصول : « وأسدل » .

عندها صبرى فلم تخذُلنى ، اللهم بك أدرأ فى نحره ، وأعوذ بخيرك من شره .

الدعاء على الطعام

من قال على طعامه : « بسم الله خيرِ الأسماء ، فى الأرض وفى السماء ، ولا يضر مع اسمه داء : اللهم اجعل فيه الدواء والشفاء » لم يضُرّه ذلك الطعام كائناً ما كان .

عن النبى صلى الله عليه وسلم

٥ وكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا فرَغ من طعامه قال : الحمد لله الذى مَنّ علينا وهدانا ، وأطعمنا وأروانا ، وكل بلاء حَسن أبلانا .

الدعاء عند الأذان

من قال إذا سمع الأذان : رضيتُ بالله ربًّا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد نبيا . غُفرت له ذنوبه .

للنبى صلى الله عليه وسلم

١٠ وقال النبى صلى الله عليه وسلم : إذا سمعتم الأذان فقولوا مثلَ ما يقول المؤذن .

الدعاء عند الطيرة

قال النبى صلى الله عليه وسلم : من رأى من الطير شيئاً يكرهه فقال : اللهم لا طيرَ إلا طيرُك ، ولا خيرَ إلا خيرُك ، ولا إله غيرُك . لم يضرّه .

الساعة التى يستجاب فيها الدعاء

١٥ الفُضيل عن أبى حازم عن أبى سَلمة بن عبد الرحمن عن ناس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنهم أجمعوا أن الساعة التى يُستجاب فيها الدعاء آخرُ ساعة من يوم الجمعة .

التعويذ

أنس بن مالك قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم إنى أعوذ بك من علمٍ لا ينفع ، وقلبٍ لا يخشع ، وعينٍ لا تدمع ، ودعاء لا يُسمع ، ونفس لا تَشبع ، اللهم إنى أعوذ بك من هذه الأربع . ٢٠

وقال صلى الله عليه وسلم : من قال إذا أمسى وأصبح : أعوذ بكلمات الله التامّات المباركات التى لا يُجاوزهن برّ ولا فاجر ، من شر ما ينزل من السماء ، ومن شر ما يعرُج فيها ، ومن شر ما ذرأ فى الأرض وما يخرج منها . لم يضره شىء من الشياطين والهوام .

ما كان يعوذ به النبى صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين

٥ مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين رضى الله عنهما بهذه الكلمات : أُعيذُكما بكلمات الله التامة ، من كل عين لامّة ، ومن كل شيطان وهامّة .

وكان إبراهيم صلى الله عليه وسلم يعوذ بها إسماعيل وإسحق .

لأعرابى فى دعوة

وقال أعرابى يصف دعوة :

١٠ وساريةٍ لم تَسْر فى الأرض تبتغى ٭ محلًّا ولم يَقطعْ بها البِيدَ قاطعُ
سرَتْ حيث لم تسْر الركابُ ولم تُنخْ ٭ لوِردٍ ولم يقْصُرْ لها القيدَ مانع
تَظَل وراءَ الليلِ والليلُ ساقطٌ ٭ بأرْواقهِ فيه سميرٌ وهاجع
تَفتَّحُ أبوابُ السماءِ لوَفْدها ٭ إذا قَرَعَ الأبوابَ منهن قارع
إذا سألتْ لم يَردُد الله سُؤْلَها ٭ على أهلها واللهُ راءٍ وسامع
١٥ وإنى لأرجو اللهَ حتى كأنما ٭ أرى بجميلِ الظنّ ما اللهُ صانع

لابن عبد ربه

ومن قولنا فى هذا المعنى :

بُنَىَّ لئن أعيا الطبيبَ ابنَ مُسلمٍ ٭ ضَنَاكَ وأعْيا ذا البيانِ المُوشَّعِ
لأبْتَهلنْ تحت الظلام بدعوةٍ ٭ متى يَدْعُها داعٍ إلى الله يسمعِ
تغلغَلَ من بين الضلوعِ نَشيجُها ٭ لها شافعٌ من عَبْرةٍ وتضرُّعِ
٢٠ إلى فارجِ الكرْب المجيب لمن دعا ٭ فزِعتُ بكرْبى ، إنه خيرُ مَفزَعِ
فيا خيرَ مدْعوّ دعوتُك فاستمع ٭ ومالى شفيعٌ غيرُ فضلِك فاشفعِ

كتاب الدرة

فى النّوادب والتّعازى والمراثى

لابن عبد ربه قال أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا فى الزهد ورجاله المشهورين ؛ ونحن قائلون بعون الله فى النوادب والمراثى ، والتهانى والتعازى ، بأبلغ ما وجدناه من الفطن الذكية ، والألفاظ الشجية ، التى تُرق القلوبَ القاسية ، وتُذيب الدموع الجامدة ، مع اختلاف النوادب عند نزول المصائب ؛ فنادبة تثير الحزن من ربضته ، وتبعث الوجد من رقدته ، بصوت كترجيع الطير ، وتقطع أنفاس المآتم ، وتترك صدعا فى القلوب الجلامد ؛ ونادبة تخفض من نشيجها ، وتقصد فى نحيبها ، وتذهب مذهب الصبر والاستسلام ، والثقة بجزيل الثواب .

لابن ذر قال عمر بن ذرّ : سألت أبى : ما بال الناس إذا وعظتّهم بكوْا ، وإذا وعظهم غيرك لم يبكوا ؟ قال : يا بُنىّ ، ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجرة .

لأعرابى وقال الأصمعى : قلت لأعرابى : ما بال المراثى أشرف أشعاركم ؟ قال : لأنا نقولها وقلوبُنا محترقة .

لحكماء وقال الحكماء : أعظم المصائب كلها انقطاع الرجاء .

وقالوا : كلُّ شىء يبدو صغيراً ثم يعظُم ؛ إلا المصيبة ؛ فإنها تبدو عظيمة ثم تصغر .

القول عند الموت

لبعضهم الأصمعي عن مُعْتَمر عن أبيه ؛ قال : لقّنوا موتاكم الشهادة ؛ فإذا قالوها فدعوهم ولا تُضْجروهم .

وقال الحسن : إذا دخلتم على الرجل فى الموت فبشّروه ؛ ليلقى ربه وهو

حسن الظن به وإذا كان حيا فخوفوه

حسن الظنّ به ؛ وإذا كان حيا خوفوه .

بين أبي بكر وطلحة

ولقى أبو بكر طلحة بن عُبيد الله ، فرآه كاسفا مُتغيِّراً لونه ، فقال : مالى أراك متغيرا لونك ؟ قال : كلمة سمعتُها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أسأله عنها . قال : وماذاك ؟ قال : سمعته يقول : إنى أعلم كلمة مَن قالها عند الموت مُحِصت ذنوبه ، ولو كانت مثل زبد البحر . فأنسيت أن أسأله عنها . قال أبو بكر : وأعلّمُكَها ؟ هى : لا إله إلا الله .

لمعاذ فى احتضاره

أبو الحُباب قال : لما احتُضِر مُعاذ قال لخادمته : ويحك ! هل أصبحنا ؟ قالت : لا . ثم تركها ساعة ، ثم قال لها : انظرى . فقالت : نعم . قال أعوذ بالله من صباح إلى النار ! ثم قال : مرحباً بالموت ! مرحباً بزائر جاء على فاقة ! لا أفلح من ندم : اللهم إنك تعلم أنى لم [أكن] أحبُّ البقاء فى الدنيا لكرْى الأنهار ، وغرس الأشجار ؛ ولكن لمكابدة الليل الطويل ، وظمإ الهواجر فى الحرّ الشديد ، ومزاحمة العلماء بالرُّكَب فى مجالس الذكر .

لعمر بن عتبة فى مثله

ولما حضرت الوفاة عمر بن عُتبة[1] قال لرفيقه : نزل بى الموت ولم أتأهب له ! اللهم إنك تعلم أنه ماسَنح لى أمران لك فى أحدهما رضاً ولى فى الآخر هوًى إلا آثرتُ رضاك على هواى .

لابن الخطاب فى مثله

ولما حضرت الوفاة عمرَ بن الخطاب قال لولده عبد الله بن عمر : ضع خدّى على الأرض عَلَّ ربى أن يتعطف علىّ ويرحمنى .

للرقاشى فى مثله

ابن السمَّاك قال : دخلت على يزيد الرقاشى وهو فى الموت . فقال لى : سبقَنى العابدون وقُطع بى ؛ والَهْفاه .

الأسوارى وآزادمرد فى احتضاره

موسى الأَسوارى قال : دخلت على آزادمَرْد وهو ثقيل ، فإذا هو كالخفّاش لم يبق إلا رأسه ؛ فقلت له : ياهذا ما حالك ؟ قال : وما حال من يريد سفراً بعيداً بغير زاد ، وينطلق إلى ملِك عدْل بغير حجة ، ويدخل قبراً مُوحشاً بغير مُؤنس !

(١) فى بعض الأصول : « عبيد » .

عمر بن عبد العزيز وأبو قلابة

قال عمر بن عبد العزيز لأبى قِلابة وولى غسل ابنه عبد الملك : إذا غسلته وكفنته فآذِنّى قبل أن تغطى وجهه . ففعل ، فنظر إليه وقال : يرحمك الله يا بنى ويغفر لك .

الحجاج وموت ابنه محمد

ولما مات محمد بن الحجاج جزع عليه جَزعاً شديدا ، وقال : إذا غسلتموه وكفنتموه فآذِنونى . ففعلوا ، فنظر إليه وقال متمثلا : ٥

الآنَ لما كنتَ أَكْمَلَ مَن مشى ۞ وافْتَرّ نابُكَ عن شَبَاةِ القارِحِ
وتكاملتْ فيكَ المُروءةُ كُلُّها ۞ وأعنتَ ذلك بالفَعالِ الصالحِ

فقيل له : اتق الله واسترجع . فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

عمر بن عبد العزيز وابنه عبد الملك

وقال عمر بن عبد العزيز لابنه عبد الملك : كيف تجدك يابنىّ ؟ قال : أجدنى فى الموت فاحتسبنى ؛ فإن ثواب الله خير لك منى . قال ، والله يا بُنى لأن تكون ١٠ فى ميزانى أحبُّ إلىّ من أن أكون فى ميزانك قال : وأنا والله ، لأن يكون ماتحب أحبّ إلىّ من أن يكون ما أحِب .

مسلمة بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز فى احتضاره

لما احتضر عمر بن عبد العزيز رحمه الله استأذن عليه مسلمة بن عبد الملك ، فأذن له وأمره أن يخفف الوقفة ؛ فلما دخل وقف عند رأسه فقال : جزاك الله يا أمير المؤمنين عنا خيرا ؛ فلقد ألنت لنا قلوبا كانت علينا قاسية ، وجعلت لنا ١٥ فى الصالحين ذكرا .

الرسول صلى الله عليه وسلم فى قبضه

حماد بن سلمة ، عن ثابت عن أنس بن مالك ، قال : كانت فاطمة جالسة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فتواكدت عليه كُرَبُ الموت ؛ فرفع رأسه وقال ، واكرباه ! فبكت فاطمة وقالت : واكرباه لكربك يا أبتاه ! قال ، لا كرب على أبيك بعد اليوم ! ٢٠

الرياشى عن عثمان بن عمر عن إسرائيل عن ميسرة بن حبيب ، عن المنهال ابن عمرو ، عن عائشة بنت طلحة ، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : ما رأيت أحداً من خلق الله أشبهَ حديثاً وكلاماً برسول الله صلى الله عليه وسلم من فاطمة ، وكانت إذا دخلت عليه أخذ بيدها فقبلها ورحّبَ بها وأجلسها فى مجلسه ؛ وكان

إذا دخل عليها قامت إليه ورحبت به وأخذت بيده فقبلتها . فدخلتْ عليه فى مرضه الذى توفى فيه ، فأسرّ إليها فبكت ، ثم أسرّ إليها فضحكت ، فقلت : كنت أحسب لهذه المرأة فضلا على النساء ، فإذا هى واحدة منهن ؛ بينما هى تبكى إذ هى تضحك ! فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتها ؛ فقالت : أسرّ إلىّ
٥ فأخبرنى أنه ميت فبكيْت ؛ ثم أسرّ إلىّ أنى أول أهل بيته لحوقاً به فضحكْت .

عائشة مع أبيها فى احتضاره

القاسم بن محمد عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها دخلت على أبيها فى مرضه الذى مات فيه ، فقالت له : يا أبت ، اعهد إلى خاصتك ، وأنفذ رأيك فى عامتك ، وانقل من دار جهازك إلى دار مقامك ؛ وإنك محضور ومتصل بقلبى لوعتُك ، وأرى تخاذُل أطرافك ، وانتقاع لونك ؛ فإلى الله تعزيتى عنك ، ولديه
١٠ ثوابُ حزنى عليك ، أرقأ فلا أرْقأ وأشكو فلا أُشكَى .

فرفع رأسه فقال : يا بُنية ، هذا يوم يُحَلُّ فيه عن غِطائى ؛ وأعاين جزائى ، إن فرحا فدائم ، وإن نوحا فمقيم ؛ إنى اضطلعت بإمامة هؤلاء القوم ، حين كان النكوص إضاعة ، والحذر تفريطا ؛ فشهيدى الله ما كان بقلبى إلا إياه ؛ فتبلَّغتُ بصَحْفتهم ، وتعللت بدرّة لِقحتهم ، وأقمت صَلاى معهم ، لا مُختالا أشِراً ،
١٥ ولا مُكابراً بَطِرا ، لم أعْد سدًّا لجوعة ، وتورية العورة ، طوًى مُمغص تهفو له الأحشاء وتَجِب له الأمعاء ؛ واضطررت إلى ذلك اضطرار الجَرِض إلى المَعِيف الآجن ، فإذا أنا متُّ فرُدِّى إليهم صحفتهم ولقحتهم وعبيدهم ورحاهم ، ودثارة ما فوقى اتّقيتُ بها أذى البرد ، ودثارة ماتحتى اتقيت بها أذى الأرض ، كان حشوهما قطع السّعف .

عمر مع أبى بكر فى احتضاره

٢٠ ودخل عليه عمر فقال : ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقد كلفت القوم بعدك تعَبا ، ووليتّهم نصبا . فهيهات من شقّ غبارك ! وكيف باللحاق بك ،

وقالت عائشة وأبوها يُغمَّض :

وأبيَض يُستسْقى الغمام بوجهه ، ربيعُ اليتامى عِصمةٌ للأرامِلِ

فنظر إليها وقال : ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم أغمى عليه فقالت :

لعَمْرُك ما يُغْنِي الثراء عن الفتى ‌ • ‌ إذا حَشْرَجَت يوماً وضاق بها الصَّدْر

قالت : فنظر إلىّ كالغضبان وقال لى : قولى : ﴿ وجاءتْ سكْرةُ الموْتِ بالحقّ ذلك ما كنت منه تَحِيد ﴾ . ثم قال : انظروا ملاءتَىّ فاغسلوهما وكفّنونى فيهما ؛ فإن الحى أحوج إلى الجديد من الميت . ٥

لمعاوية فى احتضاره

وقال معاوية حين حضرته الوفاة :

ألَا ليْتنى لم أغْن فى المُلك ساعةً ‌ • ‌ ولم أكُ فى اللّذّات أعْشى النّواظِر

وكنتُ كذِى طِمْريْن عاش بِبُلْغةٍ ‌ • ‌ لياليَ حتى زار ضَنْك المقابِرِ

لما ثقل معاوية ويزيد غائب ، أقبل يزيد فوجد عثمان بن محمد بن سفيان جالساً ، فأخذ بيده ودخل على معاوية وهو يجود بنفسه ، فكلمه يزيد فلم يكلمه ، ١٠ فبكى يزيد ، وتضوّر معاوية ساعة ، ثم قال : أى بنى ، إن أعظمَ ما أخاف اللهَ فيه ما كنت أصنع بك يا بُنىّ . إنى خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا مضى لحاجته وتوضأ أصب الماء على يديه ، فنظر إلى قميص لى قد انخرق من عاتق ، فقال لى : يامعاوية ، ألا أكسوك قميصاً ؟ قلت : بلى . فكسانى قميصاً لم ألبسه إلا لبسة واحدة ، وهو عندى . واجترّ ذات يوم فأخذت جُزازة شعره ، ١٥ وقلامة أظفاره ، فجعلت ذلك فى قارورة ، فإذا مت يا بنى فاغسلنى ثم اجعل ذلك الشعر والأظفار فى عينى ومنخرى وفمى ، ثم اجعل قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم شعاراً من تحت كفنى . إن نَفَع شىءٌ نَفَع هذا .

عمرو بن العاص فى احتضاره

لما احتضر عمرو بن العاصى ، جمع بنيه فقال : يا بَنِىّ ، ما تُغنون عنى من أمر الله شيئا ! قالوا : يا أبت ، إنه الموت ، ولو كان غيره لوقيناك بأنفسنا . فقال : ٢٠ أسندونى . فأسندوه ، ثم قال : اللهم إنك أمرتنى فلم أأتمر ، وزجرتنى فلم أزدجر ، اللهم لا قوىٌّ فأنتصر ، ولا برىءٌ فأعتذر ، ولا مستكبر بل مستغفر ! أستغفرك وأتوب إليك ، لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ! فلم يزل يكررها حتى مات .

قال : وأخبرنا رجال من أهل المدينة أن عمرو بن العاص قال لبنيه عند موته : إنى لست فى الشِّرك الذى لو مت عليه أُدْخلت النار ، ولا فى الإسلام الذى لو متُّ عليه أُدْخلت الجنة ؛ فهما قصرت فيه فإنى مستمسك بلا إله إلا الله . وقبض عليها بيده ، وقُبض لوقته ؛ فكانت يده تُفتح ثم تترك ، فتنقبض .

٥ وقال لبنيه : إن أنا مت فلا تبكوا علىّ ، ولا يتبعنى مادح ولا نائح ، وشنُّوا علىّ التراب شنا ، فليس جنبى الأيمن أولى بالتراب من الأيسر ؛ ولا تجعلوا فى قبرى خشبة ولا حجَراً ، وإذا واريتمونى فاقعدوا عند قبرى قدرَ نَحْر جزور . وتفصيلها أستأنس بكم .

الجزع من الموت

١٠ لابن عياض — الفضيل بن عياض قال : ما جزع أحدٌ من أصحابنا عند الموت ما جزع سفيان الثورى ، فقلنا : يا أبا عبد الله ، ما هذا الجزع ، ألستَ تذهب إلى من عبدته وفررت ببدنك إليه ؟ فقال : ويحكم ! إنى أسلك طريقاً لم أعرفه ، وأقدم على ربّ لم أره .

حزن سعيد بن أبى الحسن على أخيه — ولما توفى سعيد بن أبى الحسن وجد عليه أخوه الحسن وجداً شديدا ، ١٥ فكُلِّم فى ذلك ، فقال : ما رأيت الله جعل الحزن عارا على يعقوب !

الحسن فى احتضاره — وقال صالح المُرِّى : دخلت على الحسن وهو فى الموت ، وهو يكثر الاسترجاع ؛ فقال له ابنه : أمثلك يسترجع على الدنيا ؟ قال : يا بنى ، ما أسترجع إلا على نفسى التى لم أصَبْ بمثلها قط .

حجر بن الأدبر فى موته — ولما أمر معاوية بقتل حُجْر بن الأدبر وأصحابه ، بعث إليهم أكفانهم وأمر ٢٠ بأن تُفتح قبورهم ويُقتلوا عليها . فلما قدِّم حُجْر بن الأدبر إلى السيف جزع جزعا شديداً ، فقيل له : أمثلك يجزع من الموت ؟ فقال : وكيف لا أجزع وأرى سيفاً مشهوراً وكفناً منشوراً وقبراً محفورا .

البكاء على الميت

لإبراهيم

الشعبي عن إبراهيم قال : لا يكون البكاء إلا من فضل ، فإذا اشتد الحزن ذهب البكاء . وأنشد :

فَلَئِنْ بَكَيْناهُ لَحَقٌّ لَنا ٭ ولَئِنْ تَرَكْنا ذَاكَ لِلصَّبْرِ

فَلِمِثْلِهِ جَرَتِ العُيونُ دَماً ٭ ولِمِثْلِهِ جَمَدَتْ فَلَمْ تَجْرِ ٥

الأحنف وباكية

مر الأحنف بامرأة تبكي ميتا ورجل ينهاها ، فقال له : دعها فإنها تندب عهدا قريبا وسفرا بعيدا .

النبي صلى الله عليه وسلم في وفاة ابنه إبراهيم

قالوا : لما توفي إبراهيم بن محمد صلى الله عليه وسلم بكى عليه ؛ فسئل عن ذلك فقال : تَدْمَعُ العينان ويَحْزَنُ القلبُ ، ولا نقولُ ما يُسخِطُ الربَّ .

النبي صلى الله عليه وسلم وباكيات من الأنصار

١٠ ومر النبي صلى الله عليه وسلم بنسوة من الأنصار يبكين ميتا فزجرهن عمر ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : دعهن يا عمر ، فإن النفسَ مصابة ، والعينَ دامعة والعهدَ قريب .

النبي صلى الله عليه وسلم وباكيات قتلى أحد

ولما بكت نساء أهل المدينة على قتلى أُحُد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لكن حمزةُ لا باكيةَ له ذلك اليوم ! » فسمع ذلك أهل المدينة ، فلم يقم لهم مأتم إلى اليوم إلا ابتدأن فيه البكاء على حمزة . ١٥

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لولا أن يَشُقَّ على صفِية ، مادفنته حتى يُحْشَرَ من حواصل الطير وبُطُون السباع .

ابن الخطاب حين نعي إليه ابن مقرن

ولما نعي النعمان بن مُقَرِّن إلى عمر بن الخطاب وضع يده على رأسه وصاح : يا أَسَفا على النعمان .

ابن الخطاب حين نعي إليه زيد

٢٠ ولما استشهد زيد بن الخطاب باليمامة ، وكان صحبه رجل من بني عدي بن كعب ؛ فرجع إلى المدينة ، فلما رآه عمر دمعت عيناه وقال :

« وخلَّفْتَ زَيداً ثاوياً وأتيْتَني ! »

وقال عمر بن الخطاب : ما هبت الصَّبا إلا وجدتُ نسيمَ زيد .

وكان إذا أصابته مصيبة قال : قد فقدت زيدا فصبرتُ .

عمر ووفاة خالد

ولما تُوفى خالد بن الوليد أيام عمر بن الخطاب ـ وكان بينهما هِجرة ـ امتنع النساء من البكاء عليه ، فلما انتهى ذلك إلى عمر ، قال : وما على نساء بنى المغيرة أن يُرِقْنَ من دمعهن على أبى سليمان مالم يكن نقْعٌ ولا لقلقة.

لمعاوية فى النساء

٥ وقال معاوية وذُكِر عنده النساء : ما مَرَّضَ المرضى ولا نَدَبَ الموتى مثلُهن .

لابن عياش

وقال أبو بكر بن عياش : نزلت بى مصيبة أوجعتْنى فذكرتُ قول ذى الرمة :

لعـــلَّ انحِدَارَ الدَّمعِ يُعقِبُ راحَةً ٭ منَ الوَجْدِ أو يشْفِى شَجِىَّ البلابِلِ

فخلوت ، فبكيتُ ، فسلوت .

للفرزدق

وقال الفرزدق فى هذا المعى :

١٠ ألم تَرَيانِى يومَ جَوِّ سُويقةٍ ٭ بكيْتُ فنادَتْنِى هُنيْدَةُ ماليَا

فقُلتُ لهـا إنَّ البُكاءَ لرَاحةٌ ٭ بهِ يشْتَفِى مَن ظَنَّ أنْ لا تَلاقِيا

قَعِيدَكِما اللهَ الذِى أنتما لهُ ٭ ألم تَسمَعا بالبَيْضَتينِ المنادِيا

حبيبٌ دعا والرَّمْلُ بيْنى وبينَهُ ٭ فأَسْمَعَنى سُقياً لذلك داعِيا

يقال : قَعيدك الله ، وقِعْدَكَ اللهَ ، معناه : سألتك الله .

١٥ القول عند المقابر

لزيد بن على

قال بعضهم : خرجنا مع زيد بن على نريد الحَج ، فلما بلغنا النَّباج وصرنا إلى مقابرها ، التفت إلينا فقال :

لِكلِّ أُناسٍ مَقْـــبرٌ بِفنَائِهِمْ ٭ فهُمْ ينْقُصونَ والقبُورُ تَزيدُ

فما إن تَزالُ دارُ حَيٍّ قدْ أخْرِبتْ ٭ وقبرٌ بأفْناءِ البُيوتِ جَديدُ

٢٠ هُمُ جِيرةُ الأحياءِ أمّا مَزارُهُمْ ٭ فدانٍ وأمّا الملْتقَى فبعِيدُ

للرقاشى

وقال مررت بيزيد الرقاشى وهو جالس بين المدينة والمقبرة ، فقلت له : ما أجلسك ههنا ؟ قال : أنظرُ إلى هذين العسكرين ، فعسكرٌ يقذِفُ الأحياء ، وعسكر يلتقم الموتى ! ثم نادى بأعلى صوته : يا أهل القبور الموحشة التى قد نطَقَ بالخراب

فناؤُها ، ومُهِّدَ بالتراب بناؤُها ، فمحلها مقترب ، وساكنها مغترب ؛ لا يتواصلون تواصل الإخوان ، ولا يتزاورون تزاور الجيران ؛ قد طحنهم بكلكله البِلى ، وأكلهم الجنادلُ والثرى .

لعلي — وكان علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إذا دخل المقبرة قال : أما المنازلُ فقد سُكنت ، وأما الأموال فقد قُسمت ، وأما الأزواج فقد نُكحت ؛ فهذا خبر ما عندنا ، فليت شعري ما عندكم ؟ ثم قال : والذي نفسي بيده ، لو أذن لهم في الكلام لقالوا : إن خير الزاد التقوى .

وكان علي بن أبي طالب إذا دخل المقبرة قال : السلام عليكم يأهل الديار الموحشة ، والمحال المقفرة ، من المؤمنين والمؤمنات ؛ اللهم اغفِرْ لنا ولهُم ، وتجاوَزْ بعفوك عنا وعنهم . ثم يقول : الحمد لله الذي جعل لنا الأرض كِفاتاً أحياءً وأمواتا ، والحمد لله الذي منها خُلقنا ، وإليها مَعادُنا ، وعليها محشرنا ؛ طوبى لمن ذكر المعاد ، وعمل الحسنات ، وقنع بالكفاف ، ورضى عن الله عز وجل .

للنبي صلى الله عليه وسلم — وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل المقبرة قال : « السلامُ عليكم دارَ قومٍ مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون » .

للحسن البصري — وكان الحسن البصري إذا دخل المقبرة قال : اللهم ربَّ هذه الأجساد البالية ، والعظامِ النَّخِرة ، التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة ، أَدْخِلْ عليها روحا منك وسلاما منا .

لابن الفضل — وكان علي بن الفضل إذا دخل المقبرة يقول : اللهم اجعل وفاتهم نجاةً لهم مما يكرهون ، واجعل حسابهم زيادةً لهم مما يحبون .

الوقوف على القبور وما بين الموتى

لأعرابي على قبر الرسول صلى الله عليه وسلم — وقف أعرابي على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : قلتَ فقبلنا وأمرت فحفظنا ، وبلَّغت عن ربك فسمعنا ، ﴿ ولو أنهم إذ ظلَموا أنفُسَهم

جاءوك فاستَغفَروا الله واستغفَرَ لهمُ الرسولُ لوَجدُوا الله توَّاباً رحيمًا ﴾ ، وقد ظلمنا أنفسنا وجئناك فاستغفر لنا . فما بقيت عين إلا سالت .

لفاطمة على قبر أبيها صلى الله عليه وسلم

وقفت فاطمة عليها السلام على قبر أبيها صلى الله عليه وسلم فقالت :

إنا فقدْناكَ فقْدَ الأَرضِ وابِلهَا * وغابَ مُذ غِبت عنَّا الوحيُ والكُتبُ

٥ فليْتَ قبلَكَ كانَ الموتُ صادَفنا * لمَّا نُعيتَ وحالت دونكَ الكُتبُ

حمّاد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك قال : لما فرغنا من دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبلت عليَّ فاطمة ، فقالت : يا أنس، كيف طابت أنفسكم أن تحثُوا على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب ؟ ثم بكت ونادت : يا أبتاه ! أجاب ربًّا دعاه ؛ يا أبتاه ! مِنْ ربّه ما أدناه ؛ يا أبتاه ! مَنْ ربُّه ١٠ ناداه ؛ يا أبتاه ! إلى جبريل ننْعاه ؛ يا أبتاه ! جنّةُ الفِردوْسِ مأواه . قال : ثم سكتت فما زادت شيئا .

ابن مسعود على قبر عمر بن الخطاب

ولما دُفِن عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه ، أقبل عبدُ الله بن مسعود وقد فاته الصلاة عليه ؛ فوقف على قبره يبكى ويطرح رداءه ؛ ثم قال : والله لئن فاتتنى الصلاةُ عليك لا فاتنى حسنُ الثناء ؛ أما والله لقد كنت سخيًّا بالحق ، بخيلا عن ١٥ الباطل ، ترضى حين الرضا ، وتسخط حين السَّخَط ، ما كنت عيَّاباً ولا مدَّاحاً ؛ فجزاك الله عن الإسلام خيراً .

على بن أبى طالب على قبر خباب

ووقف علىُّ بن أبى طالب رضى الله عنه على قبر خبَّاب فقال : رحم الله خبَّابا ! لقد أسلم راغبا ، وجاهد طائعا ، وعاش زاهدا [(١)] ، وابْتُلِى فى جسمه فصبر [(٢)] ؛ ولن يُضيعَ الله أجرَ من أحسن عملا .

الحسن على قبر على

٢٠ ولما توفى على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، قام الحسن بن على رضى الله عنهما فقال : أيها الناس ، إنه قُبض فيكم الليلة رجلٌ لم يسبقه الأولون ولم يدركه الآخرون ، قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه فيكتنفه جبريلُ عن يمينه

(١) فى بعض الأصول : « مجاهداً » .
(٢) فى بعض الأصول : « أحوالا » .

وميكائيل عن شماله ، لا ينثنى حتى يفتح الله له ؛ ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم أعدّها لخادم له .

ابن السماك فى رثاء الطائى

عبد الرحمن بن الحسين عن محمد بن مصعب قال : لما مات داودُ الطائى تكلم ابن السمّاك فقال : إن داود نظر إلى ما بين يديه من آخرته ، فأعشى بصرُ القلب بصرَ العين ، فكأن لم ينظر ما إليه تنظرون ، وكأنكم لم تنظروا إلى ما إليه ينظر ، ٥ فأنتم منه تَعْجبون وهو منكم يَعجب ، فلما رآكم مفتونين مغرورين ، قد أذهلت الدنيا عقولكم ، وأماتت بحبها قلوبكم ، استوحش منكم ، فكنت إذا نظرتُ إليه حسبته حيا وسطَ أموات ؛ يا داود ، ما أعجب شأنكَ بين أهل زمانك ، أَهَنْتَ نفسك وإنما تريد إكرامها ، وأتْعبْتَها وإنما تريد راحتَها وأخشنْتَ المطعم وإنما تريد طيبهُ ، وأخشنْت الملبس وإنما تريد لِينهُ ، ثم أمتَّ نفسك قبل أن تموت ، ١٠ وقبرتَها قبل أن تُقبر ، وعذَّبتَها قبل أن تعذب ؛ سجنتَ نفسك فى بيتك فلا محدِّث لك ، ولا جليس معك ، ولا فراش تحتك ، ولا سِتْر على بابك ، ولا قُلّة يُبَرَّدُ فيها ماؤك ، ولا صَحْفَة يكون فيها غداؤك وعشاؤك ؛ يا داود ، ما تشتهى من الماء بارده ، ولا من الطعام طيّبه ، ولا من اللباس ليِّنه ؛ بلى ، ولكن زهدت فيه لما بين يديك ؛ فما أصغر ما بذلت وما أحقر ما تركت فى جنب ما رغبت ١٥ وأمَّلت ، فلما مت شَهرك ربُّك بفضلك ؛ وألبسك رداء عملك ، فلو رأيت من حضرك علمتَ أن ربك قد أكرمك وشرّفك .

للأحنف على قبر أخيه

وقف الأحنف بن قيس على قبر أخيه فأنشد :

فو ٱللهِ لا أنسَى قتيــلاً رُزِئتهُ ٭ بجانبِ قوسَى ما مشيْتُ على الأرض

بلَى إنهـا تعفـــو الكُلومُ وإنما ٭ نُوَكّلُ بالأدنَى وإن جلَّ ما يَمضى ٢٠

ووقف محمد بن الحنفية على قبر الحسين بن على رضى الله عنهما فخنقته العبرة ثم نطق فقال : يرحمك الله أبا محمد ، فلئن عزَّت حياتك فلقد هدَّت وفاتُك ، ولنِعْمَ الروحُ روحٌ ضمه بدنُك ، ولنعم البدنُ بدنٌ ضمه كفنك ، وكيف لا يكون كذلك وأنت بقيةُ ولد الأنبياء ، وسليلُ الهدى ، وخامسُ أصحاب الكساء ، غذتْك

أكف الحق ، وربيت فى حِجر الإسلام ، فطبتَ حيًّا وطبت ميتاً ، وإن كانت أنفسنا غير طيِّبةٍ بفراقك ، ولا شاكَّةً فى الخيار لك .

عائشة على قبر أبي بكر

ووقفت عائشة على قبر أبى بكر فقالت : نضَّر الله وجهك ، وشكر لك صالح سعيك ، فقد كنت للدنيا مُذلًّا بإدبارك عنها ، وكنت للآخرة مُعزًّا بإقبالك عليها ٥ ولئن كان أجلَّ الحوادث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رُزْؤك ، وأعظمَ المصائب بعده فقدُك ـ إن كتاب الله ليعِدُ بحُسن الصبر فيك ، وحسنِ العِوَض منك ؛ فأنا أتنجزُ موعودَ الله بحسن العزاء عليك ، وأستعيضُه منك بالاستغفار لك ؛ فعليك السلام ورحمة الله ، توديعَ غيرِ قالية لحياتك ، ولا زارية على القضاء فيك ! ثم انصرفت .

رثاء على لأبي بكر

١٠ لما قُبض أبو بكر سُجِّىَ بثوب فارتجت المدينة بالبكاء عليه ، ودهش القوم كيوم قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاء على بن أبى طالب باكياً مسرعا مسترجعا حتى وقف بالباب وهو يقول : رحمك الله أبا بكر ، كنتَ والله أوّل القومِ إسلاما ، وأخلصهم إيمانا ، وأشدَّهم يقينا ، وأعظمَهم غناء ، وأحفظهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحدَبَهم على الإسلام ، وأحناهم على أهله ، وأشبههم ١٥ برسول الله صلى الله عليه وسلم خُلقا وفضلا وهدْيا وسمتا ، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسول الله وعن المسلمين خيرا ، صدَّقتَ رسول الله حين كذَّبه الناس ، وواسيتَه حين بخلوا ، وقمت معه حين قعدوا ، سماك الله فى كتابه صدِّيقا ، فقال : « والَّذى جاء بالصِّدق وصدَّق به » يريد محمداً ويريدك ، كنت والله للإسلام حصنا ، وعلى الكافرين عذابا ، لم تُفلَل حجتُك ، ولم تضعُف بصيرتك ، ولم تجبُن نفسُك ، ٢٠ كنت كالجبل لا تحركه العواصف ، ولا تزيله القواصف ، كنت كما قال رسول الله ضعيفا فى بدنك ، قويا فى أمر الله ، متواضعا فى نفسك ، عظيما عند الله ، جليلا فى الأرض ، كثيرا عند المؤمنين ، لم يكن لأحد عندك مطمع ، ولا لأحد عندك هَوادة ، فالقويُّ عندك ضعيف حتى تأخذ الحق منه ، والضعيف عندك قوى حتى تأخذ الحق له ، فلا حرمنا الله أجرك ولا أضلنا بعدَك .

عبد الملك على قبر معاوية

وقف عبد الملك بن مروان على قبر معاوية فقال : تالله إن كنت ما علمت ليُنطقك العلم ؛ ويُسكتك الحلم . ثم أنشأ يقول :

وما الدهرُ والأيامُ إلّا كما تَرى ۞ رَزيئة مالٍ أو فِراقُ حبيبِ

للضحاك في زياد

الهيثم بن عدى قال : لما هلك زياد استعمل معاوية الضحاك على الكوفة ؛ فلما دخلها سأل عن قبر زياد فدُلّ عليه ؛ فأتاه حتى وقف به ثم قال : ٥

أبَا المُغيرة والدُّنيا مُفجِّعةٌ ۞ وإنّ مَن غرَّت الدنيا لَمغرورُ

قد كان عندَك للمعروفِ معْرفة ۞ وكان عندَك للنكراء[1] تنكيرُ

لو خَلَّد الخيرُ والإسلامُ ذا قدَمٍ ۞ إذاً لَخلَّدَك الإسلامُ والخيرُ

والأبيات لحارثة بن بدر يرثى زيادا .

لعلى في فاطمة

المدائنى قال : لما دَفن علىُّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه فاطمةَ عليها السلام ، ١٠ تمثل عند قبرها فقال :

لكلّ اجتِماعٍ من خليلَيْن فُرْقة ۞ وكل الذى دُون المَمات قليلُ

وإنّ افتقادى واحداً بعد واحدٍ ۞ دليلٌ على أنْ لا يَدومُ خليل

امرأة الحسن على قبره

لما مات الحسن بن علىّ عليهما السلام ضربت امرأته فسطاطاً على قبره وأقامت حولا ثم انصرفت إلى بيتها ؛ فسمعت قائلا يقول : أدرَكوا ما طلبوا ! ١٥ فأجابه مجيب : بل ملُّوا فانصرفوا .

نائلة على قبر عثمان

ابن الكلبي قال : وقفت نائلة بنت الفرافصة الكلبية على قبر عثمان فترحمت عليه ثم قالت :

ومالىَ لا أبكى وتبكِى صحابتى ۞ وقد ذهَبت عنا فُضول أبى عمرو

ثم انصرفت إلى منزلها ، فقالت : إنى رأيت الحُزن يَبلى كما يَبلى الثوب ، وقد ٢٠ خفت أن يبلى حزن عثمان فى قلبى ! فدعت بفهر فهشمت فاها وقالت : والله لا قعَد منى رجل مقعد عثمان أبداً !

(١) فى بعض الأصول « للتنكير » .

الراثون على قبر الإسكندر

لما هلك الإسكندر : قامت الخطباء على رأسه ، فكان من قولهم : الإسكندر كان أمس أنطقَ منه اليوم ، وهو اليوم أوعظُ منه أمس !

لأبي العتاهية فى ابن له

أخذ هذا المعنى أبو العتاهية . فقال عند دفنه ولداً له :

كفى حَزَناً بدفنِك ثم إنى * نفضْت تراب قبرك من يَدَيَّا

٥ وكنتَ وفى حياتك لى عظاتٌ * فأنت اليومَ أوعظُ منك حيًّا

لأبي ذر فى مثله

وقف أبو ذرّ الهمدانى على قبر ابنه ذرّ ، فقال : يا ذرّ ، شغلنى الحُزن لك عن الحزن عليك ، فليت شعرى ما قلت وما قيل لك ! ثم قال : اللهم إنى قد وهبت لك إساءته إلىّ ، فهب له إساءته إليك ! فلما انصرف عنه التفت إلى قبره فقال : يا ذرّ ، قد انصرفنا وتركناك ، ولو أقمنا ما نفعناك !

لابن سليمان فى مثله

١٠ وقف محمد بن سليمان على قبر ابنه فقال : اللهم إنى أرجوك له وأخافك عليه ؛ فحقق رجائى وآمن خوفى .

لأعرابية فى أبيها

وقفت أعرابية على قبر أبيها فقالت : يا أبت ، إنّ فى الله تبارك وتعالى مِن فقدك عوضا ، وفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مصيبتك أسوة . ثم قالت : اللهم نزل بك عبدك مُقفراً من الزاد ، مُخشوْشِن المهاد ، غنيا عما فى أيدى العباد ، ١٥ فقيرا إلى ما فى يديك يا جواد ، وأنت أىْ ربِّ خيرُ مَن نزل به المؤمِّلون ، واستغنى بفضله المُقِلُّون ، وولج فى سعة رحمته المذنبون ؛ اللهم فليكن قِرَى عبدك منك رحمتَك ، ومهادُه جنتك . ثم انصرفت .

لأعرابية فى رثاء ابنها

قال عبد الرحمن بن عمر : دخلت على امرأة من نجد بأعلى الأرض فى خباء لها ، وبين يديها بُنَيٌّ لها قد نزل به الموت ، فقامت إليه فأغمضتْه وعصبتْه وسجّته ، وقالت : ٢٠ يابن أخى . قلت : ما تشائين ؟ قالت : ما أحق من ألبس النعمة ، وأطيلت به النظرة ، أن لا يدع التوثق من نفسه قبل حل عقدته ، والحلول بعفو ربه ، والمحالة بينه وبين نفسه ! قال : وما يقطر من عينها دمعة ، صبراً واحتسابا . ثم نظرت إليه فقالت : والله ما كان مالُه لبطنه ، ولا أمرُه لِعرسه . ثم أنشدت :

رَحيبُ الذراعِ بالتى لا تَشِينُه • وإن كانت الفحشاء ضاق بها ذرْعا

عمر بن عبد العزيز على قبر ابنه

وقف عمر بن عبد العزيز على قبر ابنه عبد الملك فقال : رحمك الله يا بُنىّ ، فلقد كنت سارّا مولودا ، بارّا ناشئا ؛ وما أحب أنى دعوتك فأجبتنى !

ابن ذر وجنازة جار له

توفى رجل كان مُسرفا على نفسه بالذنوب ، فتجافى الناس جنازته ؛ فبلغ عمر بن ذرّ خبره ؛ فأوصى إلى أهله أنْ خذوا فى جهازه فإذا فرغتم فآذِنونى . ففعلوا ، وشهده عمر بن ذرّ وشهده الناس معه ، فلما فرغ من دفنه وقف عمر ابن ذرّ على قبره فقال : يرحمك الله أبا فلان ! فلقد صحبت عُمرك بالتوحيد ، وعفّرْت لله وجهك بالسجود ، فإن قالوا : مذنب وذو خطايا ! فمن منا غير مذنب وغير ذى خطايا !

جارية على قبر أبيها

سمع الحسن من جارية واقفة على قبر أبيها وهى تقول : يا أبت مثلَ يومك لم أرَه ! قال : الذى ـ والله ـ لم يَرَ مثلَ يومه أبُوك !

خصى للوليد على قبره

وسمع عمر بن عبد العزيز خصيًّا للوليد بن عبد الملك واقفاً على قبر الوليد وهو يقول : يا مولاى ، ماذا لقينا بعدك ! فقال له عمر : أما والله لو أُذن له فى الكلام لأخبَر أنه لقى بعدكم أكثر مما لقيتم بعده .

معاوية على قبر أخيه

وقف معاوية على قبر أخيه عتبة فدعا له وترحم عليه ، ثم التفت إلى من معه فقال : لو أنّ الدنيا بُنيت على نسيان الأحبة ما نسيت عتبة أبدا .

المراثى

من رثى نفسه ووصف قبره وما يكتب على القبر

لابن خذاق

قال ابن قتيبة بلغنى أنّ أوّل من بكى على نفسه وذكر الموت فى شعره : يزيد ابن خَذّاق فقال :

هل للفتى من بنات الدهر مِن راقِ • أم هل له من حِمام الموت مِن واقى

قد رجّلونِى وما بالشّعر من شعَثٍ • وألبَسونِى ثيـاباً غير أخلاق

وطيَّبونى وقالوا أيُّما رجلٍ ! ٭ وأدرجونى كأنى طىُّ مِخراقِ
وأرسلوا فِتيةً من خيرهم حسَباً ٭ ليُسنِدوا فى ضريح القبر أطباقى
وقسَّموا المالَ وارفضَّت عوائدهم ٭ وقال قائلُهم ماتَ ابنُ خذّاق !
هوِّن عليك ولا تُولَع بإشفاق ٭ فإنما مالُنا للوارث الباقى

٥ وقال ابن ذؤيب الهذلى يصف حفرته :

مطأطأةٌ لم يَنبِطوها وإنما ٭ ليرضَى بها فُرّاطُها ، أمّ واحدِ
قضوْا ما قضوْا من رمِّها ثم أقبلوا ٭ إلىّ بِطاءَ المشْى غُبْرَ السَّواعد
فكنتُ ذَنوبَ البئر لمّا تلحّبتْ ٭ وأُدرِجتُ أكفانى ووُسِّدتُ ساعدى

لعروة بن حزام

وقال عروة بن حِزام لما نزل به الموت :

١٠ مَن كان من أخواتى باكياً أبداً ٭ فاليومَ ، إنى أُرانى اليومَ مقبوضا
يُسْمِعْنَيه فإنى غيرُ سامعه ٭ إذا علوْتُ رقابَ القوم معْروضا

الطرماح

وقال الطرمّاح بن حكيم :

فيا ربِّ لا تَجعل وفاتِى إن أتتْ ٭ على شَرْجَعٍ يُعلَى بدُكْنِ المَطارِفِ
ولكنْ شهيداً ثاوياً فى عصابة [1] ٭ يُصابُون فى فجٍّ من الأرض خائف
١٥ إذا فارقوا دنياهم فارَقوا الأذَى ٭ وصاروا إلى موعودِ ما فى الصحائف
فأقتَلُ قعْصاً ثم يُرمَى بأعظُمى ٭ مُفرَّقةً أوصالُها فى التَّنائف
ويُصبح لحمِى بطنَ طيرٍ مَقيلُهُ ٭ بجوِّ السماء فى نُسورٍ عَواكف

لابن الريب

وقال مالك بن الرَّيب : يرثى نفسه ويصف قبره ـ وكان خرج مع سعيد ابن عثمان بن عفان . لما ولى خراسان ، فلما كان ببعض الطريق أراد أن
٢٠ يلبس خفه ، فإذا بأفعى فى داخلها ، فلسعته ، فلما أحس بالموت استلقى على قفاه . ثم أنشأ يقول :

دعانى الهوَى من أهل أُودَ وصُحبتى ٭ بذِى الطَّبَسَيْن فالتفتُّ ورائيا
فما راعَنى إلا سوابقُ عَبْرةٍ ٭ تقنّعتُ منها أن أُلامَ رِدائيا

(١) فى بعض الأصول : « ولكن أجز يومى شهيداً وعصبة » .

ألم ترَنى بِعتُ الضلالة بالهدى * وأصبحتُ فى جيشِ ابن عفّان غازيا
فلله درّى حين أترُك طائعاً * بنِىَّ بأعلى الرَّقمتين وماليا
ودَرُّ الكبيرَين اللذَين كلاهُما * علىَّ شفيقٌ ناصحٌ قد نهانِيا
ودَرُّ الظِّباءِ السّانحاتِ عشيَّةً * يُخبِّرن أنى هالكٌ من أماميا
تقول آبنتى لمّا رأت وشْكَ رحلتى * سِفَارُك هذا تاركى لا أباليا ٥
ألا ليت شِعْرى هل بكتْ أمُّ مالكٍ * كما كنتُ لو عالَوْا نَعيَّك باكيا
إذا مِتُّ فاعتادِى القبور وسلِّمى * عليهنّ أُسقين السّحاب الغَواديا
ترىْ جدَثاً قد جرّت الريح فوقه * تُراباً كسَحق المَرْنبانىِّ هابيا
فيا صاحبَى رَحْلى دنا الموتُ فاحفِرا * برابِيَةٍ إنى مُقيمٌ لياليا
وخُطّا بأطراف الأسِنَّة مَضجعى * ورُدّا على عَينَىَّ فضلَ رِدائيا ١٠
ولا تحسُدانى بارك الله فيكما * من الأرض ذات العَرْض أنْ تُوسِعاليا
خذانى فجُرّانى ببردى إليكما * فقد كنتُ قبل اليوم صَعْباً قِياديا
تفقّدْت من يَبكى علىَّ فلم أجد * سوى السَّيفِ والرُّمح الرُّدَينىِّ باكيا
وأدهَم غِربيبٍ يَجُرُّ لجامَه * إلى الماء لم يَترك له الموْت ساقيا
وبالرَّمْل لو يَعلمْنَ عِلْمِىَ نسوةٌ * بكَيْنَ وفدَّين الطَّبيب المُداويا ١٥
عجوزِى وأُختاىَ اللّتان أُصِبْنا * بموتِى وبنتٌ لى تَهيج البواكيا
لعَمْرى لئن غالت خُراسانُ هامَتى * لقد كنت عن بابَىْ خُراسانَ نائيا
تحمَّل أصحابى عِشاءً وغادروا * أخا ثقَةٍ فى عَرْصَةِ الدّار ثاويا
يقولون لا تَبْعَد وهُمْ يَدْفِنوننى * وأين مكانُ البُعْد إلا مكانيا

لأفنون فى بكاء نفسه

وقال رجل من بنى تغلب يقال له أُفنون ، وهو لقبه ، واسمه صُرَيم بن مَعشَر ٢٠
ابن ذهل بن تيم بن عمرو بن مالك بن حبيب بن عمر بن غَنْم بن تغلب ، ولقى كاهنا فى الجاهلية ، فقال له : إنك تموت بمكان يقال له إلاهة . فمكث ماشاء الله ، ثم سافر فى ركب من قومه إلى الشام فأتوها ، ثم انصرفوا فضلوا الطريق ،

فقالوا لرجل : كيف نأخذ؟ فقال : سيروا حتى إذا كنتم بمكان كذا وكذا ظهر لكم الطريق ورأيتم إلاهة ـ وإلاهة قارَة بالسماوة ـ فلما أتوها نزل أصحابه وأبى أن ينزل ؛ فبينما ناقته ترتعي وهو راكبها إذ أخذت بمشفر ناقته حية ، فاحتكت الناقة بمشفرها فلدغت ساقه ، فقال لأخيه وكان معه ، واسمه معاوية : احفر لى فإنى ميتٌ ثم تغنّى قبل أن يموت يبكى نفسه :

لستُ على شيءٍ ، فرُوحَنْ مُعاويا ٭ ولا المشفِقاتُ إذْ تبِعْنَ الحَوازِبا

ولا خيرَ فيما كذَّبَ المرْءُ نفسهُ ٭ وتقوالِه للشيء ياليتَ ذا ليا

وإنْ أعجبتْكَ الدَّهرَ حالٌ منَ امرئٍ ٭ فدعْهُ وواكِل حالهُ والليالِيا

يرحْنَ عليه أو يُغيِّرْنَ ما به ٭ وإن لم يكُنْ فى خوْفِه العيْشِ وانِيا

فَطأْ مُعرِضاً إنّ الحُتُوفَ كَثيرةٌ ٭ وإنك لا تُبقى بنفسِكَ باقيا

لَعَمْرُكَ ما يَدرى امرُؤٌ كيف يتّقِى ٭ إذا هو لم يجْعل لهُ اللهُ واقيا

كفى حزَناً أن يرحلَ الرَّكبُ غُدوةً ٭ وأُترك فى أعلى إلاهَةَ ثاويا

قال : فمات فدفنوه بها .

هدبة العذرى

وقال هدبة العذرى لما أيقن بالموت :

ألا علِّلانى قبلَ نوحِ النَّوائحِ ٭ وقبلَ اطِّلاعِ النفْسِ بين الجوانحِ

وقبل غدٍ يالهفَ نفسى على غدٍ ٭ إذا راحَ أصحابى ولست برائحِ

إذا راحَ أصحابى بفيضِ دُمُوعِهم ٭ وغودِرْتُ فى لحدٍ علىَّ صفائحى

يقولون هل أصلَحتمُ لأخيكمُ ٭ وما الرَّمْسُ فى الأرضِ القِواءِ بصالحِ

لمحمد بن بشير

وقال محمد بن بشير :

ويلٌ لمن لم يرحمِ اللهُ ٭ ومنْ تكُونُ النارُ مثواهُ

والويلُ لى من كلِّ يومٍ أتى ٭ يُذكرنى الموتَ وأنساهُ

كأنه قد قيل فى مجلسٍ ٭ قد كنت آتيه وأغشاه :

صار البشيرىُّ إلى ربِّهِ ٭ يرحمُنا اللهُ وإياه

لأبي العتاهية في أبيات أوصى أن تكتب على قبره

ولما حضرت أباالعتاهية الوفاةُ ، واسمه إسماعيل بن القاسم ، أوصى بأن يكتب على قبره هذه الأبيات الأربعة :

أُذنَ حيٍّ تسَمَّعى ❊ أسْمَعى ثم عِى وعِى
أنا رهْنٌ بمضْجعِى ❊ فاحْذَرى مثلَ مصرعِى
عشت تسعينَ حِجَّةً ❊ ثم وافيتُ مَضجعى ٥
ليس شىءٌ سوى التُّقى ❊ فخُذى منه أو دَعى

لبعض الشعراء في معارضته

وعارضه بعض الشعراء في هذه الأبيات ، وأوصى بأن يكتب على قبره أيضا فكُتبت وهى :

أصبح القبرُ مَضجعى ❊ ومحـلِّى وموضِعى
صرعَتْنى الحتُوفُ في الـ ❊ ـتُّربِ ياذُلَّ مَصرعى ١٠
أينَ إخوانى الذيـ ❊ ـنَ إليهْم تَطلُّعى
متُّ وحدى فلم يَمت ❊ واحِـد منهم مَعى

أبيات قيل إنها لأبي نواس

وُجد على قبر جارية إلى جنب قبر أبى نواس ثلاثة أبيات ؛ فقيل إنها من قول أبى نواس ، وهى :

أقولُ لِقـبرٍ زُرتُه مُتلثِّماً ❊ سقى الله بَرد العفْوِ صاحبة القبر ١٥
لقدغيَّبوا تحت الثرى قمرَ الدُّجى ❊ وشمسَ الضُّحى بين الصَّفائح والعفْر
عجبتُ لعينٍ بعْدها ملَّتِ البُكا ❊ وقلبٍ عليها يرتَجى راحةَ الصبْر

لأبي نواس

الرياشى قال : وجدتُ تحت الفراش الذى مات عليه أبو نواس رقعة مكتوب فيها هذه الأبيات :

يارِبِّ إنْ عظمَتْ ذُنوبى كثْرةً ❊ فلقَد علِمتُ بأنّ عَفوكَ أعْظمُ ٢٠
إنْ كان لا يَرْجوك إلا مُحسِنٌ ❊ فبِمن يلُوذُ ويستجيرُ المجرمُ
أدعوكَ ربِّ كما أمرتَ تضرُّعا ❊ فإذا رَدَدْت يدى فمَن ذا يرحَم
مالى إليكَ وسيلةٌ إلا الرجا ❊ وجَميلُ عفوِكَ ثم أنّى مُسلِم

أبيات على قبر الإيادى

الخشنى قال : أخبرنا بعض أصحابنا ممن كان يغشى مجلس الرياشى قال : رأيت على قبر أبى هاشم الإيادى بواسط :

المَوْتُ أخرجَنى من دار مملكتى ٭ والموتُ أضْرعَنى من بعد تشريفى

لله عبــدٌ رأى قبرى فأعبَرهُ ٭ وخاف من دهرِه ريْبَ التّصاريف

أبيات على قبر

٥ الأصمعى قال : أخذ بيدى يحيى بن خالد بن برمك فأوقفنى على قبر بالحيرة ، فإذا عليه مكتوب :

إنّ بَنى المُنذِر لمّا انْقضوْا ٭ بحيث شاد البِيعةَ الراهِبُ

تَنْفح بالمســك محاريبهم ٭ وعنــبَرٍ يَقْطبه قاطب

والخبزُ واللحمُ لهمْ راهنٌ ٭ وقهوةٌ راوُوقُها ساكِبُ

١٠ والقطنُ والكتّانُ أثوابُهم ٭ لم يَجلِب الصُّوف لهم جالبُ

فأصبحوا قوتاً لدود الثّرى ٭ والدهرُ لا يبقى له صاحبُ

كأنما حياتهم لُعبــةٌ ٭ سَرَى إلى بيْنٍ بها راكبُ

وقال أبو حاتم : بين : موضع من الحيرة على ثلاث ليال .

الشيبانى قال : وُجد مكتوباً على بعض القبور :

١٥ مَلَّ الأحبّة زَوْرتى فجُفيت ٭ وسكَنْت فى دار البِلَى فنسيت

الحيُّ يكذِب لا صديق لميّت ٭ لو كان يَصْدُق مات حين يموتُ

يامُؤنِساً سَكَن الثرى وبقيتُ ٭ لو كنتُ أصدُقُ إذ بليتَ بليتُ

أو كان يَعمى للبكاء مُفجَّعٌ ٭ من طول ما أبكى عليك عَميتُ

لمحمد بن عبد الله

وقال محمد بن عبد الله :

٢٠ وعما قليلٍ أن ترى باكياً لنا[1] ٭ سيَضحك من يبكى ويُعرِض عن ذكْرى

ترى صاحبى يبكى قليــلاً لِفُرقتى ٭ ويَضحك من طول اللّيالى على قبرى

ويُحــدِث إخواناً ويَنسَى مودّتى ٭ وتَشغَلُه الأحبابُ عنى وعن ذِكْرى

---

(١) فى بعض الأصول : « عنا قليل إن بكى لى لياليا » .

من رثى ولده

فمن قولى فى ولدى :

بَلِيَت عظامى والأسى يتجدَّدُ ◦ والصبر يَنفد والبكا لا يَنفدُ
يا غائبـاً لا يُرْتَجى لإيابِهِ ◦ ولقائه دون القيامةِ موْعدُ
ما كان أحسَن مُلْحداً ضُمِّنْته ◦ لو كان ضَمَّ أباك ذاك المُلْحدُ ٥
باليأس أسْلو عنك لا بتجلُّدِى ◦ هيهاتَ أين مِنَ الحزين تجلدُ

ومن قولى فيه أيضاً :

واكبِدا قد قُطِّعتْ كبِدى ◦ وحرَّقتها لواعِج الكمَدِ
مامات حىٌّ لميِّتٍ أسفاً ◦ أعذرُ مِن والدٍ على ولدِ
يا رحمةَ الله جاورى جدَثاً ◦ دَفنْتُ فيه حُشاشتى بيدى ١٠
ونوِّرى ظلمة القبور على ◦ من لم يصِلْ ظُلْمُهُ إلى أحدِ
من كان خِلْوا من كلِّ بائقةٍ ◦ وطيِّبَ الرُّوح طاهر الجسدِ
ياموتُ ، يحيى لقد ذهبت به ◦ ليس بزُمَّيلةٍ ولا نَكِدِ
يا موْته لو أقلْتَ عَثْرته ◦ يا يومَه لو تركْته لغَدِ
ياموتُ لو لم تكن تُعاجله ◦ لكان لا شكَّ بيْضة البلدِ ١٥
أو كنت راخيْت فى العِنان له ◦ حاز العُلا واحتوى على الأمدِ
أىّ حُسامٍ سَلَبت رونَقه ◦ وأىّ روحٍ سَللت من جسدِ
وأىّ ساقٍ قَطعْت من قدمٍ ◦ وأىّ كفٍّ أزلْت من عضُدِ
يا قمراً أجحَف الخُسوفُ به ◦ قبل بلوغ السواء فى العددِ
أىُّ حشًى لم يَذبْ له أسَفاً ◦ وأىُّ عيْنٍ عليه لم تجُدِ ٢٠
لا صبر لى بعده ولا جلَدَ ◦ فُجِعْت بالصبر فيه والجلَدِ
لو لم أمت عند موْته كمَداً ◦ لحقَّ لى أن أمُوت من كمَدى
يا لوْعةً لا يزال لاعِجُها ◦ يقدحُ نار الأسى على كبِدى

وقلت فيه أيضاً :

قَصد المنونُ له فمات فقيدا ٭ ومضى على صَرْفها الخطوبِ حميدا
بأبى وأُمى هالكا أفردْته ٭ قد كان فى كلِّ العلوم فريدا
سُودُ المقابر أصبحَت بِيضا به ٭ وغدتْ له بيضُ الضمائر سُودا
٥ لم نُرْزَه لمّا رُزينا وحده ٭ وإن استقلَّ به المنونُ وحيدا
لكن رُزينا القاسم بن محمدٍ ٭ فى فضلِه والأسودَ بن يزيدا
وابن المُبارَك فى الرّقائق مُخبِرا[1] ٭ وابن المُسيَّب فى الحديث سعيدا
والأخفَشيْن فَصاحةً وبلاغةً ٭ والأعْشيَيْن روايةً ونشيدا
كان الوصىَّ إذا أردتُ وصيّةً ٭ والمُستفادَ إذا طلبْت مُفيدا
١٠ ولّى حفيظاً فى الأذِمّة حافظاً ٭ ومضى ودوداً فى الورى مودودا
ما كان مِثْلى فى الرَّزيّة والدٌ ٭ ظفرَتْ يَداه بمثْلِه مولودا
حتى إذا بذَّ السّوابق فى العلا ٭ والعِلْم ضمَّن شِلْوه مَلْحودا
يا من يُفنِّد فى البكاء مُولّها ٭ ما كان يَسمع فى البكا تَفْنيدا
تأبى القلوبُ المستكينةُ للأسَى ٭ من أن تكون حجارةً وحديدا
١٥ إنّ الذى باد السُّرورُ بموْته ٭ ما كان حُزْنى بعده ليبيدا
ألآن لمّا أن حوَيْت مآثراً ٭ أعْيت عَدوًّا فى الورى وحسودا
ورأيت فيك من الصّلاح شمائلا ٭ ومن السّماح دلائلاً وشُهودا
أبكى عليك إذا الحمامةُ طَرّبتْ ٭ وجه الصّباح وغَرَّدتْ تغريدا
لولا الحياء وأنْ أُزَنَّ ببدعةٍ ٭ مما يُعدِّدُه الورى تعْديدا
٢٠ لجعلت يومَك فى المناتم مأتما ٭ وجعلت يومَك فى المواسم عِيدا

وقلت فيه أيضاً :

لابيْت يُسكَن إلّا فارَق السَّكَنا ٭ ولا امتلا فرحا إلّا امْتلا حَزنا

---

(١) فى بعض الأصول : « معمرا ».

لهفى على ميّت مات السرورُ به ٭ لو كان حيًّا لأحيا الدينَ والسُّنَنا
واهًا عليكَ أبا بكر مُرَدَّدَةً ٭ لو سكَّنت ولهاً أو فتّرتْ شجنَا
إذا ذكرْتُك يوماً قلتُ واحزنا ٭ وما يَرُدُّ عليك القولُ واحزنَا
يا سيِّدِى ومراحَ الروحِ فى جسدى ٭ هلّا دنا الموتُ مِنّى حين منك دنا!
حتى يعود بنا فى قعرِ مُظلِمة ٭ لَحْدٌ ويُلبِسنا فى واحدٍ كفَنا ٥
يا أطيبَ الناس روحا ضمَّهُ بدنٌ ٭ أستودِعُ اللهَ ذاك الروحَ والبَدنا
لو كنتُ أُعطَى به الدُّنيا مُعاوَضة ٭ منه لَمَا كانتِ الدنيا له ثمنَا

لأبى ذؤيب فى رثاء بنيه

وقال أبو ذؤيب الهذلى ، وكان له أولاد سبعة فماتوا كلهم إلا طفلا ، فقال يرثيهم :

أَمِنَ المنونِ ورَيْبِهِ تتوجَّعُ ٭ والدهرُ ليس بمُعْتِبٍ مَنْ يَجزَعُ ١٠
قالت أُمامةُ ما لِجِسْمِك شاحِباً ٭ مُنْذُ ابتُذلتَ ومثلُ مالِكَ ينفعُ
أم ما لِجِسْمكَ لا يُلائِم مَضجعاً ٭ إلّا أقضّ عليك ذاك المضجعُ
فأجبْتُها أنْ ما لجِسْمِيَ إنهُ ٭ أودَى بَنِيّ من البلادِ فودَّعُوا
أودَى بَنِيّ وأعقبونى حسْرَةً ٭ بعدَ الرُّقادِ وعَبْرةً ما تُقْلِعُ
سبقوا هوَىّ وأعنَقوا لِهَواهُمُ ٭ فتُخُرِّموا ولِكلّ جنبٍ مصْرَعُ ١٥
فبقيتُ بعدَهُمُ بعيْشٍ ناصِبٍ ٭ وإخالُ أنى لاحِقٌ مُستتبِعُ
ولقد حرِصتُ بأن أُدافِعَ عنهُمُ ٭ وإذا المنِيَّةُ أقبلتْ لا تُدفَعُ
وإذا المنِيَّةُ أنشبتْ أظفارَها ٭ ألفيْتَ كلَّ تَميمَةٍ لا تنفَعُ
فالعينُ بعدَهُمُ كأنّ حِداقَها ٭ سُمِلتْ بشوْكٍ فهىَ عورًا تدمَعُ
حتى كأنى للحوادِثِ مَرْوَةٌ ٭ بِصَفا المُشَرّقِ كلَّ يومٍ تُقْرَعُ ٢٠
وتَجلُّدِى للشَّامِتِين أُرِيهِمُ ٭ أنى لِرَيْبِ الدهرِ لا أتضعْضَعُ

ولهُ فى طفله

وقال فى الطفل الذى بقى له :

والنفسُ راغِبةٌ إذا رغّبْتَها ٭ وإذا تُرَدُّ إلى قليلٍ تقْنعُ

وقال الأصمعي : هذا أبدع بيت قالته العرب .

لأعرابي في رثاء بنيه

وقال أعرابيّ يرثي بنيه :

أسُكّان بطن الأرض لو يُقبلُ الفِدَا * فدَيْنا وأعطينا بكُمْ ساكِنِي الظَّهْرِ

فيالَيْتَ مَن فيها عليها وليتَ مَنْ * عليها ثوَى فيها مُقِيمًا إلى الحشْرِ

٥ وقاسَمَني دهري بَنِيَّ بشطره * فلما تقضَّى شطْرُهُ مال في شطري

فصاروا دُيوناً لِلْمنايا ولم يكُن * عليهم لها دَيْنٌ قضوْهُ على عُسرِ

كأنهُمُ لم يعرِفِ الموتُ غيرهُم * فثُكلٌ على ثُكلٍ وقبرٌ إلى قبرِ

وقد كنتُ حيَّ الخوفِ قبل وفاتهم * فلما تُوفُّوا مات خوفي من الدهرِ

فلله ما أعطَى ولله ما حوَى * وليس لِلأيَّامِ الرَّزِيَّةِ كالصَّبْرِ

لأعرابية في رثاء ابنها

١٠ وقيل لأعرابية مات ابنها : ما أحسنَ عزاءَك ؟ قالت : إن فقدي إياه آمنني كل فقد سواه ، وإن مصيبتي به هونت عليّ المصائب بعده ! ثم أنشأتْ تقول :

مَن شاء بعدكَ فليمُتْ * فعليكَ كنتُ أحاذِرُ

كنتَ السَّواد لناظِري * فعمِي عليكَ النَّاظرُ

ليت المنازلَ والدِّيا * رَ حفائرٌ ومقابرُ

١٥ إني وغيرِيَ لا محا * لةَ حيثُ صِرتَ لصائرُ

للحسن بن هانئ

أخذ الحسن بن هانئ معنى هذا البيت الأول ، فقال في الأمين :

طوَى الموتُ ما بيني وبين مُحمَّدٍ * وليس لِمَا تطوِي المنيَّةُ ناشِرُ

وكنتُ عليه أحذرُ الموتَ وحدهُ * فلم يبقَ لي شيءٌ عليهِ أحاذرُ

لئن عمرَتْ دورٌ بمن لا أُحبُّه * لقد عمرَتْ مِمن أُحِبُّ المقابِرُ

لابن الأهتم يرثي ابنا له

٢٠ وقال عبد الله بن الأهتم يرثي ابناً له :

دعوْتُك يا بُنيَّ فلم تُجِبني * فرُدَّت دعوَتي يأساً عليَّا

بموتك ماتتِ اللَّذاتُ مِني * وكانت حيَّةً مادمتَ حيَّا

فيا أسفا عليكَ وطولَ شوقي * إليك لوَ انَّ ذلك ردَّ شيَّا

لأبي العتاهية في رثاء ابن له

وأصيب أبو العتاهية بابن له فلما دفنه وقف على قبره وقال :

كفى حُزناً بِدَفنك ثم إنى • نفضت تُرابَ قبرِك من يَدَيا
وكنتَ وفى حياتِك لى عِظاتٌ • فأنت اليومَ أوعظُ منك حيًّا

لأعرابي في رثاء ابن له

ومات ابنٌ لأعرابيّ فاشتد حزنه عليه ، وكان الأعرابيّ يكنى به ، فقيل له : لو صبرت لكان أعظمَ لثوابك ! فقال : ٥

بأبى وأُمّى مَن عبأتُ حَنوطهُ • بيَدى وفارقنى بماء شبابِهِ
كيفَ السُّلوُّ وكيف أنسَى ذكرَهُ • وإذا دُعيتُ فإنما أُدعَى بِهِ

عمر بن الخطاب وأعرابي فقد ابناً له

خرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوماً إلى بقيع الغرقد ، فإذا أعرابي بين يديه ، فقال : يا أعرابى ، ما أدخلك دار الحق ؟ قال : وديعة لى ها هنا منذ ثلاث سنين . قال : وما وديعتك ؟ قال : ابن لى حين ترعرع فقدته فأنا أندبه ! قال عمر : أسمعنى ما قلت فيه . فقال : ١٠

يا غائباً ما يئوبُ من سفَرهْ • عاجَلهُ موتُهُ على صِغرِهْ
يا قُرَّةَ العيْنِ كنتَ لى سكناً • فى طولِ ليلى نعمْ وفى قِصَرِه
شربتَ كأساً أبوك شاربُها • لابُدَّ يوماً له على كِبَرِه
أشرَبُها والأنامُ كُلهُمُ • مَن كان فى بدْوِه وفى حضَرِه ١٥
فالحمْــدُ لله لا شريك له • الموتُ فى حُكمِهِ وفى قدَرِه
قد قسمَ الموتَ فى الأنامِ فما • يقدِرُ خلْقٌ يزيد فى عُمُرِه

قال عمر : صدقت يا أعرابى ، غير أن الله خيرٌ لك منه !

المنصور وشعر لمطيع حين مات ولده

الشيبانى قال : لما مات جعفر بن أبى جعفر المنصور ، اشتد عليه حزنه . فلما فرغ من دفنه التفت إلى الربيع فقال : ياربيع ، كيف قال مُطيع بن إياس فى يحيى بن زياد ؟ فأنشد : ٢٠

يا هل دواء[1] لِقلبى القرِحِ • وللدُّموعِ الذَّوارفِ السُّفحِ

(١) فى بعض الأصول : « يا أهل بكريه ».

راحوا بِيَحْيي ولو تطاوعُني الـ * ـأقدارُ لم تبتكِر ولم يَرُح

يا خير من يَحْسُنُ البكاء به الـ * ـيومَ ومن كان أمس للمدَح

قد ظفِر الحزنُ بالسُّرور وقدْ * ألَمَّ مكروهُهُ مَنَ الفرج

لأعرابية تندب ابنها

وقالت أعرابية تندب ابنا لها :

٥ أبُنيَّ غيَّبك المحـلُّ المُلْحدُ * إمَّا بعُدتَ فأين من لا يبعُد

أنت الذى فى كلِّ مُمسَى ليلةٍ * تبلَى وحُزنك فى الحشا يتجدَّدُ

وقالت فيه :

لئن كنت لى لهْواً لعيْنٍ وقرَّةً * لقدصِرْت سُقماً للقلوبِ الصَّحائح

وهوَّنَ حُزنى أنْ يومك مُدْركى * وأنى غداً من أهلِ تلك الضَّرائحِ

لأبى الخطار فى رثاء ابنه

١٠ وقال أبو الخطَّار يرثى ابنه الخطار :

ألا خبرانى بارك الله فيكما * متى العهدُ بالخطار يافتيانِ

فتًى لا يرى نومَ العشاء غنيمةً * ولا ينثنى من صولةِ الحدثانِ

لجرير يرثى ولده سوادة

وقال جرير يرثى ولده سوادة :

قالوا نصيبَك من أجرٍ فقلتُ لهم * كيف العزاء وقد فارقتُ أشبالى

١٥ ذاكمْ سوادَةُ يجلو مُقلتَىْ لَحِم * بازٍ يُصرصِرُ فوق المرقَبِ العالى

فارقتُه حينَ غضَّ الدهرُ من بصرى * وحينَ صِرتُ كعظمِ الرِّمَّةِ البالى

لأبى الشغب فى ابنه

وقال أبو الشغب يرثى ابنه شغبا :

قد كان شَغْبٌ لوَ أنَّ اللهَ عمَّرَهُ * عِـزًّا تُزادُ به فى عِـزِّها مُضَرُ

ليت الجبالَ تداعت قبلَ مصرَعِه * دكًّا فلم يبقَ من أحجارِها حجَرُ

٢٠ فارقتُ شغْباً وقد قوَّستُ من كِبرٍ * بئسَ الخليطانِ طولُ الحزنِ والكِبَرُ

لابن عبد الأعلى فى رثاء أيوب ابن سليمان

ولما توفى أيوب بن سليمان بن عبد الملك فى حياة سليمان ، وكان ولىَّ عهده وأكبرَ ولده ؛ رثاه ابن عبد الأعلى وكان من خاصته ، فقال فيه :

ولقد أقولُ لذِى الشَّماتةِ إذرأى * جزعِى ومن يذُق الحوادثَ يجزَع

أَبشِرْ فقد قرَعَ الحوادثُ مَرْوَتِى ٭ وافْرَحْ بمَرْوَتِكَ التى لم تُقْرَعِ

إن عِشْتَ تُفجَعْ بالأحِبَّةِ كلِّهم ٭ أوْ يُفْجَعوا بك إن بهمْ لم تُفجعِ

أيوبُ امَنْ يشمَتْ بموتِكَ لم يُطِقْ ٭ عن نفسه دَفْعاً وهل من مَدْفَعِ ؟

لأب فى رثاء ابنه

الأصمعى عن رجل من الأعراب قال : كنا عشرة إخوة ، وكان لنا أخ يقال له حسن . فنُعى إلى أبينا ، فبقى سنتين يبكى عليه حتى كُفَّ بصره ؛ وقال فيه :

٥

أفْلَحتُ إن كان لم يَمُتْ حسنُ ٭ وكَفَّ عنى البكاءُ والحزَنُ

بل أكْذَبَ اللهُ مَن نَعَى حسناً ٭ ليس لتكذيب قولِه ثمَنُ

أجول فى الدارِ لا أراك وفى الـ ٭ ـدارِ أُناسٌ جوارُهم غَبَن

بُدِّلْتُهم منكَ ليتَ أنهمُ ٭ كانوا وبينى وبينهُمْ مُدُن

قد عَلِموا عند ما أنافِرُهم ٭ ما فى قتالى صَدْعٌ ولا أبن

١٠

قد جرَّبونى فما أُلاوِمُهم ٭ ما زال بينى وبينهم إحَنُ

فقد برى الجسمَ مُذْ نُعيتَ لنا ٭ كما بَرَى فرعَ نَبْعةٍ سَفَن

فإن تَعِشْ فالمُنَى حياتُك والـ ٭ ـخُلْدُ وأنتَ الحديث والوَسَن

إنْ تَحىَ تحيا بخيرِ عيشٍ وإنْ ٭ تَمْضِ فتلك السبيلُ والسُّنَن

يَرِدْكَ الحمدُ والسلامُ معاً ٭ فكلُّ حىٍّ بالموتِ مُرْتَهن

١٥

ياوَيْحَ نفسى إن كنتَ فى جَدَثٍ ٭ دونَك فيه الترابُ والكفَن

علىَّ لله إنْ لقيتُك من ٭ قبْلِ المماتِ الصيامُ والبُدُن

أسوقُها حافياً مُجَلَّلةً ٭ أدْماً هِجاناً قد كظَّها السِّمَن

فلا نُبالى إذا بَقيتَ لنا ٭ من ماتَ أو منْ أوْدى به الزمن

كنتَ خليلى وكنتَ خالِصتى ٭ لكلِّ حىٍّ من أهلِه سَكَن

٢٠

لا خيرَ لى فى الحياة بعدَكَ إنْ ٭ أصبحتَ تحتَ الترابِ ياحسنُ

لأعرابى فى رثاء ابنه

وقال أعرابى يرثى ابنه :

ولما دعوتُ الصبرَ بعدكَ والأسى ٭ أجاب الأسى طوْعاً ولم يُجِبِ الصبرُ

فإن ينقطِعْ منكَ الرجاء فإنه ٭ سيَبْقَى عليك الحُزْنُ ما بَقِيَ الدهر

وقال أعرابى يرثى ابنه :

بُنَىَّ لئن ضَنَّتْ جُفونٌ بمائها ٭ لقد قرِحتْ منى عليكَ جُفونُ

دَفنْتُ بكَفِّى بعضَ نفسى فأصبحتْ ٭ وللنفس منها دافِنٌ ودَفين

٥ وهذا نظير قولى فى طفل أصيب به :

لابن عبد ربه فى طفل له

على مِثلِها من فَجْعةٍ خانكَ الصبرُ ٭ فِراقِ حبيبٍ دون أَوْبَتِه الحَشْرُ

ولِى كَبِدٌ مشطورةٌ فى يَدِ الأسى ٭ فتَحتَ الثَّرى شَطْرٌ وفوقَ الثرى شَطْرُ

يقولون لى صَبِّرْ فؤادَكَ بعدَه ٭ فقلت لهم مالى فؤاد ولا صَبْر

فُرَيخٌ من الُحمْرِ الحواصلِ ما اكتَسَى ٭ من الريشِ حتى ضَمَّه الموتُ والقبر

١٠ إذا قلت أَسْلو عنه هاجت بَلابِل ٭ يُجدِّدُها فكرٌ يُجددُه ذِكر

وأنظرُ حولى لا أرى غيرَ قبْرِه ٭ كأنّ جميعَ الأرضِ عندى له قَبْر

أفَرْخَ جِنانِ الُخلْدِ طِرْت بمُهْجَتى ٭ وليس سوى قعْرِ الضريح لها وَكْر

وقالت أعرابية ترثى ولدها :

لأعرابية فى ولد لها

ياقرحةَ القلبِ والأحشاءِ والكبِدِ ٭ ياليت أُمَّكَ لم تَحْبَلْ ولم تَلِدِ

١٥ لما رأيتُكَ قد أُدْرِجت فى كفَنٍ ٭ مطيَّباً للمنايا آخِرَ الأبَد

أيْقنْتُ بَعدَكَ أَنّى غيرُ باقيةٍ ٭ وكيفَ يبقى ذِراعٌ زال عن عضُدِ

لأعرابى فى ابنين له

توفى ابنٌ لأعرابى فبكى عليه حينا ، فلما همّ أن يسلو عنه توفى له ابن آخر ، فقال فى ذلك :

إنْ أُفِقْ من حزَنٍ هاج[١] حَزَنْ ٭ ففؤادى ماله اليوم سَكَنْ

٢٠ وكما تَبْلَى وجوهٌ فى الثَّرى[٢] ٭ فكذا يَبْلَى عليهنّ الحَزن

(١) فى بعض الأصول : « جاء » .

(٢) فى بعض الأصول : « البلى » .

وقال فى ذلك :

عيون قد بكينك موجعات ⁕ أضرّ بها البكاء وما بَقينا
إذا أنفذنَ دمعاً بعد دمعٍ ⁕ يُراجعْن الشئون فيستقينا

أبو عبيد البجلى قال : وقفت أعرابية على قبر ابن لها يقال له عامر ، فقالت :

أقمتَ أبكيه على قبره ⁕ مَن لىَ مِن بعدك يا عامرُ ٥
تركتنى فى الدار لى وحشةٌ[1] ⁕ قد ذلّ مَن ليس له ناصر

وقالت فيه :

هو الصبر والتسليمُ لله والرضا ⁕ إذا نزلتْ بى خطة لا أشاؤها
إذا نحن أُبنا سالمين بأنفسٍ ⁕ كرامٍ رَجت أمراً فخاب رجاؤها
فأنفُسُنا خير الغنيمة إنها ⁕ تئوب ويبقى ماؤها وحياؤها ١٠
ولا برَّ إلا دون ما برَّ عامر ⁕ ولكنّ نفساً لا يَدوم بقاؤها
هو ابنىَ أمسَى أجرُه لى وعزّنى ⁕ على نفسه رب إليه ولاؤها
فإن أحتسبْ أوجرْ وإن أبكِهِ أكن ⁕ كباكيةٍ لم يُحْىِ ميتاً بُكاؤها

لهذيلية فى رثاء إخوة وابن

الشيبانى قال : كانت امرأة من هذيل ، وكان لها عشرة إخوة وعشرة أعمام : فهلكوا جميعاً فى الطاعون ؛ وكانت بكراً[2] لم تتزوج ؛ فخطبها ابن عم له فتزوجها . ١٥ فلم تلبث أن اشتملت على غلام فولدته ، فنبت نباتاً كأنما يُمدّ بناصيته وبلغ ، فزوجته وأخذتْ فى جهازه ، حتى إذا لم يبق إلا البناء أتاه أجله ، فلم تشقّ لها جيبا ، ولم تدمع لها عين ؛ فلما فرغوا من جهازه دُعيت لتوديعه ، فأكبّت عليه ساعة ، ثم رفعت رأسها ونظرت إليه وقالت :

ألا تلك المَسرّة لا تدومُ ⁕ ولا يبقى على الدهر النعيمُ ٢٠
ولا يبقى على الحدثان غُفْر ⁕ بشاهقةٍ له أمٌّ رَءوم

(١) فى بعض الأصول « ذا وحشة » .
(٢) فى بعض الأصول « بنتا » .

ثم أكبت عليه أخرى ، فلم تقطع نحيبها حتى فاضت نفسها ، فدفنا جميعا .

لشيبانية في حزنها على أهلها

خليفة بن خيّاط قال : ما رأيت أشدّ كمداً من امرأة من بني شيبان ، قُتل ابنها وأبوها وزوجها وأمها وعمتها وخالتها مع الضحاك الحروريّ ؛ فما رأيتها قطُّ ضاحكة ولا متبسمة حتى فارقت الدنيا ، وقالت ترثيهم :

٥ مَن لقلبٍ شفَّه الحزَنُ * ولنفسٍ مالها سكَنُ

ظعَنَ الأبرارُ فانقلَبوا * خيرُهم من معشرٍ ظعنوا

معْشرٌ قضَّوْا نُحُوبَهم * كلُّ ما قد قدّموا حسَن

صبَروا عند السُّيوف فلم * ينكِلوا عنها ولا جبُنوا

فِتيــةٌ باعوا نفوسَهمُ * لا ، وربِّ البيت ما غُبِنوا

١٠ فأَصاب القومُ ماطلبوا * مِنّــة ما بعــدها منَن

لابن ثعلبة في ولد له

وقال عبد الله بن ثعلبة يرثى ولدا له :

أأخضِبُ رأسي أم أُطيِّب مَفْرِقى * ورأسُك مرْمُوسٌ وأنت سَليبُ

نَسيبُك مَن أمسَى يُناجيك طرْفه * وليس لمن تحت التراب نسيب

غريبٌ وأطراف البيوت تُكنُّه * ألا كلُّ مَن تحت التراب غريب

للعتبي في مثله

١٥ قال العتبي محمد بن عبيد الله يرثى ابنا له :

أضحت بخدّى للدموع رُسومُ * أسَفاً عليك وفى الفؤاد كُلُومُ

والصبرُ يُحمد فى المواطن كلّها * إلا عليــك فإنه مذموم

لأب في رثاء ابنه

خرج أعرابىّ هارباً من الطاعون ، فبينما هو سائر إذ لدغته أفعى فمات ؛ فقال أبوه يرثيه :

٢٠ طاف يَبغى نَجوة * مِن هلاكٍ فهلكْ

والمَنايا رَصــد * للفتى حيث سَلكْ

ليت شعْرى ضَلّةً * أىُّ شىء قتلك

كلُّ شىء قاتلٌ * حين تلقى أجَلك

لأبى العتاهية فى رثاء الأمين

لما قتل عبد الله المأمون أخاه محمد بن زُبيدة ، أرسلت أمه زبيدة ابنة جعفر إلى أبى العتاهية يقول أبياتا على لسانها للمأمون ، فقال :

ألا إنّ ريْب الدهر يُدْنِى ويُبعِدُ ۞ وللدهر أيامٌ تُذَمّ وتُحْمَدُ

أقولُ لريْب الدهر إنْ ذهبتْ يَد ۞ فقـدْ بقيت والحمد لله لى يَد

إذا بقِى المأمونُ لى فالرشيد لى ۞ ولى جعفرٌ ، لم يَهلِكا ، ومحمد ٥

وكتبتْ إليه من قوله :

لخيرِ إمامٍ قام من خير معْشر ۞ وأكْرمِ بسَّامٍ على عود منْبَرِ

كتبتُ وعينى تستَهِلُّ دموعها ۞ إليك ابن عمى من دموعى[1] وتَحجرى

فجعنا بأدْنَى الناس منك قرابةً ۞ ومَن زلَّ عن كَبِدى فقلَّ تَصبُّرى

أتى طاهرٌ لا طهَّر اللهُ طاهراً ۞ وما طاهرٌ فى فعـله بمُطَهَّر ١٠

فأبرَزَنى مكشوفةَ الوجه حاسراً ۞ وأنْهبَ أموالى وخرّب أدْوُرى

وعزَّ على هارونَ ما قد لقيتُه ۞ وما نابَنى من ناقص الخلْق أعور

فلما نظر المأمون إلى كتابها وجه إليها بحباء جزيل ، وكتب إليها يسألها القدوم عليه ، فلم تأته فى ذلك الوقت وقبلت منه ما وجّه به إليها ؛ فلما صارت إليه بعد ذلك قال لها : مَن قائل الأبيات ؟ قالت : أبو العتاهية . قال : وكم أمرت له ؟ ١٥ قالت : عشرين ألف درهم . قال المأمون : وقد أمَرنا له بمثل ذلك . واعتذر إليها من قتل أخيه محمد ، وقال لها : لست صاحبَه ولا قاتله . فقالت : ياأمير المؤمنين ، إن لكما يوما تجتمعان فيه ، وأرجو أن يغفر اللهُ لكما إن شاء الله .

لأبى شأس فى رثاء ابنه

أبو شأس يرثى ابنه شأسا :

وربَّيتُ شأساً لرَيب الزمان ۞ فلله تربيـتى والنصَبْ ٢٠

فليتك ياشأس فيمن بقِى ۞ وكنتُ مكانك فيمن ذهبْ !

---

(١) فى بعض الأصول : « جفونى » .

من رثى إخوته

متمم بن نويرة

الرياشىّ قال : صلى مُتمّم بن نُويرة الصبح مع أبى بكر الصدّيق رضى الله تعالى عنه ، ثم أنشد :

نِعم القتيلُ إذا الرِّياح تَناوحتْ ٭ بين(١) البيوت قتَلت يابنَ الأزْوَرِ

٥ أَدعوْتَه بالله ثم قتلتَــه ٭ لو هو دعاك بذمّةٍ لم يغــدِرِ

لا يُضمِر الفحشاء تحت ردائِه ٭ حُلوٌ شمـائلُه عفيف المِئْزر

قال : ثم بكى حتى سالت عينه العوراء . قال أبو بكر : ما دعوته ولا قتلته .

وقال متمم :

ومُستضحكٍ منى ادّعى كمصيبتى ٭ وليس أخو الشجْو الحزينُ بضاحكِ

١٠ يقولُ أتبكى من قبورٍ رأيتَها ٭ لقبرٍ بأطراف اللّوى فالدَّكادك

فقلتُ له إن الأسى يبعثُ الأسى(٢) ٭ فدعْنى فهــذى كلُّها قبر مالك

وقال متمم يرثى أخاه مالكا ، وهى التى تسمَّى أمّ المراثى :

لعَمرى وما دهرى بتأبين هالكٍ(٣) ٭ ولا جــزعٍ ممـا ألمَّ فأوجعا

لقد غيَّب المِنْهال تحت ردائِه ٭ فتًى غير مِبْطان العشيّات أروعا

١٥ ولا بَرِما تُهدِى النساء لعِرْسه ٭ إذا القشْع من برد الشتاء تقعْقعا

تَراه كنصْل السيف يَهتزُّ للنَّدى ٭ إذا لم تجد عند آمرئ السُّوءِ مطمعا

فعينَىّ هلّا تبكيان لمالكٍ ٭ إذا هزّت الرِّيح الكَنيف المُرفَّعا(٤)

وأرملةٍ تدعو بأشعث مُحْثَـلٍ ٭ كفرْخ الحبارَى ريشُه قد تمزَّعا

وما كان وقّافا إذا الخيْل أحجمتْ ٭ ولا طالباً من خشيةِ الموت مفزعا

---

٢ (١) فى بعض الأصول : « تحت » .

(٢) فى بعض الأصول : « يبعث البكا » .

(٣) فى بعض الأصول : « مالك » .

(٤) فى بعض الأصول : « الكثيب الممزعا » .

ولا بكهامٍ سيفُه عن عدوِّه ٭ إذا هو لاقى حاسِراً أو مقنَّعا
أبَى الصبرُ آياتٍ أراها وإننى ٭ أرى كلَّ حبلٍ بعدَ حبلِك أقْطَعا
وإنى متى ماأدْعُ باسمِكَ لم تجبْ ٭ وكنتَ حريًّا أن تُجيبَ وتَسْمعا
تحيتُه منى وإن كان نائياً ٭ وأمسَى تُراباً فوقهُ الأرضُ بَلْقَعا
فإن تكنِ الأيامُ فرَّقْنَ بيننا ٭ فقد بان محموداً أخى حين ودَّعا ٥
وعِشْنا بخير فى الحياةِ وقبلَنا ٭ أصاب المنايا رهْطَ كسرى وتُبَّعا
وكنا كنَدْمانَىْ جَذيمةَ حِقْبةً ٭ من الدهرِ حتى قيل لن يتصدَّعا
فلما تفرَّقنا كأنّى ومالِكاً ٭ لطولِ اجتماعٍ لم نبِتْ ليلةً معا
فما شارفٌ حَنَّت حنيناً ورَجَّعتْ ٭ أنيناً فأبكَى شَجْوُها البَرْكَ أجْمَعا
ولا وجْدُ[1] أظآرٍ ثلاثٍ روائمٍ ٭ رأيْنَ مَجرًّا من حُوارٍ ومَصرَعا ١٠
بأوْجَدَ منى يومَ قام بمالكٍ ٭ منادٍ فصيحٍ بالفِراقِ فأسْمعا
سقى اللهُ أرضاً حلَّها قبرُ مالكٍ ٭ ذهابَ الغَوادى المُدْجِناتِ فأمْرَعا

قيل لعمرو بن بحر الجاحظ: إن الأصمعى كان يسمى هذا الشعر أم المراثى.
فقال: لم يسمع الأصمعى:

أىُّ القلوبِ عليكم ليس ينصدِعُ ٭ وأىُّ نوم[2] عليكم ليس يمتنِعُ ١٥

وقال الأصمعى: لم يبتدئ أحدٌ بمرثية بأحسن من ابتداء أوس بن حجر:

أيتها النفسُ أجْمِلى جزَعا ٭ إنّ الذى تحذَرينَ قد وقَعا

وبعدها قول زُمَيْل:

أجارَتنا مَن يجتمعْ يتفرَّقِ ٭ ومَن يَكُ رَهْناً للحوادثِ يَغلَقِ

رثاء أخت النضر له

قال ابن إسحاق صاحب المغازى: لما نزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ٢٠
الصفراء ـ وقال ابن هشام: الأُثَيْل ـ أمر علىَّ بن أبى طالب بضرب عنق النضر

(١) فى بعض الأصول «ولا ذات».
(٢) فى بعض الأصول «يوم».

ابن الحارث بن كَلَدة بن علقمة بن عبد مناف صبراً بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقالت أخته قُتيلة بنت الحارث ترثيه :

يا راكبا إنّ الأثيلَ مَظِنّةٌ ٭ من صبح خامسةٍ وأنت موفّقُ

أبلغْ بها ميْتا بأنّ تحيةً ٭ ما إنْ تَزالُ بها النجائبُ تخفق

٥ مِنّى إليك وعبرةً مسفوحةً ٭ جادت بِواكفِها وأخرى تخنُق

هل يَسمعنّى النضرُ إنْ ناديتُه ٭ أم كيف يسمعُ ميت لا ينطِق

أمُحمد يا خيرَ ضِنْءِ كريمةٍ ٭ من قومِه والفحلُ فحلٌ مُعْرِق

ما كان ضرّكَ لو منَنْت وربما ٭ منَّ الفتى وهو المَغيظُ المُحْنَق

فالنضرُ أقربُ مَن أسَرْتَ قرابةً ٭ وأحقُّهم إن كان عِتْقا يُعتَق

١٠ ظلّت سيوفُ بنى أبيه تَنُوشُه ٭ لله أرحامٌ هناك تشقّق

صبراً يُقادُ إلى المنيّةِ مُتعَبًا ٭ رَسْفَ المقيَّدِ وهو عانٍ مُوثَق

قال ابن هشام : قال النبي عليه الصلاة والسلام لما بلغه هذا الشعر : لو بلغنى قبل قتله ما قتلتُه .

عمر بن الخطاب والخنساء فى أخويها

الأصمعى قال : نظر عمر بن الخطاب إلى خنساء وبها ندوب فى وجهها ، ١٥ فقال : ماهذه النُدوب ياخنساء ؟ قالت : من طول البكاء على أخوىّ ! قال لها : أخواك فى النار ! قالت : ذاك أطول لحزنى عليهما ؛ إنى كنت أشفق عليهما من القتل ، وأنا اليوم أبكى لهما من النار ، وأنشدت :

وقائلةٍ والنعشُ قد فات خَطْوَها ٭ لتُدْرِكَهُ يا لَهْفَ نفسى على صخْرِ

ألَا ثَكِلَتْ أمُّ الذين غدوْا به ٭ إلى القبرِ ماذا يَحملون إلى القبر

عائشة والخنساء فى صدار كانت تلبسه

٢٠ دخلت خنساء على عائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها وعليها صِدار من شعر قد استشعرته إلى جلدها ؛ فقالت لها : ما هذا ياخنساء ؟ فوالله لقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فما لبسته ! قالت : إنّ له معنًى دعانى إلى لباسه ؛ وذلك أنّ أبى زوجنى سيدَ قومه ، وكان رجلا متلافا ، فأسرف فى ماله حتى أنفده ،

ثم رجع فى مالى فأنفده أيضاً ، ثم التفت إلىّ فقال : إلى أين يا خنساء ؟ قلت : إلى أخى صخر . قالت : فأتيناه فقسم ماله شطرين ، ثم خيّرنا فى أحسن الشطرين ، فرجعنا من عنده ، فلم يزل زوجى حتى أذهب جميعه ، ثم التفت إلىّ فقال لى : إلى أين يا خنساء ؟ قلت : إلى أخى صخر ! قالت : فرحلنا إليه ، ثم قسم ماله شطرين وخيّرنا فى أفضل الشطرين ، فقالت له زوجته : أما ترضى أن تشاطرهم ٥ مالك حتى تخيّرهم بين الشطرين ؟ فقال :

وَٱللّه لا أمنحُها شِرارها * فلو هلَكْت قدَّدتْ خِمارَها

واتخذَتْ من شَعَرٍ صِدارَها * وهى حَصانٌ قد كفَتْنِى عارَها

فآليت ألاّ يفارق الصدار جسدى ما بقيت .

الخنساء فى أخويها

قيل للخنساء : صِفِى لنا أخويك صخراً ومعاوية . فقالت : كان صخر والله ١٠ جنة الزمان الأغبر ، وذعاف الخميس الأحمر . وكان والله معاوية القائل والفاعل . قيل لها : فأيهما كان أسنى وأفخر ، قالت : أما صخر فحَرّ الشتاء ، وأما معاوِيَة فبرد الهواء . قيل لها : فأيهما أوجع وأفجع . قالت : أما صخر فجَمرُ الكبد ، وأما معاوية فسقام الجسد ! وأنشأت :

أسدان مُحْمَرّا المخالبِ نَجدةً * بَحران فى الزّمنِ الغضوبِ الأنمر ١٥

قمران فى النادى ، رفيعَا مَحْتِدٍ * فى المجدِ فرْعا سُوددٍ مُتخيَّرِ

وقالت الخنساء ترثى أخاها صخر بن الشريد :

أقذًى بعينِك أم بالعيْن عُوّارُ * أم أقفرت[1] إذ خلَت من أهلها الدّار

كأنّ دمعى لذكراه[2] إذا خطَرتْ * فيْضٌ يسيل على الخدَّيْن مدْرارُ

فالعيْنُ تبكى على صخرٍ وحُقّ لها * ودونَه من جديد الأرض أستارُ ٢٠

بُكاءَ والهــةٍ ضَلّت أليفَهــا * لها حَنينان إصغارٌ وإكبارُ

(١) فى بعض الأصول : « ذرفت » .

(٢) فى بعض الأصول : « من ذكرى » .

تَرعى إذا نسيتْ[1] حتى إذا ٱدّكرتْ ٭ فإنما هي إقبالٌ وإدْبارُ
وإنّ صخراً لتأتمُّ الهُداةُ به ٭ كأنه علَمٌ في رأسه نارُ
حامي الحقيقةِ ، محمودُ الخليقةِ ، مَهديُّ الطريقةِ ، نفّاعٌ وضرّارُ

وقالت أيضاً :

٥ ألَا ما لعيْني ، ألَا ما لها ٭ لقد أخضَلَ الدّمعُ سِرْبالَها
أمنْ بعد صخرٍ منَ آلِ الشريـد حَلَّت به الأرض أثقالَها
فآليْتُ آسَى على هالكٍ ٭ وأسأل باكيةً مالَها
وهَمّتْ بنفسيَ كلُّ الهموم ٭ فأوْلى لنفسي أوْلى لها
سأحملُ نفسي على خطة[2] ٭ فإمّا عليها وإمّا لها

١٠ وقالت أيضاً :

أعيْنيّ جودَا ولا تَجمُدا ٭ ألا تَبكيان لصخْر النّدى ؟
ألا تَبكيان الجرىء الجوَاد ٭ ألا تبكيان الفتى السّيِّدا ؟
طويلَ النِّجاد رفيع العِما ٭ د ، سادَ عشيرتَه أمْرَدا
يُحمِّلُه القوم ما غالَهمْ ٭ وإن كان أصغرَهمْ موْلِدا
١٥ جَموعُ الضُّيوف إلى بابه ٭ يَرىأفضل الكَسْبِ أن يُحمَدا

وقالت أيضاً :

فما أدركَت كفُّ امرئٍ مُتناولٍ ٭ من المجدِ إلّا والذى نِلتَ أطولُ
وما بلَغ المُهْدون للمدْح غايةً ٭ ولا جهَدوا إلّا الذى فيك أفضلُ
وما الغيْثُ في جعْدِ الثّرى دَمثِ الرُّبا ٭ تَبعَّق فيها الوابِلُ المُتهلِّل
٢٠ فأفضلَ سيْبا من يديْك ونعمةً ٭ تجودُ بها ، بل سَيْبُ كفَّيْك أجزلُ
من القوْم مغْشِيُّ الرواق كأنه ٭ إذا سِيم ضَيْما خادرٌ مُتبسِّلُ

---

(١) في بعض الأصول : « ترتع ما غفلت » .
(٢) في بعض الأصول : « لأحمل نفسي على حالة » .

شَرنبث أطرافِ البَنانِ ضُبارِم ٭ له فى عرين الغيل عِرْسٌ وأَشبُلُ

لأخت الوليد ابن طريف فى رثائه

وقالت أخت الوليد بن طريف ترثى أخاها الوليد بن طريف :

أيا شجر الخابورِ مالكَ مُورِقاً ٭ كأنك لم تَجزعْ على ابن طريف

فتى لا يُريد العزَّ إلَّا مِنَ التقى ٭ ولا المالَ إلَّا مِنْ قَناً وسيوفِ

٥ ولا الذُّخر إلا كلَّ جرداء صِلْدِم ٭ وكلَّ رقيق الشَّفرتين حليف

فقدْناه فِقدانَ الرَّبيع فليتَنا ٭ فديْناه من ساداتِنا بأُلوف

خفيفٌ على ظهر الجواد إذا عدا ٭ وليس على أعدائِه بخفيفِ

عليك سلامُ الله وقْفاً فإننى ٭ أرى الموْتَ وقّاعاً بكلّ شَرِيف

لآخر فى رثاء أخيه

وقال آخر يرثى أخاه :

١٠ أخٌ طالما سرنى ذكرُه ٭ فقد صرْتُ أشجى إلى ذِكرِه

وقد كنت أغدو إلى قَصرِه ٭ فقد صرتُ أغدو إلى قبرِه

وكنت أرانى غنيًّا به ٭ عن الناس لو مُدَّ فى عُمرِه

وكنت إذا جئتُه زائراً ٭ فأمرى يَجوز على أمرِه

وقالت الخنساء ترثى أخاها صخراً :

١٥ بكتْ عينى وعاوَدَها قَذاها ٭ بعُوّار فما تقضى كراها

على صخر وأىُّ فتى كصَخر ٭ إذا ما الناب لم تَرْ أم طَلاها

حلفتُ بربّ صُهْبٍ مُعْمَلات ٭ إلى البيت المحرَّم مُنتهاها

لئن جَزعت بنو عمرو عليه ٭ لقد رُزئت بنو عمرو فتاها

له كف يُشدُّ بها وكف ٭ تجود فما يَجفّ ثرى نداها

٢٠ ترى الشُّمَّ القطارف من سُليم ٭ وقد بلَّت مدامعها لِحاها

أحاميكم ومُطعمكم تركتم ٭ لدى غبراء مُنْهدم رَجاها

فمن للضيف إن هبّت شمالٌ ٭ مُزعزِعة تُناوِحُها صَباها

وألجأ بَرْدُها الأشوال حُدْباً ٭ إلى الحُجرات بادية كُلاها

هنالك لو نزلتَ بباب صخر ٭ قَرَى الأضياف شحما من ذُراها
وخيل قد دَلفتَ لها بخيلٍ ٭ فدارت بين كبشيها رحاها
تكفكف فضل سابغة دِلاصٍ ٭ على خَيفانة خَفِقٍ حَشاها

لكعب فى أبى المغوار

وقال كعب يرثى أخاه أبا المغوار :

٥ تقول سُليمى : ما لجسمك شاحباً ٭ كأنك يَحميك الطعام[1] طبيبُ
فقلت : شجونٌ[2] من خُطوبٍ تتابعتْ ٭ علىَّ كِبارٍ والزمانُ يُريبُ
لَعَمْرى لئنْ كانت أصابت مَنيَّةٌ ٭ أخى ، فالمنايا للرِّجال شَعوبُ
فإنى لباكيهِ ، وإنى لصادقٌ ٭ عليه ، وبعض القائلين كذُوبُ
أخى ما أخى ! لا فاحشٌ عند بيته ٭ ولا ورعٌ عند اللِّقاءِ هَيوبُ
١٠ أخٌ كان يكفينى وكان يُعينُنى ٭ على نائباتِ الدَّهر حين تنوبُ
هو العسلُ الماذِىُّ لِينا وشِيمةً ٭ وليثٌ إذا لاقى الرجالَ قَطوبُ
هوتْ أُمُّه ما يَبعثُ الصبحُ غادياً ٭ وماذا يؤدِّى الليلُ حين يؤوب
كعاليةِ الرُّمحِ الرُّدَيْنِىِّ لم يكن ٭ إذا ابتدَرَ الخيرَ الرجالُ يَخيب
وداعٍ دعا يا من يُجيبُ إلى الندى ٭ فلم يستجبْه عند ذاك مُجيب
١٥ فقلتُ ادْعُ أخرى وارفع الصوتَ ثانياً ٭ لعلَّ أبا المِغوارِ منك قريب
يُجبْك كما قد كانَ يفعلُ إنه ٭ بأمثالِه رحْبُ الذِّراعِ أريب
وحدَّثْتُمانى أنما الموتُ فى القُرى ٭ فكيف وهذِى هَضبةٌ وكَثيب
فلو كانت الموتى تُباعُ آشتريتُه ٭ بما لم تكن عنه النفوسُ تَطيب
بعينَىَّ أو يُمنَى يدىَّ وخِلْتُنى ٭ أنا الغانمَ الجَذْلانَ حين يؤوب
٢٠ لقد أفسدَ الموتُ الحياةَ وقد أتى ٭ على يومِه علْقٌ إلىَّ حبيب
أتى دون حُلْوِ العيشِ حتى أمَرَّهُ ٭ خُطوبٌ على آثارهن نُكوب

(١) فى بعض الاصول : « الشراب ».
(٢) فى بعض الاصول : « نحول ».

فوالله لا أنساهُ ماذَرَّ شارقٌ * وما اهتزَّ في فرعِ الأراك قضيب
فإن تكن الأيامُ أحسنَّ مرةً * إليَّ لقد عادت لهنّ ذُنوب

لامرئ القيس يرثى اخوته

وقال امرؤ القيس يرثى إخوته :

ألا يا عينُ جودى لى شنينا * وبكّى للملوكِ الذاهبينا
ملوكٌ من بنى صخر بن عمرو * يُقادون العشيّةَ يُقتلونا ٥
فلم تُغسَلْ رءوسُهم بِسدْرٍ * ولكنْ فى الدماءِ مُزمَّلينا
فلو فى يومِ معركةٍ أُصِيبوا * ولكنْ فى دِيارِ بنى مَرينا

للأبيرد فى رثاء أخيه بريد

وقال الأُبَيْرِدُ بن المعذّر الرِّياحى يرثى أخاه بُرَيْداً :

تَطاولَ ليلى لم أنمه تقلُّبا * كأن فِراشى حال من دونه الجمرُ
أراقب من ليل التمام نجومَه * لَدُنْ غاب قَرْنُ الشمس حتى بدا الفجر ١٠
تذكُّرَ عِلقٍ بان منّا بنصره * ونائله ياحبّذا ذلك الذكر
فإن تكن الأيام فرقن بيننا * فقد عذرتنا فى صحابته العُذر
وكنت أرى هجراً فراقك ساعةً * ألَا لا بل الموتُ التفرُّقُ والهجر
أحقًّا عبادَ الله أنْ لستُ لاقيًا * بُرَيْداً طَوال الدهر ما لألأ العُفر
فتًى ليس كالفتيان إلا خيارهم * من القوم جَزْلٌ لا ذليلٌ ولا غُمر ١٥
فتى إن هو استغنى تخرَّق فى الغنى * وإن كان فقرٌ لم يَؤدْ مَتْنَه الفقر
وسامى جسيمات الأمور فنالها * على العسر حتى يُدرك العسرة اليُسر
ترى القوم فى العزّاء ينتظرونه * إذا شتّ رأى القوم أو حَزَبَ الأمر
فليتك كنت الحيَّ فى الناس باقياً * وكنتُ أنا الميتَ الذى ضمّه القبر
فتى يشترى حُسْنَ الثناء بماله * إذا السَّنَةُ الشهباء قلّ بها القطر ٢٠
كأنْ لم يُصاحبْنا بُرَيْدٌ بغبطة * ولم تأتنا يوماً بأخباره البُشر
لعمرى لنعم المرءُ عالَى نعيَّه * لنا ابنُ عَرين بعد ما جَنَح العصر
تمضّت به الأخبار حتى تغلغلت * ولم تَثْنِه الأطباعُ عنا ولا الجُدْر

فلما نعى الناعى بُريداً تغوّلت ۞ بى الأرضُ فرطَ الحُزن وانقطع الظهر
عساكرُ تغشَى النفسَ حتى كأننى ۞ أخو نشوة دارت بهامته الخمر
إلى الله أشكو فى بُريد مُصيبتى ۞ وبَثّى وأحزانا يجيش بها الصدر
وقد كنتُ أستعفى الإله إذا اشتكى ۞ من الأجر لى فيه وإن سرّنى الأجر
٥ وما زال فى عينىّ بعدُ غِشاوةٌ ۞ وسَمعىَ عما كنت أسمعه وَقْر
على أننى أقنى الحياء وأتّقى ۞ شماتة أقدام عُيونُهم خُزْر
فحيّاك عنى الليلُ والصبحُ إذ بدا ۞ وهُوجٌ من الأرواح غُدْوتها شهر
سقى جَدثا لو أستطيع سقيْتُه ۞ بأُودَ فرواه الرواعد والقطر
ولا زال يُسْقَى من بلادٍ ثوى بها ۞ نباتٌ إذا صاب الربيعُ بها نضر
١٠ حلفتُ برب الرافعين أكفَّهم ۞ وربِّ الهدايا حيث حلّ بها النحر
ومُجتمع الحُجاج حيث توافقت ۞ رِفاقٌ من الآفاق تكبيرها جأْر
يمين امرئ آلَى وليس بكاذب ۞ وما فى يمين بَتّها صادقٌ وِزْر
لئن كان أمسَى ابنُ المعذَّرِ قد ثوَى ۞ بُريدٌ لَنِعْمَ المرء غيّبهُ القبر
هو المرءُ للمعروفِ والدين والنَّدى ۞ ومِسعَرُ حرب لا كهامٌ ولا غُمر
١٥ أقام ونادى أهلهُ فتحمّلوا ۞ وصُرِّمت الأسبابُ واختلفَ النَّجر
فأىَّ امرئٍ غادرتُمُ فى بُيوتكم ۞ إذا هى أمستْ لونُ آفاقِها حُمْر
إذا الشولُ أمست وهى حُدْبٌ ظُهورها ۞ عِجافا ولم يُسمَعْ لفحلٍ لها هَدْر
كثيرُ رَمادِ القِدْرِ يغشَى فِناؤه ۞ إذا نودِىَ الأيسارُ واحتُضِر الجُزْر
فتى كان يَغلى اللحمَ نِيئاً ولحمُه ۞ رخيصٌ بكفّيه إذا تنْزِلُ القِدْرُ
٢٠ يُقسّمه حتى يَشيعَ ولم يكن ۞ كآخرَ يُضحِى من غَبيبته ذُخْر
فتى الحىِّ والأضيافَ إن رَوّحتُهم ۞ بليلٍ وزادُ السَّفرِ إنْ أرْمَلَ السَّفْر
إذا أجهَدَ القومُ المَطِىَّ وأدرجتْ ۞ من الضُمْرِ حتى يبلُغ الحَقَبَ الضَّفْر
وخَفتْ بقايا زادِهمْ وتواكَلوا ۞ وأكْسفَ بالَ القومِ مجهولةٌ قَفْر

رأيت له فضــلاً عليهــم بقوّةٍ ٭ وبالفقرِ لما كان زادَهم الفقر
إذا القومُ أسْروْا ليلهُمْ ثم أصبحوا ٭ غدًا وهو ما فيه سِقلط ولا فترُ
وإن خشعت أبصارُهُم وتضاءلت ٭ مِن الآينِ جلّى مثل ما ينظرُ الصقْرُ
وإن جارةٌ حلّت إليه وفى لها ٭ فباتت ولم يُهتَك لجارتِه سِترُ
عفيفٌ عنِ السَّوْءاتِ ما التبسَت به ٭ صليبٌ فما يُلفَى بعُودٍ له كسْرُ ٥
سلَكت سبيلَ العالمينَ فما لهم ٭ وراء الذى لاقيْتَ معْدًى ولا قصْرُ
وكلُّ امرئٍ يوماً مُلاقٍ حِمامهُ ٭ وإن باتت الدَّعوَى وطال به العُمْرُ
وأبليْت خيراً فى الحيــاةِ وإنَّما ٭ ثوابُكَ عِندى اليومَ أن ينطِقَ الشِّعرُ
ليفْدِك موْلىً أو أخٌ ذو ذِمامةٍ ٭ قليل الغناءِ لا عطاءٌ ولا نصرُ

لشبل بن معبد البجلى : ١٠

لشبل بن معبد البجلى

أتى دونَ حُلْوِ العيشِ حتى أمَرَّهُ ٭ نُكوبٌ على آثارهِنَّ نُكوبُ
تتابعْنَ فى الأحبابِ حتى أبَدْنَهم ٭ فلم يبقَ منهم فى الدِّيار قريبُ
برتْنى صروفُ الدهرِ من كلِّ جانبٍ ٭ كما ينبرى دون اللِّحاءِ عسيبُ
فأصبحتُ إلا رحمةَ اللهِ مُفرداً ٭ لَدَى الناسِ صبراً والفؤادُ كئيبُ
إذا ذرّ قرنُ الشمسِ عُلِّلتُ بالأسى ٭ ويأوى إلىَّ الحزنُ حين يؤوبُ ١٥
ونامَ خلىُّ البالِ عنِّى ولم أنَمْ ٭ كما لم ينَمْ عارى الفِناءِ غريبُ
تضُرُّ به الأيامُ حتى كأنَّهُ ٭ بطولِ الذى أعقَبْن وهو رقوبُ
فقلتُ لأصحابى وقد قذفت بنا ٭ نوى غُربةٍ عمَّنْ نُحبُّ شطوبُ
متى العهدُ بالأهلِ الذين تركتُهُم ٭ لهم فى فؤادى بالعِراقِ نصيبُ
فما ترك الطاعونُ من ذى قرابَةٍ ٭ إليه إذا حانَ الإيابُ تؤوبُ ٢٠
فقد أصبحوا لا دارُهُم منك غُربةٌ ٭ بعيــدٌ ، ولا هُم فى الحياةِ قريبُ
وكنت تُرجّى أن تئوب إليهمُ ٭ فحالتْهُمُ من دون ذاك شعوبُ
مقاديرُ لا يُغفِلْن مَن حان يومُه ٭ لهُنَّ على كلِّ النُّفوسِ رقيبُ

سقَيْنَ بكأسِ الموتِ من حان حينُه ٭ وفى الحىّ مِن أنفاسِهنّ ذنوبُ
وإنا وإيّاهم كواردِ منهلٍ ٭ على حوضِه بالباليات نهيبُ
إليه تناهَيْنا ولو حال دونهُ ٭ مِياه رواء كُلُّهن شَروبُ
فهوّن عنّى بعض وجدِىَ أنّنى ٭ رأيت المنايا تغتدِى وتؤوبُ
٥ ولسنا بأحيا منهُمُ غير أنّنا ٭ إلى أجلٍ نُدعى له فنُجيبُ
وإنى إذا ما شئْت لا قيْت أسوةً ٭ تكادُ لها نفسُ الحزين تطيبُ
فتًى كان ذا أهلٍ ومالٍ فلم يَزلْ ٭ به الدهرُ حتى صار وهو حريبُ
وكيف عزاء المرء عن أهلِ بيتِه ٭ وليس له فى الغابرينَ حبيبُ
متى يُذكَروا يفرحْ فؤادى لذِكْرِهم ٭ وتسْجُمْ دموع بينهن نَحيبُ
١٠ دموعٌ مراها الشَّجْو حتى كأنها ٭ جداولُ تجرى بينهُنّ غُروبُ
إذا ما أردتُ الصبْرَ هاج لى البكا ٭ فؤادٌ إلى أهلِ القبورِ طَروبُ
بكى شجوَه ثم ارْعوَى بعد عوْله ٭ كما وارَتْ بين الحنينِ سلُوب
دعاها الهوى من سَبْقِها فهْىَ والِه ٭ ورُدَّت إلىَّ الآن فهْى تَحوّبُ
فوجْدى بأهلى وجدُها غيرَ أنهم ٭ شبابٌ يَزينون النّدى ومشيبُ

١٥ من رثت زوجها

لأسماء فى الزبير — قالت أسماء بنت أبى بكر ذات النطاقين رضى الله عنها ترثى زوجها الزبير بن العوام ، وكان قتله عمرو بن جُرموز المجاشعى بوادى السِّباع وهو مُنصرف من وقعة الجمل وتروى هذه الأبيات لزوجته عاتكة التى تزوجها بعد عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

غدَر آبن جُرموزٍ بفارس بُهْمة ٭ يوم الهياجِ وكان غير مُعرِّدِ
٢٠ يا عمرُو لو نبَّهْتَه لوجَدتَه ٭ لا طائشاً رعِش الجنانِ ولا اليدِ
ثكِلَتك أُمُّك إن قتلت لُمسلِماً ٭ حلَّت عليك عقوبةُ المُتعمِّدِ

لبانة زوجة الأمين ترثيه — الهلالى قال : تزوج محمد بن هارون الرشيد لُبانة بنت علىّ بن ريطة ، وكانت

من أجمل النساء ، فقُتل محمد عنها ولم يبن بها ، فقالت ترثيه :

أبكيك لا للنَّعيم والأُنسِ * بل لِلمعالى والرُّمح والفرس
يا فارساً بالعراء مُطَّرحاً * خانته قُوّادُه مع الحرسِ
أبكى على سيِّدٍ فُجعت به * أرمَلَنى قبل ليلةِ العُرسِ
أم مَن لِبِرٍّ أم مَن لعائدةٍ * أم مَن لِذكرِ الإله فى الغلَسِ ٥
مَن للحُروبِ التى تكون لها * إن أُضْرِمت نارها بلا قبَسِ

لأعرابية فى زوجها

وقالت أعرابية ترثى زوجها :

كنَّا كغصنينِ فى جُرثومةٍ بَسقا * حيناً على خيرِ ما يَنمى به الشجر
حتى إذا قيل قد طالت فروعهما * وطاب قِنْواهما وآستُنظِر الثَّمر
أخنَى على واحدٍ ريْبُ الزَّمانِ وما * يُبقِى الزَّمان على شىءٍ ولا يَذَر ١٠
كنَّا كأنجمِ ليــــلٍ بينها قمَرٌ * يَجْلو الدُّجى فهوَى من بيننا القمر

الأصمعى وجارية على قبر زوجها

الأصمعىّ قال : دخلتُ بعض مقابر الأعراب ومعى صاحب لى ، فإذا جارية على قبر كأنها تمثال ، وعليها من الحلى والحلل مالم أر مثله ، وهى تبكى بعين غزيرة وصوت شجى ؛ فالتفت إلى صاحبى فقلت : هل رأيت أعجب من هذا ؟ قال : لا والله ولا أحسبنى أراه ! ثم قلت لها : ياهذه إنى أراك حزينة وما عليك زى ١٥ الحزن . فأنشأت تقول :

فإن تسألانى فيمَ حُزنى فإننى * رهينةُ هـذا القبر يا فتيانِ
وإنى لأستحييه والتُّربُ بيننا * كما كنت أستحييه حين يرانى
أهابُك إجلالا وإن كنت فى الثرى * مخافةَ يومٍ أن يسوءك شانى

ثم اندفعت فى البكاء وجعلت تقول : ٢٠

يا صاحبَ القبر يامَن كان ينعمُ بى * بالاً ويُكثِر فى الدُّنيا مُواساتى
قد زُرت قبرك فى حَلْى وفى حُللٍ * كأنى لستُ مِن أهلِ المُصيباتِ
أردتُ آتيك فيما كنتُ أعرفُه * أن قد تسرُّ به من بعضِ هيْآتى

فمَنْ رآنى رأى عـــبْرى مولَّهةً ٭ عجيبــةَ الزّىِّ تبكى بين أمواتِ

وقال : رأيت بصحراء جارية قد ألصقت خدها بقبر وهى تبكى وتقول :

هو وجارية أخرى

خدِّى يقيك خُشونةَ اللَّحدِ ٭ وقليلةٌ لك سـيِّدى خدِّى

ياساكِنَ القبرِ الذى بوفاته ٭ عميَتْ علىَّ مسالكُ الرُّشْدِ

٥ آسمعْ أَبُثُّك عِلَّتى ولعلَّنى ٭ أُطفى بذلكَ حُرقةَ الوجدِ

من رثى جاريته

كان لمعلَّى الطائى جارية يقال لهـا وصف ، وكانت أديبة شاعرة ، فأخبرنى محمد بن وضّاح ، قال : أدركتُ معلَّى الطائى بمصر وأُعطى بجاريته وصف أربعة آلاف دينار ، فباعها ؛ فلمـا دخل عليها قالت له : بعتنى يامعَلّى ! قال : نعم .
١٠ قالت : والله لو ملكتُ منك مثل ما تملك منى ما بعتك بالدنيا وما فيهـا ! فردّ الدنانير واستقال صاحبه ، فأصيب بها إلى ثمانية أيام ؛ فقال يرثيها :

ياموت كيف سلبْتنى وصفا ٭ قدّمْتهـا وتركـتنى خلفا

هلَّا ذهبْتَ بنا معاً فلقد ٭ ظفِرَتْ يداكَ فسُمْتنى خسْفا

وأخذتَ شِقَّ النفسِ من بَدنى ٭ فقبَرْتَه وتركْتَ لى النِّصفا

١٥ فعليْك بالباقى بلا أجـــلٍ ٭ فالموْتُ بعد وفاتِها أعْفَى

يا موتُ ما أبقيْتَ لى أحداً ٭ لمَّـا رفعتَ إلى البِلَى وصْفا

هلَّا رحِمْت شـــبابَ غانيةٍ ٭ ريَّا العِظامِ وشعرَها الوحْفا

ورحِمْت عيْنَىْ ظبيةٍ جعلتْ ٭ بين الرِّياض تُناظِر الخِشْفا

تَغْنى إذا انتصَبتْ فرائصه ٭ وتظَـــل ترعاهُ إذا أغْفَى

٢٠ فإذا مشَى اختلَفت قوائمه ٭ وقت الرضاع فينطوى ضعْفا

مُتحيِّرًا فى المشْى مُرتعِشاً ٭ يخطو فيضرِبُ ظِلْفُه الظِّلفا

فكأنَّها وصفٌ إذا جعلتْ ٭ تحوى تحيرُ محاجراً وُطْفا

ياموت أنت كذا لكلِّ أخى * إلفٍ يصون ببِرّه الإلْفا
خلّيتنى فرداً وبنتَ بها * ماكنتُ قبلَك حاملاً وكْفا
فتركْتها بالرغم فى جدَثٍ * للرِّيح تنسف تُربَه نَسْفا
دون المُقطَّم لا ألبّسها * من زينةٍ قُرْطا ولا شنْفا
أسكنتها فى قعْر مُظلِمةٍ * بيتاً يُصافِح تُرْبُه السّقْفا ٥
بيتاً إذا ما زاره أحدٌ * عصفتْ به أيدى البِلى عصْفا
لا نلتقى أبدا مُعاينةً * حتى تقوم لربِّنا صفّا
لبستْ ثياب الحَتْف جاريةٌ * قد كنتُ ألبِسُ دونَها الحَتْفا
فكأنها والنفسُ زاهقةٌ * غصنٌ من الرَّيحان قد جفّا
يا قبرُ أبقِ على محاسنِها * فلقد حويْتَ البِرّ والظَّرْفا ١٠

مروان بن محمد وجارية له خلفها بالرملة

لما هُزم مروان بن محمد وخرج نحو مصر ، كتب إلى جارية له خلفها بالرملة :

وما زال يدعونى إلى الصدِّ ما أرى * فآبَى ويثنينى الذى لكِ فى صدرى
وكان عزيزا أن تبينى وبيننا * حجابٌ فقد أمسيْت منكِ على عشر
وأنكاهما للقلب والله فآعلمى * إذا آزددتُ مثليْها فصرْتُ على شهر ١٥
وأعظم من هٰذين والله أننى * أخاف بألّا نلتقى آخر الدهر
سأبكيك لا مُستبقياً فيْض عبْرةٍ * ولا طالباً بالصبر عاقبةَ الصبر

لأبى نواس يرثى جارية

وجدوا على قبر جارية إلى جنب قبر أبى نواس أبياتا ، ذكروا أن أبا نواس قالها ، وهى :

أقولُ لِقبرٍ زرتُه مُتلثّماً * سقى الله برد العفوِ صاحبة القبرِ ٢٠
لقد غيّبوا تحت الثرى قمرَ الدجى * وشمسَ الضحى بين الصّفائح والعفْر
عجبتُ لعينٍ بعدها ملّتِ البُكا * وقلبٍ عليها يرتجى راحة الصبْر

حبيب فى مثله

وقال حبيب الطائى يرثى جارية أصيب بها:

جُفوفَ البِلى أسرَعتْ فى الغُصُن الرطْبِ

وخطْبَ الرَّدى والموت أبْرحتَ من خطْبِ

لقد شرِقتْ فى الشرق بالموت غادةٌ • تبدَّلْتُ منها غُرْبَةَ الدار فى القرب

٥ وألبسَنى ثوباً من الحُزن والأسى • هلالٌ عليه نسْج ثوبٍ من التُّرب

وكنتُ أُرجِّى القرْب وهْى بعيدة • فقد نُقلتْ بعدى عن البعد والقرب

أقول وقد قالوا آستراحت لموتِها

من الكرب روح الموت شرٌّ من الكرْب

لها منزلٌ تحت الثَّرى وعهدْتها • لها منزلٌ بين الجوانح والقلب

١٠ وقال يرثيها:

ألم تَرَنى خلَّيْتُ نفسى وشأنَها • ولم أحفل[1] الدنيا ولا حدثانَها

لقد خوّفتْنى النائبات صروفَها • ولو أمَّنتْنى ما قبِلْت أمانها

وكيف على نار الليالى مُعرِّسٌ • إذا كان شيْب العارضيْن دُخانها

أُصبْت بخوْدٍ سوْف أَغبر بعدها • حليف أسًى أبكى زماناً زمانها

١٥ عِنانٌ من اللّذات قد كان فى يدى • فلما قضى الإلْف آستردّت عنانها

منحْت المَها هَجرى فلا مُحسِناتها • أُريد ولا يَهوَى فؤادى حسانَها

يقولون هل يبكى الفتَى لخريدةٍ • إذا ما أراد آعتاض عشراً مكانها

وهل يستعيضُ المرءُ من خَمْسِ كفِّه • ولو صاغ من حُرِّ اللّجيْن بَنانها

لأعرابى يرثى امرأته

وقال أعرابى يرثى امرأته:

٢٠ فوالله ما أدرى إذا الليل جنَّنى • وذكرتها أيُّنا هو أوجعُ

أمُنْفصل عنه ثرى أم كريمة • أم العاشقُ النائى به كلُّ مضجَع

(١) فى بعض الأصول: «ولم أشتك».

الوراق يرثى جارية

وقال محمود الوراق يرثى جاريته نشو :

ومُنتصح يُردِّد ذكر نشوٍ * على عمْدٍ ليبعث لى آكتئابا
أقول ـ وعدَّ ـ ماكانت تساوى * سيَحسب ذاك مَن خلَق الحسابا
عطيَّتُــه إذا أَعطى سرورٌ * وإن أخذ الذى أعطى أثابا
فأَىُّ النِّعمتين أعم نفعاً * وأحسنُ فى عواقبها إيابا ٥
أنعْمته التى أهدت سروراً * أم الأخرى التى أهدتْ ثوابا
بل الأخرى وإن نَزلتْ بحزْنٍ * أحقُّ بشكر مَن صبَر آحتسابا

محب وجارية له ماتت

أبو جعفر البغدادى قال : كان لنا جار ، وكانت له جارية جميلة ، وكان شديد المحبة لها : فماتت ، فوجد عليها وجداً شديداً ، فبينما هو ذات ليلة نائم ، إذ أتته الجارية فى نومه فأنشدتْه هذه الأبيات . ١٠

جاءت تَزور وسادى بعد ما دُفنتْ * فى النوم ألثم خدا زانَه الجِيدُ
فقلت قُرة عيْنِى قد نُعيت لنا * فكيف ذا وطريق القبر مسْدود
قالت هناك عظامى فيه مُلحَدَةٌ * تنهش منها هوامّ الأرض والدود
وهذه النفسُ قد جاءتْك زائرةً * فآقبل زيارةَ مَن فى القبر ملْحود

فانتبه وقد حفظها ، وكان يحدث الناس بذلك وينشدهم . فما بقى بعدها إلا أياما يسيرة حتى لحق بها . ١٥

من رثى ابنة

البحترى فى ابنة الحميدى

قال البحترى فى ابنة لأحد بنى حميد :

ظَلم الدهرُ فيكمُ وأساء * فعزاءً بنى حُميْــدٍ عزاء
أنْفُسٌ ماتزال تفقدُ فقداً * وصُدورٌ ما تبرح البُرَحاء ٢٠
أصبح السيف داءكم وهو الدا * ء الذى مايَزال يُعيى الدواء
وآنتحى القتْلُ فيكم فبكيْنا * بدماء الدموع تلك الدِّماء

يا أبا القاسم المقسّمَ فى النّجْـــدةِ والجود والنّدى أجزاء
والهِزَبْر الذى دارت الحرْ ۝ ب بهصرْف الرّدى كيف شاء
الأسى واجبٌ على الحرّ إما ۝ نيّـــةً حُرّة وإما رياء
وسَفاهٌ أن يجزَع الحُرّ مما ۝ كان حتماً على العباد قضاء
٥ أنُبكّى مَن لا يُنازِل بالسيـــف مُشيحاً ولا يَهزُّ اللّواء
والفتى من رأى[1] القبورَ لمن طا ۝ ف به من بناتِه الأكْفاء
ليس من زينة الحياة كعَدّ ۝ الله منها الأموالَ والأبناء
قد وَلَدْن الأعداءَ قِدْماً وورّثْـــنَ التّلاد الأقاصىَ البُعداء
لم يئدْ تربَهنّ[2] قيسُ تميمٍ ۝ علّةً بل حَمِيّـــةً وإباء
١٠ وتغشّى مُهلهِلَ الذلُّ فيـــهنّ وقد أعطىَ الأديمَ حِباء
وشقيقُ بن فاتكٍ حذَرَ العا ۝ ر عليهن فارَق الدّهناء
وعلى غيرهن أحزنَ يعقو ۝ بَ وقد جاءه بنُوه عِشاء
وشُعيبٌ من أجلهن رأى الوحْـــدةَ ضَعْفاً فاستأجر الأنبياء
وتلفّت إلى القبائل فانظرْ ۝ أمّهاتٍ ينسبْن أمْ آباء
١٥ واستزلّ الشيطانُ آدمَ فى الجنّـــة لمّا أغرى به حوّاء
ولَعَمرى ما العجزُ عندىَ إلا ۝ أن تَبيت الرجال تبكى النساء

مراثى الأشراف

لحسان يرثى الرسول صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر

قال حسّان بن ثابت يرثى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر، رضوان الله عليهم:

٢٠ ثلاثة برزوا بسبْقهمُ ۝ نضّرهُم ربُّهم إذا نشرُوا

(١) فى بعض الأصول: «لا يرى».
(٢) فى بعض الأصول: «كثرهن».

عاشوا بلا فُرقةٍ حياتَهمُ * وآجتمعوا فى المماتِ إذ قبِروا
فليس من مسلمٍ له بَصَرٌ * يُنكِرُهم فضلَهم إذا ذُكروا

وله فى رثاء أبى بكر

وقال حسان يرثى أبا بكر رضى الله عنه :

إذا تذكَّرتُ شجْواً من أخى ثقة * فاذكُر أخاكَ أبا بكر بما فعلا
خيرَ البريّةِ أتقاها وأعدَلها * بعدَ النبىِّ وأوفاها بما حَمَلا
الثانى آثنينِ والمحمودَ مشهَدُه * وأوّلَ الناسِ طُرًّا صدَّقَ الرُّسُلا
وكان حِبَّ رسولِ اللهِ قد عَلِموا * من البريةِ لم يَعدِلْ به رجُلا

وقال [1] يرثى عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

عليكَ سلامٌ من أميرٍ وباركَت * يدُ اللهِ فى ذاكَ الأديمِ المُمزَّقِ
فمن يَجرِ أو يركبْ جَناحَىْ نعامةٍ * ليدركَ ما قدمْتَ بالأمسِ يُسبَقِ
قضيْتَ أُموراً ثم غادرْتَ بعدها * نوافِجَ فى أكمامِها لم تفتّقِ
وما كنتُ أخشى أن تكون وفاتُه * بكفَّىْ سَبَنْتَى أزرقِ العينِ مُطْرِقِ

وله فى رثاء عثمان

وقال يرثى عثمان بن عفان رضى الله عنه :

مَن سرَّه الموتُ صِرفاً لامِزاجَ له * فليأتِ مأسَدَةً فى دار عثمانا
إنى لمنهم وإن غابوا وإن شهِدوا * مادمتُ حيًّا وما سُمِّيت حَسّانا
ياليتَ شِعْرى وليتَ الطيرَ تُخبِرنى * ما كان شأنُ علىٍّ وابن عفّانا
لتَسمَعَنّ وشيكاً فى ديارِهم * آللهُ أكبرُ ياثاراتِ عثمانا
ضحّوْا بأشمطَ عُنوانُ السُّجودِ به * يُقطِّع الليلَ تسبيحاً وقرآنا

للفرزدق فى رثاء عثمان

وقال الفرزدق فى قتل عثمان رضى الله تعالى عنه :

إنّ الخلافة لمّا أظعنتْ ظَعَنتْ * من أهل يَثرب إذ غيرَ الهدى سلَكوا
صارتْ إلى أهلها منهم ووارثِها * لمّا رأى الله فى عُثمان ماانتهكوا
السافِكى دمَه ظلما ومعصيةً * أىَّ دمٍ لاهُدُوا مِن غيِّهم سفَكوا

(١) فى نسبة هذا الشعر لحسان خلاف .

السيد الحميرى في رثاء على

وقال السيد الحميرى يرثى على بن أبى طالب كرم الله وجهه ويذكر يوم صفين :

إنى أدين بما دان الوصى به ٭ وشاركتْ كفه كفّى بصفّينا
فى سفك ماسفكتْ منها إذا احتُضروا ٭ وأبرزَ الله للقسط الموازينا
٥ تلك الدّماء معاً يارب فى عُنقى ٭ ثم اسقنى مثلَها آمين آمينا
آمين مَن مثلُهم فى مثل حالِهمُ ٭ فى فِتْية هاجروا لله سارينا
ليسوا يريدون غير الله ربِّهمُ ٭ نعْم المراد توخّاه المريدونا

أنشد الرياشى لرجل من أهل الشام يرثى عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه :

١٠ قد غَيَّب الدّافنون اللحدَ إذ دَفَنوا ٭ بدير سَمْعان قِسْطاسَ الموازينِ
ولم يكن همُّه عيْنا يُفَجِّرُها ٭ ولا النخيل ولا رَكْض البَراذين
أقول لمّا أتانى نعْىُ مهلِكه ٭ لا تُبعَدنّ قِوام المُلك والدِّين

الفرزدق فى رثاء عبد العزيز بن مروان

وقال الفرزدق يرثى عبد العزيز بن مروان :

ظلُّوا على قبره يستغفرون له ٭ وقد يقولون تاراتٍ لنا العبَرُ
١٥ يُقبِّلون تراباً فوق أعظُمِه ٭ كما يقبل فى المحجوجة الحجر
لله أرضٌ أجَنَّته ضريحتُها ٭ وكيف يُدفن فى الملْحودة القمرُ
إنّ المنابر لا تَعْتاض عن ملِكٍ ٭ إليه يَشْخص فوْق المِنبر البصرُ

لجرير فى رثاء عمر بن عبد العزيز

وقال جرير يرثى عمر بن عبد العزيز :

يَنعى النُّعاةُ أمير المؤمنين لنا ٭ ياخير من حجّ بيْت الله واعتمرا
٢٠ حُمِّلْت أمراً عظيما فاصطبرْت له ٭ وسِرْت فيه بحكم[1] الله ياعُمَرا
فالشمس طالعةٌ ليست بكاسفةٍ ٭ تبكى عليك نجوم الليلِ والقمرا

(١) فى بعض الأصول : «وقمت فيه بأمر الله».

جرير فى رثاء الوليد

قال جرير يرثى الوليد بن عبد الملك :

إنّ الخليفة قد وارتْ شمائلَه * غبراء ملحودةٌ فى جولها زَوَرُ

أمسى[1] بنوه وقد جلّت مصيبتهم * مثلَ النجوم هَوى من بينها القمر

كانوا جميعاً فلم يَدفع منيّته * عبد العزيز ولا روْحٌ ولا عُمَر

لبعض الشعراء فى رثاء قيس بن عاصم

٥

وقال غيره يرثى قيس بن عاصم المنقرىّ :

عليك سلام الله قيس بن عاصمٍ * ورحمتُه ماشاء أن يترحّما

تحية مَن ألبسْتَه منك نعمةً * إذا زار عن شحط بلادك سلّما

وما كان قيسٌ هُلْكه هُلْكَ واحدٍ * ولكنه بُنيان قوم تهدّما

السندى فى رثاء يزيد بن هبيرة

وقال أبو عطاء السندى يرثى يزيد بن عمر بن[2] هُبيرة لما قُتل بواسط :

١٠

ألا إنّ عيناً لم تجُدْ يوم واسطٍ * عليك بجارى دمعِها لجمودُ

عشيّة راح الدّافنون وشُقّقت * جيوبٌ بأيدى مأتم وخُدودُ

فإن تك مهجورَ الفِناء فربّما * أقام به بعد الوُفود وُفودُ

وإنك لم تبعد على مُتعهّد * بلى إنّ مَن تحت الترابِ بعيد

لمنصور النمرى فى رثاء ابن مزيد

وقال منصور النمرى يرثى يزيد بن مزيد :

١٥

متى يَبرُدِ الحُزنُ الذى فى فؤادنا * أبا خالد مِن بعد أن لا تلاقيا

أبا خالد ماكان أدهى مُصيبة * أصابت معدًّا يوم أصبحت ثاويا

لعَمْرى لئن سُرّ الأعادى وأظهروا * شماتا لقد سرّوا بربْعك خاليا

وأوْتارُ أقوام لديْك لويْتها * وزُرتَ بها الأجداث وهْىَ كما هيا

نُعزّى أمير المؤمنين ورهْطَه * بسيف لهم ماكان فى الحرب نابيا

٢٠

على مثلِ مالاقى يزيد بن مزيدٍ * عليه المنايا فالْقَ إن كنت لاقيا

وإن تك أفنتْه الليالى وأوْشكت * فإنّ له ذِكْراً سيُفْنى اللياليا

---

(١) فى بعض الاصول : « أضحى ».

(٢) فى بعض الاصول : « إبراهيم بن هبيرة ».

وقال :

سأبكيك ما فاضت دُموعى فإن تغِض ٭ فحسبُك منى ما تُجِنُّ الجوانحُ

كأنْ لم يمت حيٌّ سواك ولم تقم ٭ على أحــد إلَّا عليك النَّوائح

لئن حُسنت فيك المراثى وذِكْرُها ٭ لقد حُسنتْ من قبل فيك المدائحُ

٥ فما أنا من رُزْءٍ وإن جلّ جازعٌ ٭ ولا بسُرورٍ بعد موتك فارح

للأعجم يرثى المغيرة

وقال زياد الأعجم يرثى المغيرة بن المهلّب :

إنّ الشجاعة والسَّماحة ضُمِّنا ٭ قبراً بمرْوَ على الطريق الواضح

فإذا مررتَ بقبره فاعْقِرْ به ٭ كومَ الهجان وكلَّ طِرْفٍ سابح

وانضح جوانب قبره بدمائها ٭ ولقد يكون أخا دمٍ وذبائح

١٠ فالآن لمّا كنت أكملَ مَن مشى ٭ وافترّ نابُك عن شَباةِ القارح

وتكاملَت فيك المُروءةُ كلُّها ٭ وأعنْت ذلك بالفعالِ الصالح

للمهلبي فى رثاء المتوكل

للمهلبي من مرثيته للمتوكل :

لا حُزن إلا أراه دون ما أجدُ ٭ وهل كَمنْ فقدتْ عيناى مُفْتَقَدُ

لا يَبعدَنْ هالك كانت منيتُه ٭ كما هوى مِن عطاء الزُّبية الأسدُ

١٥ لا يدفع الناسُ ضيما بعد ليلتِهم ٭ إذ لا تُمدُّ على الجانى عليك يَدُ

لو أنّ سيْفى وعقْلى حاضران له ٭ أبليتُه الجهْد إذ لم يبله أحــد

هــلا أتته أعاديه مُجاهَرةً ٭ والحرب تُسعَر والأبطال تجتلد[1]

فخرَّ فوق سرير المُلك مُنجدلا ٭ لم يَحْمه مُلكه لمّا انقضى الأمد

قد كان أنصارُه يَحمون حوزتَه ٭ وللرَّدى دون أرصاد[2] الفتى رصَد

٢٠ وأصبح الناس فوضى يَعجبون له ٭ ليثاً صريعاً تَنْزَى حوله النقد

علَتْك أسيافُ من لا دونَه أحدٌ ٭ وليس فوقك إلّا الواحدُ الصَّمد

(١) فى بعض الأصول « تطرد » .

(٢) فى بعض الأصول « أنصار »

جاءوا لدنيا عظيمٍ يَسْعَدون بها ٭ فقد شَقوا بالذى جاءوا وما سَعِدوا
ضجت نساؤك بعد العز حين رأت ٭ خداً كريماً عليه قارتٌ جَسِد
أضحى شهيدُ بنى العباس موعظةً ٭ لكلّ ذى عِزّة فى رأسه صيد
خليفة لم يَنَلْ ما ناله أحدٌ ٭ ولم يُصغْ مثلَه رُوحٌ ولا جسد
كم فى أديمك من فوهاء هادرةٍ ٭ من الجوائف يَغلِى فوقها الزَّبد ٥
إذا بكيت فإنّ الدمعَ مُنهمِل ٭ وإن رثيت فإنّ القولَ مطّرِد
قد كنتُ أسرِفُ فى مالى ويُخلِفُ لى ٭ فعلّمتْنى الليالى كيف أقتصِد
لما اعتقدتم أُناساً لا حُلومَ لهم ٭ ضعتم وضيّعتمُ من كان يُعتقَد
فلو جعلتم على الأحرارِ نِعمتَكم ٭ حمَتْكمُ السادةُ المركوزةُ الحُشُد
قومٌ هم الجذمُ والأنسابُ تجمَعُكم ٭ والمجدُ والدينُ والأرحامُ والبلد ١٠
قد وَتّر الناسَ طرًّا ثم قد صمتوا ٭ كأنما كان ما يتلونه رَشَد
إذا قريشٌ أرادوا شدَّ مُلكِهمُ ٭ بغير قحطانَ لم يبرحْ به أوَد
مِن الأُلَى وهبوا للمجدِ أنفسَهم ٭ فما يَنالون ما نالوا إذا حمِدوا

وقال آخر: لبعض الشعراء

وفتى كأنّ جبينَه بدرُ الدُّجا ٭ قامت عليه نوادبٌ وروامِس ١٥
غرَسَ الفسيلَ مؤمِّلا لبقائه ٭ فنَما الفسيلُ ومات عنه الغارِس

وقال الأسود بن يعفر: لابن يعفر

ماذا أُؤمّلُ بَعد آلِ محرّقٍ ٭ تركوا منازلهم وبعد إيادِ
أهل الخورْنق والسديرِ وبارقٍ ٭ والقصرِ ذى الشرُفاتِ من سِنداد
نزلوا بأنقرةٍ يسيلُ عليهمُ ٭ ماءُ الفراتِ يجىء من أطواد ٢٠
جرت الرياحُ على محلِّ ديارهم ٭ فكأنما كانوا على ميعاد
ولقد غنَوْا فيها بأنعمِ عيشةٍ ٭ فى ظلِّ مُلكٍ ثابتِ الأوتاد
فإذا النعيمُ وكل ما يُلْهى به ٭ يوماً يصيرُ إلى بِلى ونَفاد

لعبيد بن الأبرص

وقال عَبيد بن الأبرص :

ياحارِ ماراح من قومٍ ولا ابتكروا * إلا وللموتِ فى آثارهم حادى
ياحار ما طلعتْ شمسٌ ولا غرَبتْ * إلا تقرِّبُ آجالا لِميعادِ
هل نحن إلا كأرواحٍ يُمَرُّ بها * تحتَ الترابِ وأجسادٌ كأجساد

الحجاج فى بن خارجة

٥ لما مات أسماء بن خارجة الفَزَّارى قال الحجاج : ذلك رجل عاش ما شاء ، ومات حين شاء .

لبعض الشعراء فيه

وقال فيه الشاعر :

إذا مات ابنُ خارجةَ بن زيدٍ * فلا مَطَرت على الأرضِ السماءُ
ولا جاء البريدُ بغُنْمِ جيشٍ * ولا حملتْ على الطُّهْر النساء
١٠ فيومٌ منك خيرٌ من رجالٍ * كثيرٍ عندَهم نَعَمٌ وشاء

لمسلم بن الوليد

وقال مسلم بن الوليد الأنصارى :

أمسعودُ هل غاداك يومٌ بفرحة * وأمسيتَ لم تَعرِض لها التَّرَحاتُ
وهل نحن إلا أنفسٌ مستعارةٌ * تَمُرُّ بها الرَّوحاتُ والغدَوات
بكيتَ وأعطتْك البكاءَ مصيبةٌ * مضتْ وهى فردٌ ما لها أخوات
١٥ كأنك فيها لم تكن تعرِف العَزا * ولم تعمدْ غيرَك النَّكبات
سقى الضاحكُ الوسمىُّ أعظمَ حفرةٍ * طواها الردى فى اللَّحدِ وهْى رُفات
أرى بهجةَ الدنيا رجيعَ دوائرٍ * لهنَّ اجتماعٌ مرة وشَتات
طوى أيدىَ المعروفِ مصرعُ مالك * فهنَّ عن الآمالِ منقبِضات

وقال أيضاً [1] :

٢٠ أمّا القبورُ فإنهن أوانسٌ * بجوارِ قبرِك والديار قبورُ
عَمَّت فواضله وعمَّ مُصابُه [2] * فالناسُ فيه كلهم مأجور

(١) ينسب هذا الشعر للتيمى فى رثاء منصور بن زياد
(٢) فى بعض الأصول : « عمت مصيبته وعم هلاكه » .

ردّتْ صنائعُه إليه حياتَه * فكأنه من نشرها منشورُ

لأشجع فى ابن زياد

وقال أشجع بن عمرو السُّلمى يرثى منصور بن زياد :

يا حُفرةَ الملك المؤمَّل رفدُه * مافى ثراك من النَّدى والخيرِ ؟

لازلت فى ظِلَّيْن ظلّ سحابةٍ * وطفاء دانيةٍ وظلّ حُبورِ

وسَقَى الولىُّ على العِهادِ عِراصَها * والآكَ مِن قبرٍ ومن مقبورِ

يايومَ منصورٍ أبحْتَ حِمَى النَّدى * وفجعتَه بوليّه المذكور

يا يومَه أعريتَ راحلةَ الندى * مِن ربها وحرمْت كلَّ فقيرِ

يا يومَهُ ماذا صنعتَ بمُرْمِلٍ * يرجو الغنى ومُكبَّلٍ مأسورِ

يا يومه لو كنتَ جئت بنُصحه * فجمعت بين الحىِّ والمقبورِ !

للهِ أوصالٌ تقسَّمَها البِلى * فى اللَّحدِ بين صَفائحٍ وصُخورِ

عجبًا لخمسةِ أذرُعٍ فى خمسةٍ * غطَّت على جَبلٍ أشمَّ كبيرِ

مَن كان يملأُ عرضَ كلِّ تنوفةٍ * واراهُ حولاً ملحدٌ محفور

ذلّت بمصرعِه المكارمُ والنَّدى * وذُبابُ كلِّ مُهنَّدٍ مأثورِ

أفلت نجومُ بنى زيادٍ بعدما * طلَعت بنورِ أهلّةٍ وبُدورِ

لولا بقاءُ محمد لتصدّعت * أكبادُنا أسفاً على منصورِ

أبقَى مكارمَ لا تبيدُ صفاتُها * ومضَى لِوقتِ حِمامِه المقدور

أصبحْت مهجورا بحُفرتِك التى * بُدّلتَها من قصرِك المعمور

بلِيَتْ عظامُك والصفاحُ جديدةٌ * ليس البِلى لفعالِك المشهورِ

إن كنت ساكنَ حُفرةٍ فلقدترى * سكنًا لعُودَىْ مِنبرٍ وسريرِ

وله فى ابن منصور

وقال يرثى محمد بن منصور :

أنعى فتى الجودِ إلى الجودِ * ما مِثلُ من أنعى بموجودِ

أنعى فتى مصّ الثرى بعده * بقيةَ الماء من العودِ

فانثلم المجدُ به ثلمةً * جانبُها ليس بمسدودِ

أنعى ابن منصور إلى سيِّدٍ ۞ وأيِّدٍ ليس برعديدِ
وأشعثٍ يسعى على صِبية ۞ مثلِ فراخ الطير مجهودِ
وطارقٍ أعيا عليه القِرى ۞ ومسلم فى القيد مصْفود
اليومَ تُخْشَى عثراتُ النَّدى ۞ وعدوَةَ البُخلِ على الجود
أورَدَهُ حوضاً عظيم الشأى ۞ فى المجدِ يومٌ غيرُ محمُودِ ٥
كلُّ امرئٍ يجرى إلى مُدَّةٍ ۞ وأجلٍ قد خُطَّ معْدُود
سيَنطِقُ الشعرُ بأيامه ۞ على لسانٍ غير معقودِ
فكلُّ مفقود إلى جَنبه ۞ وإن تغالى غيرُ مفقودِ
ياوافِدَىْ قومِهما إنَّ مَنْ ۞ طلبْتُما تحت الجلاميدِ
طلبْتُما الجودَ وقد ضَمَّهُ ۞ محمدٌ فى بطنِ ملحودِ ١٠
فاتَكُما الموتُ بمعروفِه ۞ وليس ما فاتَ بمردُودِ
يا عضُداً للمجدِ مفتوقة ۞ وساعداً ليس بمعضودِ
أوْهَن زَندَيْها وأكبادُهما ۞ قرعُ المنايا فى العناديدِ
وهدّتِ الركنَ الذى كان بالـ ۞ ـأمسِ عماداً غيرَ مهدودِ

١٥ وقال حبيب الطائى يرثى خالد بن يزيد بن مزيد :

الطائى فى رثاء خالد بن يزيد

أشيبانُ لاذاك الهلالُ بطالعٍ ۞ علينا، ولا ذاك الغمامُ بعائدِ
أشيبانُ عمَّت نارُها من رزيئة ۞ فما تشتكى وجداً إلى غير واجدِ
فما جانبُ الدنيا بسهل ولا الضُّحى ۞ بطلقٍ ولا ماء الحياة ببارِدِ
فيا وحْشة الدنيا وكانت أنيسةً ۞ ووَحدةَ من فيها بمصرعِ واحدِ

٢٠ وأنشد أبو محمد التَّيمى[1] فى يزيد بن مزيد :

التيمى فى يزيد ابن مزيد

أحـقا أنه أودَى يزيدُ ۞ فبيِّنْ أيها الناعى المشيدُ

(١) فى بعض الأصول « الليثى » .

أتدرى من نعيتَ[1] وكيف فاهتْ * به شفتاك وارك الصعيدُ
أحامى الملكِ والإسلام أودَى * فما للأرض ويحكَ لاتميدُ
تأمّل هل ترى الإسلام مالت * دعائمُه وهل شاب الوليدُ
وهل شِيمَتْ سيوف بنى نزارٍ * وهل وُضعت عن الخيل اللُّبودُ
وهل تَسْقِى البلاد عِشارُ مُزْنٍ * بِدِرّتها وهل يخضرُّ عودُ
أما هُدّتْ لمصرعِه نزارٌ * بلَى ، وتقوّض المجدُ المشيدُ
وحلَّ ضريحَهُ إذ حلَّ فيه * طريفُ المجدِ والمجدُ التليدُ
وهُدَّ العزُّ والإسلامُ لمّا * ثوى وخليفةُ اللهِ الرشيدُ
لقد أوفَى ربيعةَ كلّ نحس * لِمَهْلكه وغُيّبت السُّعودُ
وأُنصلتِ الأسنّة من قناها * وأُشرعَتِ الرّماحُ لمن يكيدُ
نعِيُّ يزيدَ إن لم يبقَ بأسٌ * غداةَ مضى وإن لم يبقَ جودُ
نعِيُّ أبى الزُّبير لكلّ يومٍ * عبوسِ الوجهِ زينتُه الحديدُ
أأودى عِصمةُ البارى يزيدُ * وسيفُ اللهِ والغيثُ الحميدُ
فمن يحمى حِمَى الإسلامِ أم مَن * يَذُبُّ عنِ المكارهِ أو يذودُ
ومَن يدعو الأنامَ لِكلِّ خطْبٍ * يُخافُ وكلِّ مُعضلةٍ تؤود
ومَن تُجلَى به الغمراتُ أم مَن * يقومُ بها إذا اعوجّ العَتودُ
ومن يحمى الخميسَ إذا تعايا * بحيلةِ نفسه البطَلُ النَّجيد
وأينَ يؤمُّ مُنتجعٌ ولاجٍ * وأين تَحُطُّ أرحُلَها الوفودُ
لقد رُزِئتْ نزارٌ يومَ أودى * عميداً ما يُقاسُ به عميد
فلو قَبِل الفِداءَ فداه مِنّا * بمُهجتِه المُسوَّدُ والمَسودُ
أبعْدَ يزيدَ تختزنَ البواكِى * دُموعاً أو تُصان لها خُدود
أمَا باللهِ لا تنفَكُّ عينى * عليهِ بدمعِها أبداً تجودُ

(١) فى بعض الاصول : « أبن لى كيف قلت ».

وإنْ تجمُد دمُوع لئيم قومٍ ٭ فليس لدمْع ذى حسَب جُمودُ
وإنْ يكُ غالَه حسَب فأودَى ٭ لقد أودى وليس له نَديد
وإن يعثرْ به دهرٌ لمـا قدْ ٭ يُفادِى من مخافته الأسُود
وإن يَهلِكْ يَزِيدُ فكلُّ حيّ ٭ فريسٌ للمنيَّة أو طريد
٥ فإن يك عن خلودٍ قد دعته ٭ مآثِرُه فكان لها الخُلود
فما أودى آمرؤ أودَى وأبقى ٭ لوارثِه مكارم لا تَبيد
ألم تعلم أخى أنّ المنايا ٭ غدَرنَ به وهنّ له جنود
قَصدنَ له وكنّ يَحِدْن عنه ٭ إذا ما الحرب شبَّ لها الوَقود
فهلّا يوم يقـدَمُها يزيد ٭ إلى الأبطال والخيلان حِيد
١٠ ولو لاقَى الُحتوفَ على سواء ٭ للَاقاها به حتْف عنيـد
أضرّابَ الفوارس كلَّ يومٍ ٭ ترى فيه الُحتوفُ لها وَعيد
فمن يرْضى القواطعَ والعوالى ٭ إذا ما هزها فزعٌ شـديد
لتَبكِكَ قُبة الإسلام لمَّا ٭ وَهتْ أطنابُها وهَى العمود
ليبْكك مُرهَق يتلوه خيْل ٭ إبالَة[1] وهْو مجْدول وحيد
١٥ ويبْكك خامِل ناداك لمّـا ٭ تَوا كَلَه الأقارب والبعيد
ويبكك شاعر لم يُبق دهر ٭ له نَشَباً وقد كسَد القصيد
تَركْتَ المشْرفيّة والعَوالى ٭ مُحلَّأةً وقد حان الوُرود
وغادرْتَ الجيادَ بكلّ لُغزٍ ٭ عواطلَ بعد زينتها تَرود
فإن تُصبحْ مُسلَّمة فمّما ٭ تُفيد بها الجَزيل وتستفيد
٢٠ ألم تكُ تكشِف الغمَرات عنها ٭ عوابسَ والوُجوه البيضُ سُود
أُصيبَ المجدُ والإسلام لمـا ٭ أصابك بالردى سهمٌ شديد
لقد عزّى ربيعةَ أنّ يوما ٭ عليها مثل يومِك لا يعود

(١) فى بعض الاصول : « أباسل »

ومثلك مَن قصدْن له المنايا * بأسهمها وهُنّ له جُنود
فيا للدهر ما صنعتْ يداه * كأنّ الدهر منها مُستفيد
سَقى جدَثاً أقام به يزيد * من الوسْميّ بسَّامٌ رَعود
فإنْ أجزعْ لمهلِكه فإنى * على النّكبات إذ أوْدى جَليد
ليذهبْ مَن أراد فلستُ آسَى * على مَن مات بعدك يا يزيد ٥

لابن أبي حفصة في رثاء معن

وقال مروان بن أبي حفصة يرثى معن بن زائدة :

زار ابنُ زائدة المقابرَ بعد ما * ألقتْ إليه عُرى الأمُور نِزارُ
إن القبائل من نزارٍ أصبحتْ * وقلوبُهـا أسفاً عليه حِرار
ودّت ربيعة أنها قُسمتْ له * منها فعاش بشطْرِها الأعمار
فلأبكيَنّ فتى ربيعة ما دَجا * ليـلٌ بظلْمته ولاح نَهـار ١٠
لا زال قبرُ أبي الوليد تجودُه * بعِهادها وبوَبلها الأمطار
قبرٌ يضُم مع الشجاعة والنّدى * حِلْمـا يُخالطهُ تُقًى ووقار
إن الرزيّة من ربيعة هالكٌ * ترَك العيونَ دموعهنّ غِزار
رحْبُ السُّرادقِ والضِّياءِ جبينُه * كالبدرِ شقّ ضياءَهُ الإسفار
لهفاً عليك إذا الطِّعان بمارقٍ * ترَك القَنا وطوالُهنّ قِصار ١٥
خَلّى الأعِنّة يوم مات مُشيَّعٌ * بطلُ اللّقـاءِ مُجرّبٌ مِغوارُ
يُمسِي ويصبحُ مُعلماً تذكى به * نارٌ بمُعترك وتخمـدُ نار
مهما يُمِرّ فليس يَرجو نقضَهُ * أحدٌ وليس لنقْضِـه إمرارُ
لو كان خلفكَ أو أمامَكَ هائباً * أحداً سواك لهابَكَ المقدار

وقال يرثيه : ٢٠

بكى الشامُ معْناً يوم خلّى مكانهُ * فكادت له أرضُ العراقين ترجُفُ
ثوَى القائدُ الميمونُ والذائدُ الذى * به كان يُرمَى الجانبُ المتخوَّف
أتى الموتُ مَعْناً وهوَ للعِرْضِ صائنٌ * وللمجدِ مُبْتاعٌ وللمالِ مُتلِفُ

وما مات حتى قــلّدته أمورَها * ربيعة والحيّان قيس وخِنْدِفُ
وحتى فشا فى كلّ شرقٍ ومغربٍ * أيادٍ له بالضُّرّ والنفعِ تُعــرَف
وكم من يَدٍ عندى لِمَعْنٍ كريمةٍ * سأشكرُها ما دامتِ العينُ تطرِف
بكتْه الجِيادُ الأعوجيّةُ إذ ثَوَى * وحَنّ مع النَّبْعِ الوشيج المثقَّف
٥ وقد غَنِيتْ ريح الصَّبا فى حياته * قَبولاً فأمستْ وهى نكْباء حَرجَف

لأبى الشيص فى رثاء الرشيد ومدح الأمين

وقال أبو الشيص يرثى هارون الرشيد ويمدح ابنه محمد بن زبيدة الأمين :

جرتْ جَوَارٍ بالسعدِ والنحسِ * فنحن فى وحشةٍ وفى أُنُس
العين تبكى والسِّنُّ ضاحكة * فنحن فى مأْتمٍ وفى عُرْس
يُضحِكُنا القائم الأمينُ ويُبكِينا وفاةُ الإمامِ بالأمس
١٠ بَدرانِ بدر أضحى ببَغدادَ فى الــخُلْدِ وبدر بِطُوسَ فى الرَّمْس

للعتبى

وأنشد العتبى :

والمرء يَجمَعُ ماله مستهتِراً * فرِحاً وليس بآكلٍ ما يجمعُ
ولَيأْتِينّ عليك يوماً مرة * يُبكى عليك مُقنَّعاً لا تَسْمَع

للغدانى فى ابن ظبيان

وقال حارثة بن بدر الغُدَانى يرثى زياد بن ظَبيان :

١٥ صلى الإلهُ على قبرٍ وطهّــرَه * عنــد الثَّوِيّة يُسفَى فوقَه المُورُ
زَفّتْ إليه قريش نَعْشَ سيدِها * فثَمّ كلُّ التُّقَى والبِرّ مقبور
أبا المُغِــيرةِ والدُّنيا مغــيِّرةٌ * وإنّ مَن غَرّت الدنيا لَمغرور
قد كان عندَك للمعروفِ معرفة * وكان عندَك للتنكيرُ تنكير
لو خَلّدَ الخيرُ والإسلامُ ذا قدَمٍ * إذاً لخــلّدك الإسلامُ والخير
٢٠ قد كنتَ تَخشى وتُعطِى المالَ من سعةٍ * إن كان بيتُك أضحى وهْو مهجور

لابن توسعة فى رثاء المهلب

وقال نهار بن تَوْسِعة يرثى المهلّب :

ألَا ذهبَ الغزْوُ المقرِّبُ للغنَى * ومات الندَى والحزمُ بعد المهلَّبِ
أقام بِمَرْوِ الرُّوذِ رَهْن ضريحِه * وقد غُيِّبا عن كلّ شرقٍ ومغرب

للمهلهل فى رثاء كليب

وقال المهلهل بن ربيعة ؛ يرثى أخاه كليب بن وائل ؛ وكان كليب إذا جلس لم يرفع أحد بحضرته صوته :

ذهب الخيارُ من المعاشرِ كلهم ۞ واستبَّ بعدكَ يا كليبُ المجلسُ
وتناولوا من كل أمر[1] عظيمة ۞ لو كنتَ حاضرَ أمرِهم لم ينبسوا

لابن المعذل فى رثاء سعيد ابن سلم

٥ وقال عبد الصمد بن المُعذل يرثى سعيد بن سَلْم :

كم يتيمٍ جبَرْتَهُ بعــدَ يُتْمٍ ۞ وعديمٍ نعَشْتَه بعــدَ عُدْمِ
كلُّ ما عُضَّ بالحوادث نادى ۞ رضى اللهُ عن سعيدِ بنِ سَلْمِ

لابن أخت تأبط شرا يرثى خاله

وقال ابن أخت تأبط شرًّا يرثى خاله تأبط شرًّا الفهمىّ ؛ وكانت هُذيل قتلته :

إنَّ بالشِّعْب الذى دون سَلعٍ ۞ لَقتيــلاً دمُهُ ما يُطَـلُّ
١٠ قذَفَ العِبْءَ علىَّ وولَّى ۞ أنا بالعِبْءِ له مســتقِلُّ
ووراءَ الثأْرِ منى ابنُ أُخْتٍ ۞ مَصِعٌ عُقْــدَتُه ما تُحَلُّ
مُطْرِقٌ يَرْشح موْتاً كما أطْــرَقَ أفعى يَنفُث السُّمَّ صِلُّ
خَــبَرٌ ما نابَنا مُصْمئِلٌّ ۞ جلَّ حتى دقَّ فيه الأجلُّ
بزَّنى الدهر وكان غَشوما ۞ بأبِيٍّ جارُه ما يُذَلُّ
١٥ شامسٌ فى القرِّ حتى إذا ما ۞ ذكَتِ الشِّعْرى فبردٌ وظلُّ
يابسُ الجنْبيْن من غير بؤسٍ ۞ ونَدِىُّ الكفَّين شهْمٌ مُدِلُّ
ظاعنٌ بالحزْم حتى إذا ما ۞ حَلَّ حلَّ الحزْمُ حيث يحُلُّ
وله طعْمان أرْىٌ وشَرْىٌ ۞ وكِلاَ الطَّعْمين قد ذاق كلُّ
رائحٌ بالمجــد غادٍ عليه ۞ من ثياب الحمد ثوْبٌ رِفَلُّ
٢٠ أفتحُ الراحةِ بالجود جَوَاداً ۞ عاش فى جدْوَى يَدَيْه المُقِلُّ
مُسْبِلٌ فى الحىِّ أحْوى رِفَلٌّ ۞ وإذا يَغزو فسِمْعٌ أزلُّ

---

(١) فى بعض الاصول : « وتكلموا فى أمر كل »

يركَبُ الهوْلَ وحيداً ولا يَصـــحبه إلّا اليمـــانى الأفَلّْ

فاحتسوْا أنفاسَ يوم فلمـا ۞ هوَّموا رُعْتَهم فاشمعلّوا

كلُّ ماضٍ قد تردّى بماضٍ ۞ كسَنَا البرق إذا ما يُسلّْ

فلئن فَلَّتْ هُذيلٌ شِباهُ ۞ لبِما كان هُذيلا يَفُل

ويما أبرَكَها فى مُناخ ۞ جَعْجَعٍ يَنقَب منه الأظلّْ ٥

صليتْ منه هُذيلٌ بخِرْقٍ ۞ لا يَملُّ الشرَّ حتى يمَلّوا

يُنْهِلُ الصَّعْدَةَ حتى إذا ما ۞ نَهِلَت كان لها منه عَلّْ

تَضحك الضَّبع لقتْلى هُذيل ۞ وترى الذئب لها يستهلّْ

عِتــاق الطيْر تَهفو بطانا ۞ تتخطَّاهم فما تستقلّْ

وفُتُوٌّ هجَّــروا ثم أسْروْا ۞ ليلهم حتى إذا انجاب حَلّوا ١٠

فاسقنيها يا سَوَاد بن عمرو ۞ إنّ جسمى بعد خالى لخَلّْ

وقال أمية بن أبى الصلت يرثى قتلى بدر من قريش :

لابن أبى الصلت يرثى قتلى بدر

ألّا بكَيْت على الكرا ۞ م بنى الكرام أُولى الممادِحْ

كبُكا الحَمام على فُرو ۞ ع الأيْك فىالغصن الجوانحْ

يبكين حَرَّى مستكينـــات يرُحن مع الروائحْ ١٥

أمثالهن الباكيا ۞ تُ المُعْوِلات من النوائحْ

من يبكهم يبكى على ۞ حُزنٍ ويَصْدُق كل مادحْ

من ذا ببدرٍ فالعقَنْقَلِ من مرازبة جَحاجحْ

شُمْطٍ وشُبَّان بها ۞ ليلٍ مَغاويرٍ وحاوِحْ

ألا ترون لما أرى ۞ ولقد أبان لكلّ لامحْ ٢٠

أن قد تغيَّر بطنُ مكَّـــة فهْىَ مُوحشةُ الأباطحْ

مِن كلّ بِطْريقٍ لبِطْــريقٍ نقِيِّ اللوْن واضح

دُعموص أبواب الملو ۞ ك وجائب للخرْق فاتحْ

ومن السراطِمة الحلا * جمــةَ الملازِبة المَناجحْ
القــائلين الفـاعلِـــن الآمرين بكل صالح
المُطْعمين الشَّحم فوْ * ق الخبز شحما كالأنافحْ
نُقُلُ الجِفان مع الجِفا * ن إلى جِفان كالمناضحْ
ليست بأصفار لمن * يعفو ولا رَحّ رَحارِح ٥
للضيف ثم الضيف بعــدالضيف والبُسْط السلاطح
وُهُبَ المِئين من المِئــين إلى المِئين من اللَّواقحْ
سَوق المُؤبَّل للمُؤ * بَّل صادراتٍ عن بلادِح
لكرامِهم فوْق الكِرا * م مَزِيَّةٌ وزْن الرَّواجح
كتَثاقل الأرطال بالــقسطاس فى الأيدى المَوائحْ ١٠
لله دَرُّ بنى علىٍّ * أيِّمٍ منهم وناكح
إن لم يُغِيروا غارةً * شَعْواء تُحجِر كلَّ نابحْ
بالمُقربات المُبْعِدا * ت الطَّامِحاتِ مع الطَّوامحْ
مُرْداً على جُرْدٍ إلى * أُسْدٍ مُكالبةٍ كوالح
ويُلاق قِرْن قِرْنَه * مشْىَ المُصافِح للمصافحْ ١٥
بزُهاءِ ألفٍ ثم ألــفٍ بين ذى بدنٍ ورامحْ
الضَّــاربين التَّقْدُمِيَّــة بالمُهنَّدة الصفائح

روى الاخفش لسهل بن هارون : سهل بن هارون

ما للحوادث عنك منصرَفُ * إلا بنفسٍ مالهـا خلفُ
فكأنهـا رامٍ على حَنَقٍ * وكأننى لِسهامِها هــدَف ٢٠
دهرٌ سُررتُ به فأعقبنى * حُزناً به ما عشت ألتحفُ[1]

(١) فى بعض الأصول : « جريانة ماعشت ألتقف ».

فأبْكِ الذى ولّى لمهلكِه ٭ عنك السّرورُ وخُلِّفَ الأسفُ

إذ لا يردُّ عليك ما أخذَتْ ٭ منك الحوادثُ دمعةٌ تَكِفُ

قبرٌ بمختلَف الرِّياح ، به ٭ منْ لست أبلُغه بما أصف

أنسَ الثَّرى بمحلِّه وله ٭ قد أوْحش المُستأنس الألِفُ

٥ فالصّبر أحسنُ ما اعتصَمْت به ٭ إذ ليس منه لذىّ مُنتصِف

لفروة الحرورى فى رثاء الخوارج

وقال فروة بن نوفل الحرورىّ ، وكان بعض أهل الكوفة يقاتلون الخوارج ويقولون : والله لنحرقنّهم ولنفعلن ولنفعلن . فقال فى ذلك فروة بن نوفل ، وكان من الخوارج :

ما إنْ نُبالى إذا أرواحُنا قبِضتْ ٭ ماذا فعلْتُم بأجسادٍ وأبشارِ

١٠ تجرى المَجرّةُ والنَّسرانِ بينهما ٭ والشّمس والقمرُ السّارى بمقْدار

لقد علمت وخيرُ العلم أنفعُه ٭ أنّ السعيدَ الذى ينجو من النار

وله فى رثاء قومه

وقال يرثى قومه :

هُمُ نصبوا الأجساد للنّبْل والقنا ٭ فلم يَبق منها اليوم إلا رميمها

تظَل عِتاقُ الطير تحجِل نحوهم ٭ يُعلِّلْنَ أجساداً قليلا نعيمُها

١٥ لِطاف بَراها الصوْم حتى كأنها ٭ سُيوف إذا ما الخيْل تَدْمى كلومُها

التعازى

لابن أبى بكر يعزى سليمان فى ابنه

قال عبد الرحمن بن أبى بكر لسليمان بن عبد الملك يعزيه فى ابنه أيوب ، وكان ولىّ عهده وأكبر ولده : يا أمير المؤمنين ، إنه من طال عمره فقَدَ أحِبّته ، ومن قصر عمره كانت مصيبته فى نفسه ؛ فلو لم يكن فى ميزانك لكنت فى ميزانه !

٢٠ وكتب الحسن بن أبى الحسن إلى عمر بن عبد العزيز يعزّيه فى ابنه عبد الملك :

وعُوّضتَ أجراً من فقيدٍ ، فلا يكن ٭ فقيدُك لا يأتى وأجرُك يَذهبُ

[٢٩ — ٣]

لابن جريج يعزى ابن الأهتم

العتبي قال : قال عبد الله بن الأهتم : مات لى ابن وأنا بمكة ، فجزعت عليه جزعا شديداً ؛ فدخل علىّ ابنُ جُريج يعزينى ، فقال لى : يا أبا محمد ، آسلُ صبراً واحتساباً ، قبل أن تسلو غفلة ونسيانا كما تسلو البهائم .

وهذا الكلام لعلىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه يُعزى الأشعث بن قيس فى ابن له ، ومنه أخذ ابن جريج ؛ وقد ذكره حبيب فى شعره فقال : ٥

وقال علىٌ فى التَّعازِى لِأَشْعَث * وخافَ عليه بعضَ تلكَ المآثِمِ

أتَصْبِرُ لِلبلْوَى عَزاءً وحِسْبَةً * فتُؤْجَرَ أمْ تَسْلو سُلُوَّ البهائِمِ

على والأشعث فى وفاة ابنه

أتى علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه لأشعث يعزيه عن ابنه ، فقال : إن تحزن فقد استحقَت ذلك منك الرحم ، وإن تَصبر فإن فى الله خَلَفا من كل هالك ، مع أنك إن صبرتَ جرى عليك القدر وأنت مأجور ، وإن جزِعْتَ جرى عليك القدر وأنت آثم . ١٠

لابن السماك يعزى رجلا

وعزّى ابن السماك رجلاً فقال : عليك بالصبر ، فبه يعمل من احتسب ، وإليه يصير من جزع ، واعلم أنه ليست مصيبةٌ إلا ومعها أعظمُ منها ، من طاعة الله فيها أو معصيته بها .

لصالح المرى فى مثله

الأصمعى قال : عزى صالحٌ المُرى رجلا بابنه ، فقال له : إن كانت مصيبتُك لم تُحدث لك موعظة ، فمصيبتك بنفسك أعظم من مصيبتك بابنك ؛ واعلم أن التهنئة على آجِلِ الثواب أولى من التعزية على عاجل المصيبة . ١٥

لوالد العتبى فى مثله

العتبى قال : عزى أبى رجلا فقال : إنما يستوجب على الله وعدَه مَن صبر لِحقّه ، فلا تجمع إلى ما فجعت به الفجيعةَ بالأجر ، فإنها أعظم المصيبتين عليك ، ولكل اجتماع فرقة إلى دار الحلول . ٢٠

لابن عباس يعزى عمر فى ابن له

عزّى عبدُ الله بن عباس عمرَ بنَ الخطاب رضى الله تعالى عنه فى بُنَىّ له صغير ؛ فقال : عوضك الله منه ما عوّضه الله منك .

لعلى فى العزاء

وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه إذا عزّى قوماً قال : عليكم بالصبر

فإن به يأخذ الحازم ، وإليه يرجع الجازع .

الحسن في المصيبة

وكان الحسن يقول في المصيبة : الحمد لله الذي آجرنا على ما لو كلفنا غيرَه لعجَزْنا عنه .

كتاب تعزية

٥ أما بعد : فإن أحق من تعزى ، وأولى من تأسَّى وسلَّم لأمر الله ، وقبِل تأديبَه في الصبر على نكبات الدنيا وتجرُّع غُصَص البلوى ـ من تنجز من الله وعده ، وفهم عن كتابه أمرَه ، وأخلص له نفسه ، واعترف له بما هو أهله ، وفي كتاب الله سلوةٌ من فقدِ كل حبيب وإن لم تطب النفس عنه ، وأنسٌ من كل فقيد وإن عظمت اللوعة به ؛ إذ يقول الله عز وجل : ﴿ كلُّ شَيْءٍ هالكٌ إلَّا

١٠ وجْهَهُ لهُ الحكْمُ وإليهِ تُرْجَعُونَ ﴾ وحيث يقول : ﴿ الذين إذا أصابتْهُمْ مُصيبة قالوا إنَّا لله وإنَّا إليْه راجعُونَ أولئِكَ عليهِمْ صلواتٌ من رَبِّهِمْ ورحمةٌ وأُولئك هُمُ المُهْتَدُونَ ﴾ والموت سبيل الماضين والغابرين ، ومورد الخلائق أجمعين ، وفي أنبياء الله وسالف أوليائه أفضل العبرة ، وأحسن الأسوة ، فهل أحدٌ منهم إلا وقد أخذ من فجائع الدنيا بأجزل الإعطاء ، ومن الصبر عليها باحتساب الأجر

١٥ فيها بأوفر الأنصباء .

فُجع نبيُّنا عليه الصلاة والسلام بابنه إبراهيم ، وكان ذخرَ الإيمان ، وقرة عين الإسلام ، وعقب الطهارة ، وسليل الوحي ، ونتيج الرحمة ، وحضين الملائكة ، وبقية آل إبراهيم وإسمعيل صلوات الله عليهم أجمعين ، وعلى عامة الأنبياء والمرسلين فعمت الثقلين مصيبته ، وخصت الملائكة رزيَّته . ورضى صلى الله عليه وسلم من

٢٠ فراقه بثواب الله بدلا ، ومن فقدانه بموعوده عوضاً ؛ فشكر قضاه واتبع رضاه ؛ فقال : « يحزن القلب ، وتدمع العين ، ولا نقول ما يُسْخِطُ الرب ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون ! »

وإذا تأمل ذو النظر ما هو مشرف عليه من غير الدنيا ، وانتصح نفسه

وفكره فى غيرها بتنقل الأحوال ، وتقارب الآجال ، وانقطاع يسير هذه المدة ـ
ذلت الدنيا عنده ، وهانت المصائب عليه ، وتسهلت الفجائع لديه ، فأخذ للأمر
أهبته ، واستعد للموت عدته ؛ ومن صحب الدنيا بحسن الروية ، ولاحظها بعين
الحقيقة ، كان على بصيرة من وشك زوالها .

٥ قال النبي صلى الله عليه وسلم : آذكروا الموتَ فإنه هادمُ اللذاتِ ومُنَغِّصُ
الشهوات . وليس شيء مما آقتصصت إلا وقد جعلك الله مقدماً فى العلم به ؛
ولعمرى إن الخطب فيما أُصبت به لعظيم ، غير أن معوَّضه من الأجر والمثوبة
عليه بحسن الصبر ، يهوِّنان الرزية وإن ثقلت ، ويسهلان الخطب وإن عظم ؛
فوهب الله لك من عصمة الصبر ما يكمل لك به زلفى الفائزين ، وقربة [1]
١٠ الشاكرين ، وجعلك من المَرضِيين قولا وفعلا ، الذين أعطاهم الحسنى ، ووفقهم
للصبر والتقوى .

فى عزاء عقبة بابنه

محمد بن الفضل عن أبى حازم قال : مات عُقبة بن عِياض بن غَنْم الفهرى ،
فعزّى رجل أباه فقال : لا تجزع عليه فقد قُتِل شهيداً ، فقال : وكيف أجزع على
من كان فى حياته زينةَ الدنيا ، وهو اليومَ من الباقيات الصالحات .

عزاء الأصمعى لجعفر بن سليمان فى أخيه

١٥ ابن الغار قال : حدثنا عيسى بن إسمعيل ، قال : سمعت الأصمعى يقول :
دخلت على جعفر بن سليمان وقد ترك الطعام جزعاً على أخيه محمد بن سليمان ،
فأنشدته بيتين ، فما برحت حتى دعا بالمائدة ، فقلت للأصمعى : ما هما ؟ فسكت ،
فسألته ؛ فقال : أتدرى ما قال الأحوص؟ قلت : لا أدرى . قال: قال الأحوص:

قدْ زادهُ كَلَفاً بالحُبِّ إذ مَنَعَتْ ﴿﴾ أحبُّ شىءٍ إلى الإنسان ما مُنِعا

٢٠ قال أبو موسى : والأبيات لأراكة الثقفى يرثى بها عمرو بن أراكة ويُعزّى
نفسه ، حيث يقول :

لعَمْرى لئنْ أَتبعْتَ عَيْنَكَ ما مضى ﴿﴾ به الدّهْرُ أو ساقَ الحِمامُ إلى القبر

(١) فى بعض الأصول : « ومزيد الشاكرين » .

لَتَسْتَنْفِدَنْ ماءَ الشئونِ بأَسْرِه * وإن كنت تمريهنّ مِن ثَبَجِ البحرِ
تَبيّنْ فإن كان البكا رَدَّ هالِكا * على أحدٍ فاجهَدْ بُكاكَ على عمرِو
فلا تَبكِ ميتاً بعدَ موتِ أحِبّةٍ * علِيٍّ وعبّاسٍ وآلِ أبى بكر

لمالك بن دينار فى أخيه

أبو عمر بن يزيد قال : لما مات أخو مالك بن دينار ، بكى مالك ، وقال : يا أخى ، لا تقرّ عينى بعدك حتى أعلم أفى الجنة أنت أم فى النار ؛ ولا أعلم ذلك حتى ألحق بك !

لأعرابية فى ميت

وقالت أعرابية ورأت ميتاً يدفن : جافى الله عن جنبيه الثّرى ، وأعانه على طول البِلَى .

لأعرابى يعزى

وعَزى أعرابىٌّ رجلا فقال : أوصيك بالرضا من الله بقضائه ، والتنجُّز لما وعد به من ثوابه ؛ فإن الدنيا دار زوال ولا بد من لقاء الله .

وعزى أيضاً رجلا فقال : إن من كان لك فى الآخرة أجرا ، خيرٌ لك ممن كان لك فى الدنيا سروراً .

الحسن وجازع على ابنه

وجزع رجل على ابنٍ له ، فشكا ذلك إلى الحسن ، فقال له : هل كان ابنك يغيب عنك ؟ قال : نعم ؛ كان مَغيبه عنى أكثر من حضوره . قال : فاتركه غائبا ، فإنه لم يَغب عنك غيبةً الأجرُ لك فيها أعظم من هذه الغيبة .

لنصرانى يعزى مسلما

وعزّى رجلٌ نصرانىٌّ مسلما ، فقال له : إنّ مثلى لا يعزّى مثلك ، ولكن انظر مازَهِد فيه الجاهلُ فارغب فيه .

لعلى بن الحسين فى ناعية

وكان على بن الحسين رضى الله عنه فى مجلسه وعنده جماعة ؛ إذ سمع ناعية فى بيته ؛ فنهض إلى منزله فأسكتَهُم ، ثم رجع إلى مجلسه ، فقالوا له : أمِنْ حدثٍ كانت الناعيه ؟ قال : نعم ! فعزوه وعجبوا من صبره ، فقال : إنا أهل بيت نطيع الله فيما نحب ، ونحمده على ما نكره .

تعزية : التمسْ ماوعد اللهُ من ثوابه بالتسليم لقضائه ، والانتهاءِ إلى أمْره ؛ فإن مافات غير مستدرَك .

وعزى موسى المهدى إبراهيم بن سلم على ابن له مات ، فجزع عليه جزعا

شديدا ، فقال له : أيسرُّك وهو بليّة وفتنة ، ويحزنك وهو صلوات ورحمة .

لابن جبير — سفيان الثورى ، عن سعيد بن جُبير قال . ما أُعطيت أمّةٌ عند المصيبة ما أُعطيت هذه الأمة من قولها : ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ . ولو أعطيها أحد لأعطيها يعقوب حيث يقول : ﴿ يا أسفا على يوسُفَ ! وابيضّت عيناهُ من الحُزْنِ فهو كَظيم ﴾ . ٥

لرجل يعزى رجلا — وعزى رجلٌ رجلا بابنٍ له فقال له : لو ذهب أبوك وهو أصلك ، وذهب ابنك وهو فرعك ؛ فما بقاء مَن ذهب أصله وفرعه .

تعازى الملوك

لأكثم يعزى ابن هند — العتبي قال : عزى أكثمُ بن صيفي عمرَو بن هند ملك العرب على أخيه ، فقال له : أيها الملك ، إن أهل هذه الدار سَفرٌ لايحُلون عُقَد الرِّحال إلا فى غيرها ، ١٠ وقد أتاك ما ليس بمردود عنك ، وارتحل عنك ما ليس براجع إليك ، وأقام معك من سيظعن عنك ويدعك ؛ واعلم أنّ الدنيا ثلاثة أيام : فأمس عظة وشاهد عدل ، فجعك بنفسه ، وأبقى لك وعليك حكمته . واليوم : غنيمة وصديق ، أتاك ولم تأته ، طالت عليك غيبته ، وستسرع عنك رحلته . وغد : لا تدرى من أهله ، وسيأتيك إن وجدك ! فما أحسن الشكر للنعم ، والتسليم للقادر ! وقد ١٥ مضت لنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء الفروع بعد أصولها ؟ واعلم أن أعظم من المصيبة سوء الخلف منها ، وخير من الخير معطيه ، وشر من الشر فاعله .

فى مهلك المنصور — لما هلك أمير المؤمنين المنصور ، قدمتْ وفود الأمصار على أمير المؤمنين المهدى ، وقدِم فيهم أبو العيناء المحدِّث ؛ فتقدم إلى التعزية فقال : آجَر اللهُ أميرَ المؤمنين على أميرِ المؤمنين قبله ، وبارك لأمير المؤمنين فيما خلفه له ؛ فلا ٢٠ مصيبة أعظم من مصيبة إمام والد ، ولا عقبي أفضل من خلافة الله على أوليائه ؛ فاقبل من الله أفضلَ العطية ، واصبر له على أعظم الرزيّة .

ولما مات معاوية بن أبي سفيان ، ويزيد غائب ؛ صلى عليه الضحاك

في موت معاوية ابن أبي سفيان

ابن قيس الفهري ، ثم قدم يزيد من يومه ذلك ؛ فلم يقدم أحد على تعزيته حتى دخل عليه عبد الله بن همام السلولي ، فقال :

آصبر يزيدُ فقد فارقت ذا مِقَةٍ ٭ واشكر حِباء الذى بالمُلْكِ حاباكا

لا رَزْء أعظمُ فى الأقوامِ فدعلموا ٭ ممّا رزِئتَ ولا عُقبى كعُقْباكا

٥ أصبحتَ راعِيَ أهلِ الأرض كُلِّهم ٭ فأنت ترعاهُمُ والله يرعاكا

وفى مُعاوية الباقى لنا خلَفٌ ٭ إذا نُعيتَ ولا نسمَعْ بمنْعاكا

فافتتح الخطباء الكلام .

عزاء شبيب المنصور فى أبي العباس

عزى شبيب بن شبة المنصور على أخيه أبي العباس فقال : جعل الله ثوابَ مارُزئت به لك أجراً ، وأعقبك عليه صبراً ، وختم ذلك لك بعافية تامة ، ونعمة ١٠ عامة ؛ فثواب الله خيرٌ لك منه ، وما عند الله خير له منك ، وأحق ما صُبر عليه ما ليس إلى تغييره سبيل .

لابن إسحاق يعزى بعض الخلفاء

وكتب إبراهيم بن إسحاق إلى بعض الخلفاء يعزّيه : إن أحق مَن عرف حقَّ الله فيما أخذ منه ، من عرف نعمته فيما أبقى عليه . يا أمير المؤمنين ، إن الماضى قبلك هو الباقى لك ، والباقى بعدك هو المأجور فيك ، وإن النعمة على الصابرين ١٥ فيما ابتُلوا به أعظم منها عليهم فيما يُعافَون منه

الرشيد وعبد الملك بن صالح

ودخل عبدُ الملك بن صالح دارَ الرشيد ، فقال له الحاجب : إن أمير المؤمنين قد أصيب الليلة بابنٍ له ووُلِد له آخر ! فلما دخل عليه قال سرك الله يا أمير المؤمنين فيما ساءك ، ولا ساءك فيما سرك ، وجعل هذه بهذه ، مثوبةً على الصبر ، وجزاءً على الشكر .

المأمون يعزى أم الفضل بن سهل

٢٠ ودخل المأمون على أم الفضل بن سهل يعزيها بابنها الفضل بن سهل فقال : يا أُمَّهْ ، إنك لم تفقدى إلا رؤيته ، وأنا ولدك مكانه ! فقالت : يا أمير المؤمنين ، إن رجلا أفادنى ولدا مثلك لجديرٌ أن أجزع عليه .

من عمر بن عبد العزيز إلى عماله بعد موت ولده

لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عماله : إن عبد الملك كان عبدا من عبيد الله ، أحسن الله إليه وإلىَّ فيه ؛ أعاشه ما شاء وقبضه حين شاء

وكان ـ ما علمت ـ من صالحى شباب أهل بيته قراءةً للقرآن وتحرِّيا للخير ، وأعوذ بالله أن يكون لى محبة أخالف فيها محبة الله ، فإن ذلك لا يحسن فى إحسانه إلىّ ، وتتابع نعمه علىّ ، ولأعلمن ما بكت عليه باكية ولا ناحت عليه نائحة ؛ قد نهينا أهله الذين هم أحق بالبكاء عليه .

عزاء زياد لسليمان بن عبدالملك فى ابنه

دخل زياد بن عثمان بن زياد على سليمان بن عبد الملك وقد توفى ابنه أيوب ٥ فقال : ياأمير المؤمنين إن عبد الرحمن بن أبى بكر كان يقول : من أحب البقاء ـ ولا بقاء ـ فليوطِّن نفسه على المصائب .

لعطاء يعزى يزيد فى معاوية

لما مات معاوية دخل عطاء بن أبى صَيفىّ على يزيد ، فقال : ياأمير المؤمنين أصبحتَ رُزئت خليفة الله ، وأُعطيت خلافةَ الله ؛ فاحتسب على الله أعظم الرزية واشكره على أحسن العطية . ١٠

لابن الوليد يعزى عمر بن عبدالعزيز فى ابنه

عزى محمد بن الوليد بن عُتبة عمر بن عبد العزيز على ابنه عبد الملك فقال : ياأمير المؤمنين ، أعِدّ لما ترى عدّة تكن لك جُنَّةً من الحزن وسِترا من النار ! فقال عمر : هل رأيت حزنا يُحتج به ، أو غفلة ينبِّه [١] عليها ؟ قال : ياأمير المؤمنين ، لو أن رجلا ترك تعزية رجل لعلمه وانتباهه لكُنْتَه ، ولكن الله قضى أن الذكرى تنفع المؤمنين . ١٥

عمر بن عبدالعزيز فى وفاة أخته

وتوفيت أخت لعمر بن عبد العزيز ، فلما فرغ من دفنها دنا إليه رجل فعزاه ، فلم يردّ عليه شيئا ؛ ثم دنا إليه آخر فعزاه فلم يرد عليه شيئا ، فلما رأى الناسُ ذلك أمسكوا عنه ومشوا معه ؛ فلما بلغ الباب أقبل على الناس بوجهه وقال : أدركت الناس وهم لا يُعزون بامرأة إلا أن تكون أُمًّا ، انقلبوا رحمكم الله .

لبعض الشعراء فى التعزية

وُجد فى حائط من حيطان تبع مكتوباً : ٢٠

اصبِرْ لدهر نال مِنْـ ـكَ فهكذا مَضَت الدُّهورُ
فَــرَحٌ وحُزنٌ مَرَّةً لا الحُزْن دام ولا السُّرورُ

(١) فى بعض الأصول : « يؤنب » .

للعتابي

وهذا نظير قول العتابى :

وقائلةٍ لمّا رأتنى مُسَهَّدا ٭ كأنّ الحشا منى تلذعُهُ الجمرُ

أباطِنُ داءٍ أم جَوًى بك قاتلٌ ٭ فقلتُ الذى بى ما يقومُ له صبرُ

تفرُّقُ أُلّافٍ وموتُ أحِبَّةٍ ٭ وفقدُ ذوى الأفضالِ قالت كذا الدهرُ

لابن طاهر يعزى المتوكل فى ابنه

٥ كتب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى المتوكل يعزيه بابن له :

إنى أُعزِّيك لا أنى على ثقةٍ ٭ مِنَ الحياةِ ولكنْ سُنَّةُ الدِّين

ليس المُعزَّى بباقٍ بعدَ ميِّته ٭ ولا المُعزِّى وإن عاشا إلى حين

لأبى عيينة

وقال أبو عيينة :

فإن أشكُ من ليلى بجُرجان طولَه ٭ فقد كنت أشكو منه بالبَصْرَة القِصَرْ

١٠ وقائلةٍ ماذا نأى بِك عنهمُ ٭ فقلت لها : لا عِلْم لى فَسَلِى القدَرْ

لحكيم يعزى سليمان بن عبد الملك فى ابنه

وقال بعض الحكماء لسليمان بن عبد الملك لما أُصيب بابنه أيوب : ياأمير المؤمنين إن مثلك لا يوعظ إلا بدون علمه ؛ فإن رأيت أن تقدّم ما أخرت العجزة فترضى ربك وتُريح بدنك من حسن العزاء والصبر على المصيبة ، فافعل .

للحسن يعزى عمر ابن عبد العزيز

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز يعزّيه فى ابنه عبد الملك ببيت شعر ، وهو :

١٥ وعُوِّضت أجراً من فقيد فلم يكُن ٭ فقيدُك لا يأتى وأجرُك يذهَبُ

للإسكندر يعزى أمه عن فقده

ولما حضرت الإسكندرَ الوفاةُ كتب إلى أمه أن اصنعي طعاما يحضره الناس ثم تقدمى إليهم أن لا يأكل منه محزون . ففعلت : فلم يبسط أحد إليه يده : فقالت : مالكم لا تأكلون ؟ فقالوا : إنك تقدمت إلينا أن لا يأكل منه محزون ، وليس منا إلا من قد أُصيب بحميم أو قريب ! فقالت : مات والله ابنى ! وما أوصى

٢٠ إلىّ بهذا إلا ليعزينى به !

لسهل بن هارون فى التعزية

وكان سهل بن هارون يقول فى تعزيته : إن أجر التهنئة بآجل الثواب ! أوجب من التعزية على عاجل المصيبة .

كتاب اليتيمة
فى النسب وفضائل العرب

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا فى النوادب والمراثى ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى النسب الذى هو سبب التعارف ، وسُلَّم إلى التواصل ؛ به تتعاطف الأرحام الواشجة ، وعليه تحافظ الأواصر القريبة . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ يأيها النّاسُ إنا خلقناكم من ذكَر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائلَ لِتَعارَفوا ﴾ . فمن لم يعرف النسب لم يعرف النـاس ، ومن لم يعرف الناس لم يُعَدّ من الناس . ٥

فى الحديث — وفى الحديث : تعلموا من النسب ما تَعرِفون به أحسابَكم وتَصِلون به أرحامَكم . ١٠

لعمر بن الخطاب — وقال عمر بن الخطاب : تعلموا النسب ولا تكونوا كنبيط السواد : إذا سئل أحدهم عن أصله قال : من قرية كذا وكذا .

أصـــل النسب

أولاد نوح — قال معاوية بن صالح ، عن يحيى بن سعيد بن المسيِّب ، قال : وَلَد نوح ثلاثة أولاد : سام وحام ويافث ؛ فولَد سامُ العرب وفارس والروم ، وولد حام السودان والبربر والنّبط ، وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج . ١٥

أصـــل قريش

كانت قريش تُدعى النضر بن كنانة ، وكانوا متفرقين فى بنى كنانة ، فجمعهم قصَيُّ بنُ كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك ، من كل أوْب إلى البيت ؛ فسُمُّوا قريشا . والتقريش : التجميع . وسُمِّىَ قصىّ بن كلاب ٢٠

مُجمّعا ، فقال فيه الشاعر :

قُصَى أبوكم مَن يُسَمَّى مُجمِّعاً * به جَمَعَ اللهُ القبائلَ مِن فِهْرِ

وقال حبيب :

غدوْا فى نواحى نَعْشِه وكأنما * قريشٌ قريشٌ يومَ ماتَ مجمِّعُ

٥ يريد بمجمِّع قصىَّ بن كلاب ، وهو الذى بنى المَشعر الحرام ، وكان يقوم[1] عليه أيامَ الحج ؛ فسماه الله مشعرا ، وأمره بالوقوف عنده . وإنما جمع قُصىّ إلى مكة بنى فهر بن مالك ، لجِذْمُ قريش كلّها فهرُ بن مالك ؛ فما دونه قريش وما فوقه عرب مثل كنانة وأسد وغيرهما من قبائل مضر ؛ وأما قبائل قريش فإنها تنتهى إلى فهر بن مالك لا تجاوزه ، وكانت قريش تسمَّى آلَ الله ، ١٠ وجيران الله ، وسكان الله .

لعبد المطلب فى قومه

وفى ذلك يقول عبد المطلب بن هاشم :

نحن آل اللهِ فى ذِمَّتِه * لم نَزَلْ فيها على عهدٍ قَدُمْ

إنّ للبيتِ لرَبًّا مانِعاً * مَن يُرِدْ فيه بإثمٍ يُخْتَرَم

لم تَزَلْ لِلهِ فينا حُرْمَةٌ * يَدْفَعُ اللهُ بها عنّا النِّقَم

لأبى نواس فى مدح بنى شيبة

١٥ وقال الحسن بن هانئ فى بعض بنى شيبة بن عثمان الذين بأيديهم مفتاح الكعبة :

إذا آشتعبَ الناس البيوت فأنتمُ * أُولو اللهِ والبيتِ العتيقِ المحرَّمِ

نسب قريش

قال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي : تسمية من انتهى إليه الشرف من قريش فى الجاهلية فوصله بالإسلام ، عشرة رهط من عشرة أبطن ، وهم : هاشم ، ٢٠ وأمية ، ونوفل ، وعبد الدار ، وأسد ، وتَيم ، ومخزوم ، وعدى ، وجُمح ، وسهم .

بنو هاشم

فكان من هاشم : العباس بن عبد المطلب ، يسق الحجيج فى الجاهلية ، وبقى له ذلك فى الإسلام .

(١) فى بعض الأصول : « يسرج » .

بنو أمية — ومن بنى أمية : أبو سفيان بن حرب ، كانت عنده العقاب راية قريش ، وإذا كانت عند رجل أخرجها إذا حميت الحرب ، فإذا اجتمعت قريش على أحد أعطوه العقاب ، وإن لم يجتمعوا على أحد رأسوا صاحبها فقدموه .

بنو نوفل — ومن بنى نوفل : الحرث بن عامر ، وكانت إليه الرفادة ، وهى ما كانت تُخرجه من أموالها وترفد به مُنْقطع الحاج . ٥

بنو عبد الدار — ومن بنى عبد الدار : عثمان بن طلحة ، وكان إليه اللواء والسدانة مع الحجابة ، ويقال والندوة أيضاً فى بنى عبد الدار .

بنو أسد — ومن بنى أسد : يزيد بن زَمْعة بن الأسود ، وكانت إليه المشورة ؛ وذلك أن رؤساء قريش لم يكونوا يجتمعون على أمر حتى يَعرضوه عليه ، فإن وافقه ولّاهم عليه ، وإلا تخير وكانوا له أعواناً ؛ واستشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطائف . ١٠

بنو تيم — ومن بنى تيم : أبو بكر الصديق ، وكانت إليه فى الجاهلية الأشناق ، وهى الديات والمغرم ، فكان إذا احتمل شيئاً فسأل فيه قريشاً صدقوه وأمضوا حمالة من نهض معه ، وإن احتملها غيره خذلوه .

بنو مخزوم — ومن بنى مخزوم : خالد بن الوليد ، وكانت إليه القبة والأعنة : فأما القبة فإنهم كانوا يضربونها ثم يجمعون إليها ما يجهزون به الجيش ؛ وأما الأعنة فإنه كان على خيل قريش فى الحرب . ١٥

بنو عدى — ومن بنى عدىّ : عمر بن الخطاب ، وكانت إليه السفارة فى الجاهلية : وذلك أنهم كانوا إذا وقعت بينهم وبين غيرهم حرب ، بعثوه سفيراً ، وإن نافرهم حىّ لمفاخرة جعلوه منافرا ورضوا به . ٢٠

بنو جمح — ومن بنى جُمَح : صفوان بن أمية ، وكانت إليه الأيسار ، وهى الأزلام ؛ فكان لا يُسبَق بأمر عامّ حتى يكون هو الذى يتَّيسرون على يديه .

بنو سهم — ومن بنى سهم : الحرث بن قيس ، وكانت إليه الحكومة والأموال المحجرة التى سمَّوها لآلهتهم .

مكارم قريش

فهذه مكارم قريش التى كانت فى الجاهلية ، وهى : السقاية ، والعمارة ، والعُقاب ، والرفادة ، والسّدانة ، والحجابة ، والندوة ، واللواء ، والمشورة ، والأشناق ، والقبة ، والأعنة ، والسفارة ، والأيسار ، والحكومة ، والأموال المحجرة - إلى هؤلاء العشرة من هذه البطون العشرة على حال ما كانت فى أوليتهم ، يتوارثون ذلك كابراً عن كابر ؛ وجاء الإسلام فوصل ذلك لهم ؛ وكان كل شرف من شرف الجاهلية أدركه الإسلام فوصله ؛ فكانت سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام وحُلوان النفر فى بنى هاشم .

فأما السقاية فمعروفة ، وأما العمارة فهو ألّا يتكلم أحد فى المسجد الحرام بهُجر ولا رفث ولا يرفع فيه صوته . وكان العباس ينهاهم عن ذلك .

وأما حُلوان النفر ، فإن العرب لم تكن تُملّكُ عليها فى الجاهلية أحداً ، فإن كان حرب أقرعوا بين أهل الرياسة ، فمن خرجت عليه القرعة أحضروه ، صغيراً كان أو كبيراً . فلما كان يوم الفجار أقرعوا بين بنى هاشم فخرج سهم العبّاس وهو صغير فأجلسوه على المجن .

بين المأمون وأبى الطاهر

أبو الطاهر أحمد بن كثير بن عبد الوهاب قال : حدثنى أبو ذكوان عن أحمد بن يزيد الأنطاكى أنه سمع المأمون يقول لأبى الطاهر الذى كان على البحرين : من أى قريش أنت ؟ قال : من بنى أسامة بن لؤى ، فقال المأمون : ما سمعنا لأسامة ابن لؤى نسباً فى بطوننا العشرة ، لو عَلِمنا به على بُعده منا لكنا به بَرَرة .

فضل بنى هاشم وبنى أمية

لعلى فيهم

قيل لعلىّ بن أبى طالب : أخبِرْنا عنكم وعن بنى أمية . فقال : بنو أمية أغْدرُ وأمكر وأفْجر ، ونحن أصبَح وأفصح وأسمح .

وللشعبى

وسأل رجل الشَّعْبىَّ عن بنى هاشم وبنى أمية ، فقال : إن شئت أخبرتك ما قال علىُّ بن أبى طالب فيهم . قال : أخبرنى . قال : أما بنو هاشم فأطعمُها للطعام ، وأضربها لِلهام ؛ وأما بنو أمية فأبعدها حِلما وأطلبها للأمر الذى لا يُنال فينالونه .

ولمعاوية

قيل لمعاوية : أخبرنا عنكم وعن بنى هاشم . قال : بنو هاشم أشرف واحداً ، ونحن أشرف عدداً ، فما كان إلا كَلاَ ولا ، حتى جاؤا بواحدة بذّت الأولين والآخرين . يريد النبي صلى الله عليه وسلم . وبقوله : أشرف واحداً : عبد المطلب ابن هاشم .

الرشيد وأموى

٥ الرياشى عن الأصمعى قال : تصدى رجل من بنى أمية لهارون الرشيد فأنشده :

يا أمين ٱلله إنى قائـــلٌ * قولَ ذى فهمٍ وعِلمٍ وأدبْ
عبدُ شمسٍ كان يتلو هاشماً * وهُما بعـــدُ لِأُمٍ ولِأَبْ
فاحفظ الأرحام فينا إنما * عبدُ شمسٍ عمُّ عبدِ المطلب
لكم الفضل علينا ، ولنا * بكمُ الفضل على كلِّ العربْ

١٠ فأحسن جائزته ووصله .

للنبي صلى الله عليه وسلم

سفيان الثورى يرفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن الله خَلَق الخلق فجعلنى فى خيْرِ خَلْقه ، وجعلهم أفراقاً فجعلنى فى خير فِرْقة ، وجعلهم قبائل فجعلنى فى خير قبيلة ، وجعلهم بيوتاً فجعلنى فى خير بيت . فأنا خيْرُكم بيتاً وخيركم نسبا .

وقال صلى الله عليه وسلم : كلُّ سببٍ ونسبٍ مُنقطع يوْم القيامة إلّا ١٥ سببى ونسبى .

جماعة بنى هاشم بن عبد مناف

وجماعة قريش

عبد المطلب

عبد المطلب بن هاشم ولده عشرة بنين ، منهم : عبد الله أبو محمد صلى الله عليه وسلم ، وأبو طالب ، والزبير ، أمهم فاطمة بنت عمرو المخزومية . والعباس ، ٢٠ وضرار ، أمهما نتيلة النمرية . وحمزة ، والمقوم ، أمهما هالة بنت وهيب . وأبو لهبَ ، أمه لبنى خزاعية . والحارث ، أمه صفية من بنى عامر بن صعصعة . والغيداق ، أمه خزاعية .

جماعة بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف

أمية الأكبر

وهو أمية الأكبر : حرب بن أمية ، وأبو حرب ، وسفيان ، وأبو سفيان ، وعمرو ، وأبو عمرو ، وهؤلاء يقال لهم العَنابِس ، والعاص ، وأبو العاص ، والعيص ، وأبو العيص ؛ وهؤلاء يقال لهم الأعياص ، ومنهم معاوية بن أبى سفيان ، ٥ وعثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية ، ومنهم سعيد بن العاص بن أمية ، ومروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية .

جماعة بنى نوفل

الحارث بن عامر صاحب الرفادة ، ومطعم بن نوفل ، ومنهم عدى بن الخيار ابن نوفل ؛ ومنهم شافع بن ظرب بن عمرو بن نوفل ؛ وهو كاتب المصاحف ١٠ لعمر بن الخطاب ؛ ومسلم بن قرطة ، قتل يوم الجمل .

جماعة بنى عبد الدار

عثمان بن طلحة ، صاحب الحجابة ؛ وشيبة بن عثمان بن أبى طلحة ؛ والحرث ابن علقمة بن كلدة ، كان رهينة قريش عند أبى يكسوم ؛ والنضر بن الحرث بن علقمة بن كلدة ، بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله النبى صلى الله عليه وسلم صبراً ، ١٥ أمر علىَّ بن أبى طالب فقتله يوم الأُثيل .

جماعة بنى أسد بن عبد العزى

منهم الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ، وأمه صفية ابنة عبد المطلب ، ويزيد ابن زمعة بن الأسود صاحب المشورة ؛ وأبو البخترى ، واسمه العاص بن هشام ابن الحرث بن أسد ؛ وورقة بن نوفل بن أسد ، هو الذى أدرك الإيمان بعقله ٢٠ وبشّر خديجة بالنبى صلى الله عليه وسلم .

جماهير بنى تيم بن مرة

منهم أبو بكر الصديق ، وطلحة بن عبيد الله ، وعمرو بن عبد الله بن معمر ، وعبد الله بن جدعان ، وعلى بن زيد بن عبد الله بن أبى مليكة ، والمهاجر بن قنفذ بن عمر بن جدعان ، ومحمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير .

جماهير مخزوم بن مرة ٥

منهم المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وخالد بن الوليد بن المغيرة ، وعبد الرحمن بن الحرث ، وعمرو بن حُرَيْثٍ ، وأبو جهـــل بن هشام بن المغـيرة ، وعياش بن أبى ربيعـة ، وعمر بن عبـد الله بن أبى ربيعة الشاعر ، وعبـد الله بن المهاجر ، وعمارة بن الوليد بن المغيرة ، وإسماعيل بن هشام بن المغيرة — ولى المغيرة المدينة وضرب سعيد بن المسيب — ومنهم سعيد بن المسيب ١٠ ابن أبى وهب الفقيه .

جماهير عدى بن كعب

منهم : عمر بن الخطاب ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وهو من أصحاب حراء ، وعبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، ولى الكوفة لعمر بن عبد العزيز ، وسراقة بن المعتمر ، والنحام بن عبد الله بن أسيد ، ١٥ والنعمان بن عدى بن النضلة ، استعمله عمر على مَيْسان ، وعبد الله بن مطيع ، وأبو جهم بن حـذيفة ، وخارجة بن حذافة ، وكان قاضيا لعمرو بن العاص بمصر : فقتـله الخارجى وهو يظنه عمرو بن العاص ، وقال فيه : أردت عمراً وأراد الله خارجة !

جماهير جمح ٢٠

منهم : صفوان بن أمية ، من المؤلفة قلوبهم ، وأمية بن خلف ، قتـل يوم

بدر ؛ وأُبَىّ بن خلف ؛ ومحمد بن حاطب ؛ وجميل بن معمر بن حذافة ؛ وأبو عزة وهو عمرو بن عبد الله ؛ وأبو محذورة ، مؤذن النبي صلى الله عليه وسلم .

جماهير بنى سهم

الحرث بن قيس ، صاحب حكومة قريش ؛ وعمرو بن العاص ؛ وقيس بن عدى ؛ وخُنيس بن حُذافة ، ومنبه ؛ ونبيه ، ابنا الحجاج ؛ ومنهم العاصى بن منبه ، قُتل مع أبيه ، قتله علىّ وأخذ سيفه ذا الفقار ، فصار إلى النبى عليه الصلاة والسلام .

جماهير عامر بن لؤى

منهم : سُهيل بن عمرو ، من المؤلفة قلوبهم ؛ ومنهم ابن أبى ذئب الفقيه ، واسمه محمد بن عبد الرحمن ؛ وحويطب بن عبد العزى ، من المؤلفة قلوبهم ؛ وعبد الله بن مخرمة ، بدرى ؛ ونوفل بن مساحق ؛ وأبو بكر بن عبد الله بن أبى سبرة ، الفقيه : وعبد الله بن أبى سرح ، بدرى ؛ ومنهم ابن أم مكتوم ، مؤذن النبى عليه الصلاة والسلام .

جماهير بنى محارب بن فهر بن مالك

منهم : الضحاك بن قيس الفهرى ، وحبيب بن مسلمة .

جماهير بنى الحارث بن فهر بن مالك

منهم : أبو عبيدة بن الجراح ، أمين هذه الأمة ؛ وسهيل ؛ وصفوان ، ابنا وهب ؛ وعياض بن غنْم بن زهير ؛ وأبو جهم بن خالد ؛ وبنو الحرث . هؤلاء من المطيّبين الذين تحالفوا وغمسوا أيديهم فى جفنة فيها طيب .

قريش الظواهر وغيرها من بطون قريش

بنو الحارث وبنو محارب ابنا فهر بن مالك ، وهم قريش الظواهر لأنهم

نزلوا حول مكة وما والاها[١] .

فمن بنى الحارث بن فِهْر : أبو عبيدة بن الجراح ، واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح ، من المهاجرين الأولين .

ومن بنى مُحارب بن فهر : الضحاك بن قيس الفهرى ، صاحب مرج راهط .

وما سوى هؤلاء من بطون قريش يقال لهم قريش البطاح ؛ لأنهم سكنوا بطحاء مكة ، وهم البطون العشرة التى ذكرناها قبل هذا الباب . ٥

ومن بطون قريش

بنو زُهرة بن كلاب بن كعب بن لؤىّ . منهم وهب بن عبد مناف بن زُهرة ، أبو آمنة أُم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومنهم عبد الرحمن بن عوف ، خال النبي عليه الصلاة والسلام ، ومنهم بنو حبيب بن عبد شمس ؛ ومنهم عبد الله بن عامر بن كريز بن حبيب بن عبد شمس ، صاحب العراق ؛ ومنهم بنو أمية الأصغر ابن عبد شمس بن عبد مناف ، وأمه عبلة ، فيقال لهم العبلات ؛ وبنو عبد العزى بن عبد شمس ، منهم أبو العاص بن الربيع ، صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تزوج ابنته التى قال النبى صلى الله عليه وسلم فيه : « ولكنّ أبا العاص لم يُذَمَّ صِهْرُه » ؛ ومنهم بنو المطلب بن عبد مناف ؛ ومنهم محمد بن إدريس الشافعى . ١٠ ١٥

ومن بنى نوفل بن عبد مناف : المطعم بن عدى .

ولعبد شمس بن عبد مناف ونوفل بن عبد مناف يقول أبو طالب :

فيا أخوَيْنا عبدَ شمسٍ ونوفلاً ٭ أُعيذُكما أن تبْعثا بيننا حرْبا

وولد أمية الأكبر : العاص ، وأبا العاص ، والعيص ، وأبا العيص ، فهؤلاء يقال لهم الأعياص ، وحربا وأبا حرب ، وهذه البطون التى ذكرنا كلها من قريش ليست من البطون العشرة التى ذكرناها أولا وذكرنا جماهيرها . ٢٠

(١) فى بعض الأصول : « نزلوا حول مكة وليست لهم » .

فضل قريش

النبي صلى الله عليه وسلم

قال النبي عليه السلام: الأئمة من قريش. وقال: قدِّموا قريشا ولا تقدُموها. ولما قُتل النضر بن الحارث بن كلدة بن عبد مناف، قال: «لا يُقتل قرشيّ صبراً بعد اليوم» يريد أنه لا يكفر قرشي فيقتل صبراً بعد هذا اليوم.

معاوية وأصحابه

٥ الأصمعي قال: قال معاوية: أي الناس أفصح؟ فقال رجل من السماط: يا أمير المؤمنين، قوم ارتفعوا عن رُتّة العراق، وتياسروا عن كشكشة بكر، وتيامنوا عن شَنْشنة تغلب، ليست فيهم غمغمة قُضاعة، ولا طُمْطمانية حمير. قال: من هم؟ قال: قومك يا أمير المؤمنين، [قريش]. قال: صدقت! فمن أنت؟ قال: من جَرم. قال الأصمعي: جرم فصحاء العرب.

ابن عتبة وابن عمير

١٠ قدم محمد بن عُمير بن عطارد فى نيف وسبعين راكباً، فاستزارهم عمرو بن عتبة، قال: فسمعته يقول: يا أبا سفيان، ما بال العرب تطيل كلامها وأنتم تقصرونه معاشر قريش؟ فقال عمرو بن عتبة: بالجندل يُرمَى الجندل، وإن كلامنا كلام يقل لفظه ويكثر معناه، ويُكتفى بأولاه ويُستشفى بأخراه، يتحدر تحدر الزلال على الكبد الحرّى، ولقد نقصوا وأطال غيرهم فما أخلُّوا [1]،

١٥ ولله أقوام أدركتُهم كأنما خُلقوا لتحسين ما قبّحت الدنيا، سهُلت ألفاظُهم كما سهلت عليهم أنفاسهم، فابتذلوا أموالهم، وصانوا أعراضهم، حتى ما يجد الطاعن فيهم مطعنا، ولا المادح مزيدا، ولقد كان آل أبى سفيان مع قلتهم كثيرا منه نصيبُهم، ولله در مولاهم حيث يقول:

وضعَ الدهْرُ فيهمُ شفْرَتيْهِ ۞ فمضَى سالِما وأمسَوْا شُعوبا

٢٠ شفرتان والله أفنتا أبدانهم، وأبقتا أخبارهم، فتركتاهم حديثا حسناً فى الدنيا، ثوابهُ فى الآخرة أحسنُ، وحديثا سيئا فى الدنيا، ثوابُه فى الآخرة أسوأُ، فياموْعُوظا بمن قبله موعوظاً به من بعده، اربح نفسَك إذا خَسِرها غيرك.

(١) فى بعض الأصول: «ولقد نقصوا كما نقص غيرهم بعد».

قال : فظننت أنه إن أراد أن يعلمه أن قريشاً إذا شاءت أن تتكلم تكلمت .

ابن عتبة وقرشيون تشاحوا

العتبي قال : شهدتُ مجلس عمرو بن عتبة وفيه ناس من القرشيين ، فتشاحُّوا في مواريث وتجاحدوا ، فلما قاموا من عنده أقبلْ علينا فقال : إنّ لقريش درجا تزلق عنها أقدام الرجال ، وأفعالا تخضع لها رقاب الأقوال ، وغايات تقصر عنها الجياد المنسوبة ، وألسنة تكلّ عنها الشفار المشحوذة ؛ ولو احتفلت الدنيا ما تزيَّنتْ إلا بهم ، ولو كانت لهم ضاقت عن سعة أخلاقهم ؛ وإنّ قوما منهم تخلقوا بأخلاق العوام فصار لهم رفق باللؤم ، وخُرق فى الحرص ولو أمكنهم لقاسموا الطير فى أرزاقها ؛ إن خافوا مكروهاً تعجّلوا له الفقر ؛ وإن عُجِّلت لهم النعم أخروا عنها الشكر ، أولئك أنضاء فكرة الفقر ، وعجزة حملة الشكر .

محمد بن الفضل وقوم

قال أبو العيناء الهاشمى : جرى بين محمد بن الفضل وبين قوم من أهل الأهواز كلام ، فلما أصبح رجع عنه ؛ فقالوا له : ألم تقل أمس كذا وكذا ؟ قال : تختلف الأقوال إذا اختلفت الأحوال .

بينه وبين والى الأهواز

ودخل محمد بن الفضل على والى الأهواز فسمعه يقول : إذا كان الحق استوى عندى الهاشمى والنَبطى . فقال محمد بن الفضل : لئن استوت حالاتهما عندك فما ذلك بزائدٍ النبطى زينةً ليست له ، ولا ناقصٍ الهاشمى قدراً هو له ، وإنما يلحق النقص المسوِّى بينهما !

لابن عتبة ينصح قرشيين

العتبي قال : قال عمرو بن عتبة : اختصم قوم من قريش عند معاوية فمنعوا الحق ، فقال معاوية : يامعشر قريش ، مابال القوم لأمّ يصلون بينهم ما انقطع ، وأنتم لعلّات تقطعون بينكم ماوصل الله ، وتباعدون ماقرب ؟ بل كيف ترجون لغيركم وقد عجزتم عن أنفسكم ؟ تقولون كفانا الشرف مَن قبلنا ؛ فعندها لزمتكم الحجة ؛ فاكفوه مَن بعدكم كما كفاكم مَن قبلكم ، أو تعلمون أنكم كنتم رقاعا فى جنوب العرب ، وقد أُخرجتم من حَرَم ربِّكم ، ومُنعتم ميراثَ أبيكم وبلدكم ، وأخذ لكم ما أخذ منكم ؛ وسماكم باجتماعكم اسماً به أبانكم من جميع العرب ، وردّ به كيد العجم ، فقال جل ثناؤه : ﴿ لإِيلافِ قريشٍ إيلافِهِم ﴾ فارغبوا

فى الائتلاف أكرمكم الله به ، فقد حذرتْكم الفُرقةُ نفسها ، وكفى بالتجربة واعظا .

مكان العرب من قريش

النبي صلى الله عليه وسلم

يحيى بن عبد العزيز ، عن أبى الحجاج رياح بن ثابت ، عن بكر بن خنيس ، عن أبى الأحوص ، عن أبى الحُصَين ، عن عبد الله بن مسعود أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : قريش الجؤجؤ والعرب الجناحان ، والجؤجؤ لا ينهض إلا بالجناحين . ٥

لمعاوية

قال عمرو بن عتبة : مااستدرّ لعمى كلامٌ قط فقطعه ، حتى يُذكر العربُ بفضل أو يُوصَى فيهم بخير . ولقد أنشده مروان ذات يوم للنابغة حيث يقول :

فهم دِرْعِى التى استلأمْتُ فيها * إلى يومِ النِّسار وهمْ مِجَنِّى

فقال معاوية : ألا إنّ دروع هـذا الحى من قريش إخوانهم من العرب ، المتشابكة أرحامهم تشابُكَ حلَق الدرع ، التى إن ذهبت حَلْقة منه فرقت بين أربع ؛ ولا تزال السيوف تكره مذاقةَ لحوم قريش ما بقيت دروعُها معها ، وشدت نطُقَها عليها ، ولم تفك حلقها منها ؛ فإذا خلعتها من رقابها كانت للسيوف جَزَرا . ١٠

لابن عتبة فى معاوية

العتبي عن أبيه عن عمرو بن عتبة قال : عقمت النساء أن يلدْن مثل عمى ؛ شهدْته يوما وقد قدمتْ عليه وفود العرب ، فقضى حوائجهم وأحسن جوائزهم ؛ فلما دخلوا عليه ليشكروا سبقهم إلى الشكر ، فقال لهم : جزاكم الله يامعشر العرب عن قريش أفضل الجزاء ؛ بتقدمكم إياهم فى الحرب ، وتقديمكم لهم فى السلم ، وحقنكم دماءهم بسَفْكِها منكم ؛ أما والله لا يؤثِر عليكم غيرَكم منهم إلا حازم كريم ، ولا يرغب عنكم منهم إلا عاجز لئيم ؛ شجرة قامت على ساق ، فتفرع أعلاها واجتمع أصلها ، عضد الله من عضدها ، فيالها كلمةً لو اجتمعت ، وأيدياً لو ائتلفت ! ولكن كيف بإصلاح مايريد الله إفساده ؟ ١٥ ٢٠

فضـــل العرب

يحيى بن عبد العزيز قال : حدثنا أبو الحجاج رياح بن ثابت ، قال : حدثنا بكر ابن خُنيس ، عن أبى الأحوص ، عن أبى الحُصين ، عن عبد الله بن مسعود قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا سألتم الحوائج فاسألوا العرب ؛ فإنها تعطى لثلاث خصال : كرم أحسابها ، واستحياء بعضها من بعض ، والمواساة لله.

ثم قال : « من أبغض العربَ أبغضه الله.

لابن الكلبي

ابن الكلبي قال : كانت فى العرب خاصة عشر خصال لم تكن فى أمة من الأمم : خمس منها فى الرأس ، وخمس فى الجسد ؛ فأما التى فى الرأس : فالفرق ، والسواك ، والمضمضة ، والاستنشار ، وقص الشارب ؛ وأما التى فى الجسد : فتقليم الأظفار ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، والختان ، والاستنجاء ؛ وكانت فى العرب خاصةً ، القيافة ؛ لم يكن فى جميع الأمم أحد ينظر إلى رجُلين أحدهما قصير والآخر طويل ، أو أحدهما أسود والآخر أبيض ، فيقول : هذا القصير ابن هذا الطويل ، وهذا الأسود ابن هذا الأبيض ، إلا فى العرب .

لابن المقفع

أبو العيناء الهاشمى عن القحذمى عن شبيب بن شيبة قال : كنا وقوفاً بالمربد ، وكان المربد مألف الأشراف ، إذ أقبل ابن المقفع ، فبششنا به وبدأناه بالسلام ، فردّ علينا السلام ، ثم قال : لو ملتم إلى دار نَيْروز وظلها الظليل ، وسورها المديد ، ونسيمها العجيب ؛ فعودتم أبدانكم تمهيد الأرض ، وأرحتم دوابّكم من جهد الثقل ؛ فإن الذى تطلبونه لم تُفاتوه ، ومهما قضى الله لكم من شيء تنالوه ! فقبلنا وملنا ؛ فلما استقر بنا المكان قال لنا : أىّ الأمم أعقل ؟ فنظر بعضنا إلى بعض ، فقلنا : لعله أراد أصله من فارس . فقلنا : فارس . فقال : ليسوا بذلك ؛ إنهم ملكوا كثيراً من الأرض ، ووجدوا عظيما من الملك ، وغلبوا على كثير من الخلق ، ولبث فيهم عقد الأمر ؛ فما استنبطوا شيئاً بعقولهم ، ولا ابتدعوا باقى حكم بنفوسهم . قلنا : فالروم . قال : أصحاب صنعة . قلنا : فالصين . قال : أصحاب طُرفة . قلنا : الهند . قال : أصحاب فلسفة . قلنا : السودان . قال : شر خلق الله . قلنا : الترك . قال : كلاب ضالة [1] . قلنا : الخزر . قال : بقر سائمة . قلنا : فقل . قال : العرب . قال : فضحكنا .

---

(١) فى بعض الأصول : « مختلسة » .

قال : أما إنى ما أردت موافقتكم ، ولكن إذا فاتنى حظى من النسبة ، فلا يفوتنى حظى من المعرفة ؛ إن العرب حكمت على غير مثال مثل لها ، ولا آثار أثرتْ ؛ أصحاب إبل وغنم ، وسكان شعر وأدم ؛ يجود أحدهم بقوته ، ويتفضل بمجهوده ، ويشارك فى ميسوره ومعسوره ، ويصف الشيء بعقله فيكون قدوة ، ٥ ويفعله فيصير حجة ، ويحسِّن ما شاء فيحسُن ، ويقبِّح ما شاء فيقبح ؛ أدَّبتهم أنفسهم ، ورفعتهم هممهم ، وأعلتهم قلوبهم وألسنتهم ؛ فلم يزل حباء الله فيهم وحباؤهم فى أنفسهم ، حتى رفع لهم الفخر ، وبلغ بهم أشرف الذكر ، وختم لهم بملكهم الدنيا على الدهر ، وافتتح دينَه وخلافته بهم إلى الحشر على الخير فيهم ولهم ؛ فقال تعالى : ﴿ إنَّ الأرضَ لله يُورِثُها مَنْ يشاء مِنْ عِباده والعاقبةُ ١٠ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ فمن وضع حقهم خسر ، ومن أنكر فضلهم خصم ؛ ودفعُ الحق باللسان أكبت للجنان.

ذو الرمة وعبد أسود

ذكر الأصمعى عن ذى الرّمة قال : رأيت عبداً أسود لبنى أسَدٍ قدم علينا من شق اليمامة ، وكان وحشيا ؛ لطول تغرُّبه فى الإبل ، وربما كان لقى الأكرة فلا يفهم عنهم ولا يستطيع إفهامهم ، فلما رآنى سكن إلىّ ، ثم قال لى : يا غيلان ، ١٥ لعن اللهُ بلادا ليس فيها عربىّ ، وقاتل اللهُ الشاعر حيث يقول :

حُرُّ الثَّرَى مُسْتَعْرَبُ التُّرابِ

وما رأيت هذه العرب فى جميع الناس إلا مقدار القُرحة فى جلد الفرس ؛ ولولا أن الله رقّ عليهم فجعلهم فى حشاه ؛ لطمست هذه العجمانُ آثارَهم ، والله ما أمر اللهُ نبيَّه بقتلهم إلا لضنه بهم ، ولا ترك قبولَ الجزية منهم إلا لِتركها لهم.

٢٠ الأكرة : جمع أكار ، وهم الحُرّاثُ . وقوله : جعلهم فى حشاه ، أى : آستبطنهم . يقول الرجل للعربى إذا آستبطنه : خبأتك فى حشاى وقال الراجز :

وصاحِبٍ كالدُّمَّلِ المُمِـــدِّ ٭ جعلتُهُ فى رُقْعَةٍ مِنْ جِلْدِى

وقال آخر :

لقد كنتَ فى قوم عليك أشحَّةٍ ٭ بحُبِّكَ إلّا أنّ ما طاح طائحُ

يَوَدُّونَ لو خاطوا عليك جُلودَهُمْ * ولا يَدْفعُ الموتَ النُّفوسُ الشَّحائحُ

علماء النسب

أبو بكر وابن المسيب

كان أبو بكر رضى الله عنه نسابة ، وكان سعيد بن المسيّب نسابة ، وقال له رجل : أريد أن تعلمنى النسب ، قال : إنما تريد أن تساب الناس :

أبو بكر وبعض القبائل

عكرمة عن ابن عباس عن على بن أبى طالب قال : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على القبائل ، خرج مرة وأنا معه وأبو بكر، حتى رُفعنا إلى مجلس من مجالس العرب ، فتقدم أبو بكر فسلم . قال علىّ : وكان أبو بكر مقدَّما فى كل خير ، وكان رجلا نسابة . فقال : ممن القوم ؟ قالوا : من ربيعة . قال : وأى ربيعة أنتم ، أمِن هامتها [أم مِنْ لهازمِها] ؟ قالوا : مِن هامتها العظمى . قال : وأىّ هامتها العظمى أنتم ؟ قالوا : ذُهْل الأكبر . قال أبو بكر : فمنكم عوف بن محلم الذى يقال فيه : لا حُرَّ بوادى عوف ؟ قالوا : لا ؛ قال : فمنكم جساس بن مُرة الحامى الذمار ، والمانع الجار ؟ قالوا : لا . قال : فمنكم أخوال الملوك من كِندة ؟ قالوا : لا . قال : فمنكم أصهار الملوك من لخم ؟ قالوا : لا . قال أبو بكر : فلستم ذُهْلاً الأكبر ، أنتم ذهل الأصغر . فقام إليه غلام من شيبان حين بَقَل وجهه ، يقال له دَغفل ، فقال :

إنَّ على سائِلنا أنْ نسألَهْ * والعِبْءُ لا تَعرِفُهُ أو تَحمِلَه

يا هذا ، إنك قد سألتنا فأخبرناك ولم نكتمك شيئا ، فمن الرجل ؟ قال أبو بكر : من قريش ؟ قال : بخٍ بخٍ ! أهل الشرف والرياسة ؛ فمن أىّ قريش أنت ؟ قال : من ولد تيم بن مُرة . قال : أمكنْتَ والله الرامى من سواء الثُّغْرة . أفمنكم قُصىّ بن كلاب الذى جمع القبائل فسمّى مجمِّعا ؟ قال : لا . قال : أفمنكم هاشم الذى هشم الثريد لقومه ورجالُ مكةَ مُسنتون عجاف ؟ قال : لا . قال : فمنكم شيبة الحمد ، عبد المطلب ، مطعمُ طير السماء ، الذى وجهه كالقمر فى الليلة الظلماء ؟ قال : لا . قال : فمِن أهل الإفاضة بالناس أنت ؟ قال : لا . قال : فمن أهل السقاية أنت ؟

قال : لا . فاجتذب أبو بكر زمامَ الناقة ، ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال الغلام :

صادفَ دَرُّ السيلِ دَرًّا يَدفعُهْ ۞ يَهِيضُهُ حيناً وحيناً يَصْدَعُهْ

قال : فتبسم النبي عليه السلام ؛ قال عليّ : فقلت له : وقعتَ يا أبا بكر من الأعرابي على باقعة . قال : أجل ؛ قال : مامن طامة إلا وفوقها أخرى ، والبلاء موكل بالمنطق والحديث ذو شجون .

دغفل وقوم من الأنصار

قال ابن الأعرابي : بلغني أن جماعة من الأنصار وقفوا على دَغْفَل النسابة بعد ما كفّ ، فسلموا عليه ، فقال : مَنِ القوم ؟ قالوا : سادة اليمن . فقال : من أهل مجدها القديم ، وشرفها العميم ، كندة ؟ قالوا : لا . قال : فأنتم الطوال قصبا الممحّضون نسبا ، بنو عبد المدان ؟ قالوا : لا . قال : فأنتم أقوَدُها للزحوف ، وأخرَقها للصفوف ، وأضربُها بالسيوف ، رهط عمرو بن معديكرب ؟ قالوا : لا . قال : فأنتم أحضَرُها قِراء ، وأطيبها فِناء ، وأشدها لِقاء رهط حاتم بن عبد الله [الطائى] ؟ قالوا : لا . قال : فأنتم الغارسون للنخل ، والمطعمون فى المَحل ، والقائلون بالعدل ، الأنصار ؟ قالوا : نعم .

ابن شيبان وقوم من العرب

مسلمة بن شبيب ، عن المِنقرى ، قال : ذكروا أن يزيد بن شيبان بن علقمة ابن زرارةَ بن عدس قال : خرجتُ حاجًا ، حتى إذا كنت بالمحَصَّب من مِنًى إذا رجل على راحلة معه عشرة من الشباب ، مع كل رجل منهم مِحْجَن ، يُنحُّون الناس عنه ويوسّعون له ؛ فلما رأيته دَنَوْت منه ؛ فقلت : ممَّن الرجل ؟ قال : رجل من مَهْرة ، ممن يسكُن الشِّحر . قال : فكرهته ووليت عنه ، فنادانى من ورائى : مالَك ؟ فقلت . لستَ من قومى ولستَ تعرفنى ولا أعرفك . قال : إن كنتَ من كرام العرب فسأعرفك . قال : فكررت عليه راحلتى ، فقلت : إنى من كرام العرب . قال : فمن أنت ؟ قلت : من مضر . قال : فمِنَ الفرسان أنت أم من الأرحاء ؟ فعلمت أنه أراد بالفرسان قيسا ، وبالأرحاء خِندفا ؛ فقلت : بل من الأرحاء . قال : أنت امرؤ من خندف ؟ قلت : نعم . قال : من الأرنبة

أنت أم من الجماجم ؟ فعلمت أنه أراد بالأرنبة خزيمة ، وبالجمجمة بنى أدّ بن طابخة ؛
قلت : بل من الجمجمة . قال : فأنت امرؤ من بنى أدّ بن طابخة ؟ قلت : أجل ؛
قال : فمنَ الدوانى أنت أم من الصميم ؟ قال : فعلمت أنه أراد بالدوانى الرباب
ومزينة ، وبالصميم بنى تميم ؛ قلت : من الصميم . قال : فأنت إذاً من بنى تميم .
قلت : أجل . قال : فمن الأكثرين أنت أم من الأقلين ، أو من إخوانهم ٥
الآخرين ؟ فعلمت أنه أراد بالأكثرين ولد زيد مناة ، وبالأقلين ولد الحارث ،
وبإخوانهم الآخرين بنى عمرو بن تميم ؛ قلت : من الأكثرين ، قال : فأنت إذاً
من ولد زيد ، قلت : أجل ؛ قال : فمِن البحور أنت أم من الجُدود أم من الثِّماد ؟
فعلمت أنه أراد بالبحور بنى سعد ، وبالجدود بنى مالك بن حنظلة ، وبالثماد
بنى امرئ القيس بن زيد ؛ قلت : بل من الذرى . قال : فأنت من مالك بن حنظلة . ١٠
قلت : أجل . قال : فمن اللِّهاب أنت أم من الشعاب أم من اللِّصاب ؟ فعلمت
أنه أراد باللِّهاب مجاشعا ، وبالشعاب نهشلا ، وباللصاب بنى عبد الله بن دارم ؛
فقلت له : من اللصاب . قال : فأنت من بنى عبد الله بن دارم ؟ قلت : أجل .
قال : فمِن البيوت أنت أم من الزَّوافِر ؟ فعلمت أنه أراد بالبيوت ولد زرارة ،
وبالزوافر الأحلاف ؛ قلت : من البيوت . قال : فأنت يزيد بن شيبان بن علقمة ١٥
ابن زرارة بن عدس ، وقد كان لأبيك امرأتان ، فأيهما أُمُّك ؟

قول دغفل فى قبائل العرب

دغفل وزياد

الهيثم بن عدى عن عوانة قال : سأل زياد دغفلا عن العرب ، فقال :
الجاهلية لِيَمَن ، والإسلام لمضر ، والفينة بينهما لربيعة . قال : أخبرنى عن مضر ؛
قال : فاخِرْ بكنانة ، وكاثِر بتميم ، وحارب بقيس ؛ ففيها الفرسان والأنجاد ؛ ٢٠
وأما أسد ففيها دَل وكبر .

دغفل ومعاوية

وسأل معاوية بن أبى سفيان دغفلا فقال له : ماتقول فى بنى عامر بن صعصعة ؟
قال : أعناق ظباء ، وأعجاز نساء ! قال : فما تقول فى بنى أسد ؟ قال : عافة قافة ،
فصحاء كافة . قال : فما تقول فى بنى تميم ؟ قال : حجر أخشن ، إن صادفته آذاك ،

وإن تركته أعفاك . قال : فما تقول فى خزاعة ؟ قال : جوع وأحاديث ! قال : فما تقول فى اليمن ؟ قال : شدة وإباء .

قال نصر بن سيّار :

إنا وهذا الحىَّ مِنْ يَمَنٍ لنا * عند الفَخار أعزَّة أكفاءُ
قومٌ لهم فينا دماءٌ جَمَّةٌ * ولنا لديهم أجْنةٌ ودماءُ
وربيعةُ الأذناب فيما بيننا * لاهُمْ لنا سِلْمٌ ولا أعداءُ
إن يَنصرونا لا نعِز بنصرهم * أو يَخذُلونا فالسماء سماءُ

مفاخرة يمن ومضر

الأبرش يفاخر ابن صفوان

قال الأبرش الكلبى لخالد بن صفوان : هلم أفاخرْك - وهما عند هشام بن عبد الملك - فقال له خالد : قل . فقال الأبرش : لنا ربع البيت - يريد الركن اليمانى - ومنا حاتم طيئ ، ومنا المهلب بن أبى صفرة .

قال خالد بن صفوان : منا النبى المرسل ، وفينا الكتاب المنزّل ، ولنا الخليفة المؤمّل .

قال الأبرش : لا فاخرتُ مُضَريا بعدك !

أبو العباس وقوم من اليمن

ونزل بأبى العباس قوم من اليمن من أخواله من كعب ، ففخروا عنده بقديمهم وحديثهم ؛ فقال أبو العباس لخالد بن صفوان : أجب القوم . فقال : أخوال أمير المؤمنين [وأهله] ! قال : لابد أن تقول . قال : وما [عَسَى أن] أقول لقوم يا أمير المؤمنين هم بين حائك برد ، وسائس قرد ، ودابغ جلد ؛ دل عليهم هدهد ، وملكتهم امرأة ، وغرقتهم فأرة ؟ فلم يثبت لهم بعدها قائمة .

مفاخرة الأوس والخزرج

الخشنى يرفعه إلى أنس ، قال : تفاخرت الأوس والخزرج ؛ فقالت الأوس : منا غسيل الملائكة حنظلة الراهب ، ومنا عاصم بن ثابت بن الأفلح الذى حمت .

لحمه الدَّبر ، ومنا ذو الشهادتين خزيمة بن ثابت ، ومنا الذى اهتز لموته العرش سعد ابن معاذ . قالت الخزرج : منا أربعة قرءوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقرأه غيرهم : زيد بن ثابت ، وأبو زيد ، ومعاذ بن جبل ، وأُبىّ بن كعب سيد القراء ؛ ومنا الذى أيده الله بروح القدس فى شعره ، حسان ابن ثابت . ٥

البيوتات

علماء النسب فى حضرة عبد الملك

قال أبو عبيدة فى كتاب التاج : اجتمع عند عبد الملك بن مروان فى سمره علماء كثيرون من العرب ، فذكروا بيوتات العرب ، فاتفقوا على خمسة أبيات : بيت بنى معاوية الأكرمين فى كِندة ، وبيت بنى جشم بن بكر فى تغلب ، وبيت ابن ذى الجدين فى بكر ، وبيت زُرارة بن عدس فى تميم ، وبيت بنى بدر فى قيس ١٠ - وفيهم الأحرز بن مجاهد التغلبى ، وكان أعلم القوم ، فجعل لا يخوض معهم فيما يخوضون فيه ؛ فقال له عبد الملك : مالك يا أحيرز ساكتا منذ الليلة ؟ فوالله ما أنت بدون القوم علما . قال : وما أقول ؟ سبق أهل الفضل فى فضلهم أهل النقص فى نقصانهم ، والله لو أن للناس كلهم فرسا سابقاً لكانت غرّته بنو شيبان فقيم الإكثار . وقد قال المسيَّب بن عَلَس : ١٥

تَبيت الملوكُ على عَتْبِها ٭ وشيْبان إن عَتَبتْ تَعتِبُ
فكالشُّهْد بالرّاح أخلاقُهُم ٭ وأحلامُهُم منهما أعذَبُ
وكالمسك تُرْبُ تِقاماتِهم ٭ وتُرْبُ قُبورِهم أطيَبُ

بيوتات مضر وفضائلها

للنبى صلى الله عليه وسلم

قال النبى صلى الله عليه وسلم ، وسئل عن مضر . فقال : كِنانة جُمْجُمَتُها وفيها ٢٠ العينان ، وأسدٌ لسانها ، وتميم كاهلها .

لبعضهم

وقالوا : بيت تميم ، بنو عبد الله بن دارم ، ومركزه بنو زُرارة ، وبيت قيس ، فزارة ومركزه بنو بدر ؛ وبيت بكر بن وائل شيبان ، ومركزه بيت بنى ذى الجدين .

معاوية والكلبي

وقال معاوية للكلبي حين سأله عن أخبار العرب. قال: أخبرني عن أعز العرب فقال: رجل رأيته بباب قبته فقسم الفيء بين الحليفين أسد وغطفان معا. قال: ومن هو؟ قال: حصن بن حذيفة بن بدر. قال: فأخبرني عن أشرف بيت في العرب. قال: والله إني لأعرفه وإني لأبغضه! قال: ومن هو؟ قال بيت زرارة ابن عدس. قال: فأخبرني عن أفصح العرب. قال: بنو أسد. ٥

والمجتمع عليه عند أهل النسب. وفيما ذكره أبو عبيدة في التاج، أن أشرف بيت في مضر غير مدافع في الجاهلية، بيت بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

النعمان والأحيمر

وقال النعمان بن المنذر ذات يوم، وعنده وجوه العرب ووفود القبائل، ودعا ببردَيْ محرّق. فقال: لِيَلْبَسْ هذين البردين أكرمُ العرب وأشرفهم حسبا وأعزُّهم قبيلة. فأحجم الناس؛ فقام الأحيمر بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة، فقال: أنا لهما! فأتزر بأحدهما وارتدى بالآخر؛ فقال له المنذر: «ما حجتك فيما ادعيت؟ قال: الشرف من نزار كلها في مضر. ثم في تميم، ثم في سعد، ثم في كعب، ثم في بهدلة. قال: هذا أنت في أصلك؛ فكيف أنت في عشيرتك؟ قال: أنا أبو عشرة، وعم عشرة، وأخو عشرة، وخال عشرة! قال: فهذا أنت في عشيرتك؛ فكيف أنت في نفسك؟ فقال: شاهدُ العين شاهدي. ثم قام فوضع قدمه في الأرض. وقال: من أزالها فله من الإبل مائة! فلم يقم إليه أحد ولا تعاطى ذلك. ففيه يقول الفرزدق: ١٠ ١٥

فما تم في سعدٍ ولا آلِ مالك * غلامٌ إذا ما سيل لم يَتَبَهدلِ

لهمْ وهَبَ النُّعمانُ بُرْدَيْ مُحرِّقٍ * بمجدِ مَعدّ العديد المحصّل ٢٠

شيء عن بهدلة

ومن بيت بهدلة بن عوف كان الزبرقان بن بدر، وكان يسمى سعد بن زيد مناة بن تميم أسعد الأكرمين. وفيهم كانت الإفاضة في الجاهلية في عطارد بن عوف بن كعب بن سعد، ثم في آل كرب بن صفوان بن عطارد. وكان إذا اجتمع الناس أيام الحج بمنًى لم يبرح أحد حتى يجوز آل صفوان ومن

ورث ذلك عنهم ، ثم يمر النـاس أرسالا . وفى ذلك يقول أوس بن مغراء السعدى :

ولا يَرِيمونَ فى التَّعريفِ موقِفهُمْ * حتى يُقال أجيزُوا آلَ صِفْوانا
ما تطْلُعُ الشَّمْسُ إلَّا عندَ أوَّلِنا * ولا تَغيَّبُ إلا عنـد أخرانا

٥ قال الفرزدق :

تَرى النّاسَ ماسِرْنا يسيرون خلْفنا * وإن نحنُ أومأْنا إلى الناسِ وقَّفوا

بيوتات اليمن وفضائلها

النبى صلى الله عليه وسلم — قال النبى صلى الله عليه وسلم : « إنى لأجدُ نفَسَ ربكم من قِبَـلِ اليمن » معناه والله أعلم : أن الله ينفس عن المسلمين بأهل اليمن ؛ يريد الأنصار . ١٠ ولذلك تقول العرب : نفَّسنى فلان فى حاجتى ، إذا روّح بعض ما كان يغُمُّه من أمر حاجته .

لابن عباس — وقال عبد الله بن عباس لبعض اليمانية : لكم من السماء نجمُها ومن الكعبة ركنُها ومن الشرف صميمها .

لعمر بن الخطاب — وقال عمر بن الخطاب : مَن أجوَدُ العربِ ؟ قالوا : حاتِمَ طيئ ، قال : ١٥ فمن فارسُها ؟ قالوا : عمرو بن معديكرب . قال : فمن شاعرُها ؟ قالوا : امرؤ القيس بن حجر . قال : فأىُّ سيوفها أقطعُ ؟ قالوا : الصمصامة . قال : كفى بهذا فخراً لليمن .

لأبى عبيدة — وقال أبو عبيـدة : ملوك العرب حِمير ، ومقاولها غسان ولخم ، وعددها وفرسانها الأزد ، ولسانها مذحج ، وريحانتها كندة ، وقريشها الأنصار .

٢٠ لابن الكلبى — وقال ابن الكلبى : حِمْير مُلوك وأرادف الملوك ، والأزد أُسد ، ومذحج الطعّان وهمدان أحلاس الخيل ، وغسان أرباب الملوك .

ومن الأزد الأنصار ، وهم الأوس والخزرج ابنا حارثة بن عمرو بن عامر ، وهم أعز الناس أنفسا ، وأشرفهم همما ؛ لم يؤدوا إتاوة قط إلى أحد من الملوك .

وكتب إليهم أبو كرب تُبّع الآخِر يستدعيهم إلى طاعته ويتوعدهم إن لم يفعلوا أن يغزوهم ؛ فكتبوا إليه :

العبدُ تُبّعُكُمْ يُريدُ قِتالَنا ° ومكانُهُ بالمنزِلِ المُتذلِّلِ
إنا أُناسٌ لا تنامُ بأرضِنا ° عضَّ الرسولُ بِبظرِ أمّ المُرسِلِ

٥ قال : فغزاهم أبو كرب ، فكانوا يحاربونه بالنهار ، ويُقْرونه بالليل ، فقال أبو كرب : ما رأيتُ قوماً أكرمَ من هؤلاء ؛ يحاربوننا بالنهار ، ويُخرِجون لنا العَشاء بالليل ! ارتحِلوا عنهم . فارتحلوا .

النبي صلى الله عليه وسلم

ابن لهيعة عن ابن هُبيرة عن علقمة بن وعْلة عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن سبإ ما هو : أبلد أم رجل أم امرأة ؟ فقال : بل ١٠ رجل وُلد له عشرة ، فسكن اليمنَ منهم ستة ، والشام أربعة . أما اليمانيون ، فكندة ومذحج والأزد وأنمار وحمير والأشعريون . وأما الشاميون فلخم وجذام وغسان وعاملة .

ابن لهيعة قال : كان أبو هريرة إذا جاء الرسولُ سأله ممن هو ؟ فإذا قال من جذام ، قال : مرحباً بأصهار موسى وقوم شعيب .

١٥ ابن لهيعة عن بكر بن سوادة ، قال : أتى رجل من مهرة إلى علي بن أبي طالب ، قال : ممن أنت ؟ قال : من مهرة . قال : ﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقافِ ﴾ .

وقال ابن لهيعة : قبر هود في مَهْرة .

تفسير القبائل والعمائر والشعوب

لابن الكلبي

٢٠ قال ابن الكلبي : الشعب أكبر من القبيلة ، ثم العمارة ، ثم البطن ، ثم الفخذ ثم العشيرة ، ثم الفصيلة .

وقال غيره : الشعوبُ العجم ، والقبائلُ العرب ، وإنما قيل للقبيلة قبيلة ، لتقابلها وتناظرها ، وأن بعضها يكافئ بعضاً ، وقيل للشعب شعب لأنه

انشعب منه أكثر مما انشعب من القبيلة ؛ وقيل لها عمائر ، من الاعتمار والاجتماع ، وقيل لها بطون ، لأنها دون القبائل ، وقيل لها أفخاذ ، لأنها دون البطون ، ثم العشيرة : وهى رهط الرجل ، ثم الفصيلة وهى أهل بيت الرجل خاصة . قال الله تعالى : ﴿ وفصيلته التى تُؤْويه ﴾ وقال تعالى : ﴿ وأَنْذِرْ عشيرتكَ الأقربينَ ﴾ .

تفسير الأرحاء والجماجم

لأبى عبيدة

وقال أبو عبيدة فى التاج : كانت أرحاء العرب ستا ، وجماجها ثمانيا ، فالأرحاء الست ، بمضر منها اثنتان ، ولربيعة اثنتان ، ولليمن اثنتان ، واللتان فى مضر : تيم بن مرة ، وأسد بن خزيمة ، واللتان فى اليمن : كلب بن وبرة ، وطيئ بن أدد .

١٠ وإنما سُميت هذه أرحاء ، لأنها أحرزت دُوراً ومياها لم يكن للعرب مثلها ، ولم تبرح من أوطانها ، ودارت فى دورها كالأرحاء على أقطابها ، إلا أن ينتجع بعضها فى البرحاء وعام الجدب ، وذلك قليل منهم .

وقيل للجماجم جماجم ، لأنها يتفرع من كل واحدة منها قبائل اكتفت بأسمائها دون الانتساب إليها ، فصارت كأنها جسد قائم وكل عضو منها مكتف باسمه معروف بموضعه . ١٥

والجماجم ثمان : فاثنتان منها فى اليمن ، واثنتان فى ربيعة ، وأربع فى مضر فالأربع التى فى مضر : اثنتان فى قيس ، واثنتان فى خندف ، فى قيس : غطفان وهوازن ، وفى خندف : كنانة وتميم ، والتى فى ربيعة : بكر بن وائل وعبد القيس ابن أفصى ، والتى فى اليمن : مذحج ـ وهو مالك بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ ـ وقضاعة بن مالك بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ . ٢٠

ألا ترى أن بكرا وتغلب ابنى وائل قبيلتان متكافئتان فى العد والعدد ؟ فلم يكن فى تغلبَ رجالٌ شُهرت أسماؤهم حتى انتسب إليهم واجتُزِئ بهم عن تغلب ، فإذا سألت الرجل من بنى تغلب لم يجترئ حتى يقول تغلبي . ولبكر

رجال قد اشتهرت أسماؤهم حتى كانت مثل بكر ، فنها شيبان وعجل ويشكر وقيس وحنيفة وذهل .

ومثل ذلك عبد القيس ، ألا ترى أن عنزة فوقها فى النسب ليس بينها وبين ربيعة إلا أب واحد ، عنزة بن أسد بن ربيعة ، فلا يجترئ الرجل منهم إذا سئل ٥ أن يقول : عنزى ؟

والرجل من عبد القيس ينسب شيبانيا وجرميا وبكريا .

ومثل ذلك أن ضبة بن أدعم تميم لا يجترئ الرجل منهم أن يقول : ضبىّ .

والتميمى قد ينسب فيقول : منقرى ، ومجيمىّ ، وطهوىّ ، ويربوعىّ ودارمىّ ، وكابىّ .

١٠ وكذلك الكنانى ينسب فيقول : لبثىّ ، ودؤلىّ ، وضمرى ، وفراسى ، وكل ذلك مشهور معروف .

وكذلك الغطفانى ينسب فيقول : عبسى ، وذبيانى ، وفزارى ، ومرى ، وأشجعى ، وبغيضى .

وكذلك هوازن منها : ثقيف ، والأعجاز ، وعامر بن صعصعة ، وقشير ، ١٥ وعقيل ، وجعدة .

وكذلك القبائل من يمن التى ذكرنا .

فهذا فرق ما بين الجماجم وغيرها من القبائل ، والمعنى الذى به سمّيت جماجم . وجمرات العرب أربعة ، وهم : بنو نُمير بن عامر بن صعصعة ، وبنو الحرث بن كعب ، وبنو ضبة ، وبنو عبس بن بغيض ، وإنما قيل لها الجمرات لاجتماعهم ، ٢٠ والجمرة : الجماعة ، والتجمير : التجميع .

أسماء ولد نزار

قال أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الخشنى : لما احتضر نزار بن معد بن عدنان ، ترك أربعة بنين : مضر وربيعة ، وأنمار ، وإياد ، وأوصى أن يقسم .

سفيح وقسيم ميراث نزار

ميراثهم بينهم سطيحُ الكاهن ؛ فلما مات نزار ، صفهم سطيح بين يديه ، ثم أعطاهم على الفراسة ؛ فأعطى ربيعة الخيل ، ويقال له ربيعة الفرس . وأعطى مضر الناقة الحمراء ، فيقال له مضر الحمراء . وأعطى أنمـاراً الحمار . وأعطى إياداً أثاث البيت . قال : فقيل لسطيح : من أين علمت هـذا العلم ؟ قال : سمعته من أخى حين سمعه من موسى يوم طور سَيناء . ٥

شعر لربيعة ابن نزار

الأصمعى قال : أخبرنى شيخ من تغلب ، قال أردفنى أبى ، فلما أصحر رفع عقيرته فقال :

رأتْ سِدْرةً من سِدْرِ حوْمَلَ فابتَنَتْ ❊ به بيتَهـا أنْ لا تُحاذِر راميا

إذا هى قامت فيــه قامت ظليلةً ❊ وأدْرَكَ روْقاها الغصونَ الدَّوانيا

تطلَّعُ منــه بالعشِىِّ وبالضُّحى ❊ تطلُّعَ ذاتِ الخِـدْرِ تدعو الجَواريا ١٠

ثم قال : أتدرى مَن قائل هذه الأبيات يابنى ؟ قلت : لا أدرى . قال : قالها ربيعة بن نزار . فقلت : وما يصف ؟ قال : البقرة الوحشية .

أنســـاب مضر

وَلد مضرُ بن نزار : اليأس ، والناسْ ، وهو عيلان . أمهما الرباب بنت حَيْدة بن معد ، فولد الناسُ ـ الذى هو عيلان بن مضر ـ قيس بن عيلان بن مضر . ١٥

وولد اليأُس بن مضر : عَمرا . وهو مدركة ، وعامرا ، وهو طابخة . وعميرا ، وهو القمعة ، ويقال إن القمعة هو أبو خزاعة .

وأمهم خندف ، وهى ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ؛ فجميع ولد اليأس بن مضر بن نزار من خندف . ولذلك يقال لهم خندف لأنها أمهم وإليها ينسبون ، فجميع ولد مضر بن نزار ؛ قيس ، وخندف . ٢٠

ومن بطون خندف : بنو مدركة بن اليأس بن مضر ، وهم : هذيل بن مدركة ، وكنانة بن خزيمة بن مدركة ، وأسد بن خزيمة بن مدركة ، والهون بن خزيمة بن مدركة . [ومن أسد بن خزيمة أربع عشائر : بنو كاهل وصعب وعمرو ودودان ؛

فمن دودان : بنو عمرو بن دودان ، قبيلة] ؛ وهم وجوه بنى أسد .

ومن بنى طابخة بن اليأس بن مضر : ضبة بن أدّ بن طابخة ، ومزينة ؛ وهم بنو عمرو بن أدّ بن طابخة ، نسبوا إلى أمهم مزينة ابنة كلب بن وبرة ؛ والرباب بنو أدّ بن طابخة ، وهم عدىّ ، وتيم ، وثور ، وعكل ، وإنما سميت الرباب لأنها اجتمعت وتحالفت فكانت مثل الربابة ؛ ويقال إنهم إذا تحالفوا وضعوا أيديهم فى جفنة فيها رُب ، وصوفة ؛ وهو الربيط بن الغوث بن أدّ بن طابخة ؛ وكانوا أصحاب الإجازة ، ثم انتقلت فى بنى عطارد بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة ابن تميم ؛ وتميم بن مرة بن أدّ بن طابخة .

فجميع قبائل مضر يجمعها قيس وخندف ؛ وقد تنسب ربيعة فى مضر ؛ وإنما هم إخوة مضر ؛ لأن ربيعة بن نزار ، ومضر بن نزار .

بطون هذيل وجماهيرها

منهم لحيان بن هذيل ، بطن ؛ وخُناعة بن سعد بن هذيل ، بطن ؛ وحريث ابن سعد بن هذيل ، بطن ؛ وكاهل بن سعد بن هذيل ، بطن ؛ وصاهلة بن كاهل بن الحارث بن سعد بن هذيل ، بطن ؛ وصبح بن كاهل ، بطن ؛ وكعب بن كاهل ، بطن .

فمن بنى صاهلة : عبد الله بن مسعود ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شهد بدرا . ومن بنى صبح بن كاهل : أبو بكر الهذلى الفقيه ، ومنهم صخر بن حبيب الشاعر ، الذى يقال فيه صخر الغى ، وأبو بكر الشاعر ، واسمه ثابت بن عبد شمس . ومنهم : أبو ذؤيب الشاعر ، وهو خويلد بن خالد . وبطون هذيل كلها لا يُنتسب إلى شىء منها ، وإنما يُنتسب إلى هذيل ؛ لأنها ليست جمجمة .

بطون كنانة وجماهيرها

كنانة بن خزيمة بن مدركة ، منهم قريش ، وهم بنو النضر بن كنانة ؛ ومنهم بكر ابن عبد مناة ، بطن ؛ وحدج بن ليث بن بكر بن عبد مناة ، بطن ؛ وغفار بن مُليل ابن ضمرة بن بكر ، بطن - منهم أبو ذرّ الغفارى صاحب النبى عليه الصلاة والسلام

ـ ومدلج بن مرة بن عبد مناة ، بطن ـ منهم سراقة بن [مالك بن] جعشم المدلجى
الذى تصور إبليسُ فى صورته يوم بدر وقال لقريش : إنى جارٌ لكم ـ وبنو مالك
ابن كنانة ، بطن ـ منهم جِذْل الطعان ، وهو علقمة بن أوس بن عمرو بن ثعلبة
ابن مالك بن كنانة . ومن ولد جِذل الطعان ، ربيعة بن مكدم ، وهو أشجع بيت
فى العرب ، وفيهم يقول على بن أبى طالب لأهل الكوفة : وَدِدت واللهِ لو أنّ لى ٥
بمائةِ ألف منكم ثلثمائة من بنى فِراس بن غنم بن ثعلبة . ومن بنى الحارث بن مالك
بن كنانة ، منهم العملس ، وهو أبو ثمـامة الذى كان ينسئ الشهور حتى أنزل الله
فيه ﴿ إنمـا النَّسِىءُ زِيادَةٌ فى الـكُفْرِ ﴾ ؛ وبنو مخدَج بن عامر بن ثعلبة ، بطن ؛
وبنو ضمرة فى كنانة الأحابيش ، منهم البرّاض بن قيس الذى يقال فيه « أفتك من
البراض » ومن بنى كنانة الأحابيش ، منهم مبذول وعوف وأحمر وعون ؛ ومن ١٠
بنى الحرث بن عبد مناة : الحليس بن عمرو بن الحارث ، وهو رئيس الأحابيش
يوم أحد ؛ ومن بنى سعد ليث : أبو الطفيل عامر بن واثلة ، وواثلة بن الأسقع ،
كانت له صحبة مع النبى عليه الصلاة والسلام ؛ ومن بنى حدج بن ليث : نصر بن
سيار صاحب خراسان ؛ ومن بنى ضمرة بن بكر : عمارة بن مخشى ـ الذى عاقد النبى
عليه الصلاة والسلام على بنى ضمرة . ١٥

بطون أسد وجماهيرها

أسد بن خزيمة بن مدركة بن اليـأس بن مضر ؛ منهم دودان الذى يقول فيه
امرؤ القيس :

قُولَا لِدُودان عَبيدِ العصا ٭ ماغَرَّكُمْ بالأسدِ البـاسل !

ومنهم : كاهل بن عمرو بن صعب ، وحلمة ؛ فأما بنو حلمة فأفناهم امرؤ القيس ٢٠
ابن حجر بأبيـه ؛ ومنهم غنم بن دودان ، وثعلبة بن دودان ؛ ومنهم قُعيس بن
الحارث بن ثعلبة بنُ دودان بن أسـد ؛ ومنهم بنو الصيداء بن عمرو بن قعَيْس ؛
ومنهم فقعس بن طريف بن عمرو بن قعيس ؛ ومنهم جَحوان بن فقعس ،
ودثار ، ونوفل ، ومنقذ ، وهو حـذلم ، بنو فقعس ؛ فمن بنى جحوان طليحة

ابن خويلد الأسدى ؛ ومن بنى الصيداء شيخ من عميرة القائد ، والصامت بن الأفقم الذى قتل ربيعة بن مالك أبا لبيد بن ربيعة الشاعر يوم ذى علق . وفى بنى الصيداء يقول الشاعر :

يا بنِى الصَّيْداء ردُّوا فرَسى * إنما يُفعلُ هـذا بالذَّلِيل

٥ ومن بنى قُعيس : العلاء بن محمد بن منظور ، ولى شرطة الكوفة ؛ ومنهم ذؤاب بن رُبيِّعة الذى قتل عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعى ؛ ومنهم : قبيصة ابن برمة ، ومنهم بشر بن أبى خازم الشاعر ؛ ومن بنى سعد بن ثعلبة بن دودان : سويد بن ربيعة ، وعبيد بن الأبرص ، وعمرو بن شاس أبو عرار ، والكميت ابن زيد ؛ ومنهم : ضرار بن الأزور صاحب المختار ؛ ومنهم بنو غاضرة بن مالك ١٠ ابن ثعلبة بن دودان ؛ ومن بنى غاضرة زر بن حبيش الفقيه ، ومنهم الحسحاس ابن هند الذى ينسب إليه عبد بنى الحسحاس ؛ ومن أسد بنو غنم بن دودان ؛ ومنهم زينب بنت جحش زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، ومنهم أيمن بن خريم الشاعر ، والأقيشر الشاعر ؛ ومن بنى كاهل بن أسد علباء بن الحرث الذى يقول فيه امرؤ القيس :

١٥ وأَفلَتَهُنَّ عِلْباءٌ جريضا * ولو أَدْرَكْنَهُ صَفِرَ الوِطابُ

الهون بن خزيمة بن مدركة

منهم القارة ، وهم عائذة ويُثَيع ، بنو الهون بن خزيمة بن مدركة ؛ والقارة أرمَى حى فى العرب ، ولهم يقال :

* قد أنصف القارَةَ مَنْ راماها *

٢٠ فهذه قبائل بنى مدركة بن اليأس ، وهى : هذيل بن مدركة ، وكنانة بن خزيمة بن مدركة ، وأسد بن خزيمة بن مدركة ، والهُون بن خزيمة بن مدركة .

ومن قبائل طابخة بن اليأس

بطون ضبة وجماهيرها

ضبة بن أدّ بن طابخة بن اليأس: ولد ضبةُ بن أدّ سعدا وسُعيداً وباسلا، وله المثل الذى يقال فيه: «أسعد أم سُعيد» فقتل سُعيد ولم يعقب؛ ولحق باسل بأرض الديلم؛ فتزوج امرأة من أرض العجم، فولدت له الديلم. فيقال إن باسل ابن ضبة أبو الديلم. وفى ذلك يقول أبو بَجير يَعيب به العرب:

زَعَمْتم بأنّ الهِنـدَ أولادُ خِنْدِفٍ * وبينكُمُ قُرْبَى وبين البَرابِرِ
ودَيْلَمَ منْ نَسْلِ ابنِ ضَبَّةَ باسِلٍ * وبُرْجانَ من أولادِ عمرو بنِ عامرِ
فقد صار كلُّ الناسِ أولادَ واحدٍ * وصاروا سواءً فى أصولِ العناصِرِ
بنو الأَصفر الأملاكُ أكرمُ مِنكُمُ * وأولى بقُرْبانا مُـلوكُ الأكاسِرِ

فمن بنى سعد بن ضبة: بنو السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة، بطن. وبنو كوز بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة، بطن. وبنو زيد بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك بن بكر، بطن. وبنو عائذة بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة، بطن.

ومنهم: عبد مناة بن بكر بن سعد بن ضبة، وبنو ثعلبة بن سعد بن ضبة. فمن بنى كوز: المسيب بن زهير بن عمرو، ومن بنى زهير: عمرو بن مالك بن زيد بن كعب، وكان سيداً مطاعاً، وولد له عبد الحارث، وحصين، وعمرو، وأدهم، وذبحة، وعامر، وقبيصة، وحنظلة، وخيار، وحارث، وقيس، وشيبة، ومنذر، كل هؤلاء شريف قد رأس ورَبَعَ - يعنى قد أخذ المرباع - وكان الرئيس إذا غنم الجيش معه أخذ الرُّبع.

ومن ولد الحصين بن ضرار: زيد الفوارس، وله يقول الفرزدق:

زَيدُ الفوارِسِ وابنُ زَيْدٍ منهمُ * وأبو قَبيْصَةَ والرَّئيسُ الأوّلُ

الرئيس الأول: محلِّم بن سُوَيط ربع ضبة وتميم والرباب.

ومن بنى زيد الفوارس : ابن شُبرمة القاضى . ومن بنى عائذة بن مالك • شِرْحاف بن المثلم ـ الذى قتل عمارة بن زياد العبسى . ومن بنى السيد بن مالك : زيد بن حصين ، ولى أصبهان . وعبد الله بن علقمة الشاعر الجاهلى . ومنهم عميرة بن اليثربىّ قاضى البصرة ، وهو الذى قتل علباء و هند الجملى . وقال فى قتلهما يوم الجمل :

٥

إنى أنا عُمَيْرَةُ بن اليـثْرِبىّ ❊ قَتَلْت عِلْباء وهِند الجَمَلِىّ

ومن بنى ثعلبة بن سعد بن ضبة : عاصم بن خليفة بن يعقل ، الذى قتل بسطام بن قيس .

مزينة

١٠ مزينة : بنو عمرو بن أدّ بن طابخة بن اليأس ، نسبوا إلى أمهم مزينة ابنة كلب بن وبرة . منهم : النعمان بن مقرّن ، ومنهم معقل بن سنان بن نُبيشة صاحب النبى عليه الصلاة والسلام ، وزهير بن أبى سلمى الشاعر ، ومعن بن أوس الشاعر . ومنهم إياس بن معاوية القاضى . وإنما مزينة كلها بنو عثمان وأوس بن عمرو ابن أدّ بن طابخة ، وفى ذلك يقول كعب بن زهير :

١٥ متى أَدْعُ فى أَوْسٍ وعُثمانَ تأْتنى ❊ مساعِيرُ قَوْمٍ كُلُّهم سادة دِعَمْ
هُمُ الأُسْدُ عند البأس والحَشْدفى القِرَى ❊ وهُمْ عند عَقْد الجارِ يوفون بالذِّممْ

الرباب

وهم : عدىّ ، وتيم ، وثور ، وعُكل ؛ وإنما سميت هذه القبائل الرباب ، لأنهم تحالفوا فوضعوا أيديهم فى جفنة فيها رُب ؛ وقال بعضهم : إنما سموا الرباب ٢٠ لأنهم إذا تحالفوا جمعوا أقداحا ، من كل قبيلة منهم قدح ، وجعلوها فى قطعة أدم ، وتسمى تلك القطعة الربة ، فسموا بذلك الرباب .

فمن بنى عدى بن عبد مناة بن أدّ بن طابخة : ذو الرمة الشاعر ، وهو غيلان ابن عقبة . ومن بنى تيم بن عبد مناة : عمر بن لجأ الشاعر الذى كان يهاجى جريرا ؛

ومن بنى عكل بن عبد مناة : النمر بن تولب الشاعر ؛ ومن بنى ثور بن عبد مناة : سفيان الثورى الفقيه . فهذه الرباب ، وهم بنو عبد مناة .

صوفة

هم بنو الغوث بن مر بن أد بن طابخة ، وفيهم كانت الإجازة فى الجاهلية : هم كانوا يدفعون بالناس من عرفات ، ثم انتقلت الإجازة فى بنى عطارد بن عوف ابن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ؛ فمن الغوث شرحبيل بن عبد العزى الذى يقال له شُرحبيل بن حسنة .

بطون تميم وجماهيرها

تميم بن مُر بن أد بن طابخة بن اليأس بن مضر . كان لتميم ثلاثة أولاد : زيد مناة ، وعمرو ، والحارث بن تميم .

فمن الحارث بن تميم : شَقِرة ، واسمه معاوية بن الحارث بن تميم ؛ وإنما قيل له شقرة لبيت قاله ، وهو :

وقد أَحمِلُ الرُّمحَ الأَصمَّ كُعوبَه * به من دماءِ القومِ كالشَّقِرات

والشقرات : هى شقائق النعمان ، شبه الدماء بها فى حمرتها .

ومن بنى شَقِرة : المسيَّب بن شريك الفقيه ، ونصر بن حرب بن مخرمة .

ومن عمرو بن تميم : أُسيِّد بن عمرو بن تميم ، ومنهم أكثم بن صيفى حكيم العرب ، وأبو هالة زوجُ خديجةَ زوجِ النبى صلى الله عليه وسلم ، وأوس بن حجر الأُسيدى الشاعر ، وحنظلة بن الربيع صاحب النبى عليه الصلاة والسلام الذى يقال له حنظلة الكاتب .

بنو العنبر بن عمرو بن تميم

منهم سَوّار بن عبد الله القاضى ، وعبيد الله بن الحسن القاضى ، وعامر بن قيس الزاهد . ومنهم : بنو دُغَة بنت مِغْنج التى يقال فيها : « أحمق من دغة » ؛

وهى من إياد بن نزار تزوجها عمرو بن جندب بن العنبر ، فولدت له بنى الهُجَيْم ابن عمرو بن تميم ، ويقال لهم الحبال .

بنو مازن بن عمرو بن تميم ، منهم : عباد بن أخضر ، وحاجب بن ذبيان الذى يعرف بحاجب الفيل ، ومالك بن الرَّيب الشاعر ؛ ومنهم : قَطَرى بن الفُجاءة صاحب الأزارقة ، وسَلْم وأخوه هلال بن أحوز . ٥

الحبطات

وهم بنو الحارث بن عمرو بن تميم ، وذلك أن أباهم الحارث أكل طعاما لحبط منه ، أى ورم بطنه . منهم : عباد بن الحصين من فرسان العرب ، كان على شرطة مصعب بن الزبير .

غيلان وأسلم وحرماز ١٠

بنو مالك بن عمرو بن تميم

فمن بنى غيلان . أبو الجَرْباء ، شهد يوم الجمل مع عائشة ، وقتل يومئذ . ومن بنى حرماز : سَمُرة بن يزيد . كان من رجال البصرة فى أول مانزلها الناس .

بنو سعد بن زيد مناة بن تميم

١٥ الأبناء ، وهم ستة من ولد سعد بن زيد مناة ، يقال لهم : عبد شمس ، ومالك وعوف ، وعُوافة ، وجشم ، وكعب .

فبنو سعد بن زيد مناة ، وأولاد كعب بن سعد ، يسمّون مُقاعس والأجارب إلا عمراً وعوفاً ابنى كعب .

فمن بنى عبد شمس بن سعد : نُمَيْلة بن مُرة صاحب شرطة إبراهيم بن عبد الله ٢٠ ابن الحسن . وإياس بن قتادة ، حامل الديات فى حرب الأزد لتميم - وهو ابن أخت الأحنف بن قيس - وعَبدة بن الطبيب الشاعر . وحِمّان ، وهو عبد العزى ابن كعب بن سعد .

الأجارب

هم بطنان فى سعد ، وهم : ربيعة بن كعب بن سعد ، وبنو الأعرج كعب بن سعد . وفيهم يقول أحمر بن جندل :

ذُودا قليلا تلحق الحلائب ٭ يَلحَقُنا حِمَّانُ والأجارب

فمن بنى الأجارب : حارثة بن قُدامة ، صاحب شرطة على بن أبى طالب ٥ رضى الله عنه ؛ وعمرو بن جُرموز ، قاتل الزبير بن العوام .

مقاعس : هو الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد . ومن أفخاذ مقاعس : منقر بن عبيد بن مقاعس ؛ منهم قيس بن عاصم سيد الوبر ، وعمرو بن الأهتم ، وخالد بن صفوان بن عمرو بن الأهتم ، وشبيب بن شيبة بن عبد الله بن عمرو ابن الأهتم . ومن بنى عُبيد بن مقاعس ، وهم إخوة منقر : الأحنف بن قيس ؛ ١٠ وسلامة بن جندل ، والسُّليك بن سُلكة رَجُلُ العرب ، ويقال له الرئبال ، كان يُغير وحده . ومنهم عبد الله بن صَفّار الذى تُنسب إليه الصُّفرية . وعبد الله بن إباض الذى تُنسب إليه الإباضية . فهذه مُقاعس وجماهيرها .

بنو عطارد بن عوف

ابن كعب بن سعد ١٥

منهم : كرب بن صفوان بن حُباب . صاحب الإفاضة ، إفاضة الحاج يدفع بهم من عرفات ، وله يقول أوس بن مغراء :

ولا يَريمون فى التَّعريف موْقِفهم ٭ حتى يقال أجيزوا آل صَفْوانا

قريع بن عوف

ابن كعب بن سعد ٢٠

منهم الأضبط بن قريع رئيس تميم يوم ميط ، وبنو لأى بن أنف الناقة الذين مدحهم الحطيئة ، فقال فيهم .

قومٌ هُمُ الأنف والأذناب غيرُهُم ٭ ومَن يَسوِّى بأنف النّاقة الذّنبا

ومنهم أوس بن مَغْراء الشاعر . وهذا أشرف بطن فى تميم .

بهدلة بن عوف

ابن كعب بن سعد

منهم الزبرقان بن بدر ، واسمه حصين . ومنهم الأحيمر بن خلف بن بهدلة ، صاحب بردَىْ محرِّق ، والذى يقول فيه الفرزدق : ٥

فيا آبنة عبد الله وآبنة مالكٍ ٭ ويابنت ذى البُردين والفرسِ النَّهْد

جشم بن عوف بن كعب بن سعد

يقال لبنى جشم وعطارد وبهدلة : الجِذاع .

حنظلة بن مالك الأحمق

١٠ بن زيد مناة

البراجم خمسة من بنى حنظلة بن مالك بن زيد مناة وهم : غالب ، وعمرو ، وقيس ، وكُلفة ، وظُلَيم ، بنو حنظلة بن مالك الأحمق بن زيد مناة بن تميم . منهم عُميرة بن ضابئ الذى قتله الحجاج .

يربوع بن حنظلة

١٥ ابن مالك بن زيد مناة بن تميم

من ولده رِياح بن يربوع بن حنظلة . منهم : عُتّاب بن ورقاء الرياحى والى أصبهان وأحد أجواد الإسلام ، ومطر بن ناجية الذى غلب على الكوفة أيام ابن الأشعث . وسُحيم بن وثيل الشاعر . والحارث بن يزيد ، صاحب الحسن بن على . وأبو الهِندىّ الشاعر ، واسمه أزهر بن عبد العزيز ؛ ومعقل بن قيس صاحب ٢٠ على بن أبى طالب رضى الله عنه ، والأبيرد بن قُرة .

غُدانة بن يربوع ، منهم : وكيع بن أبى سُود ، وحارثة بن بدر وكان فارساً شاعرا .

ثعلبة بن يربوع ، منهم مالك ومتمّم ابنا نويرة ، وعتيبة بن الحارث بن شهاب ، الذى يقال صيّاد الفوارس .

وبنو سَليط بن يربوع ، منهم : المساور بن رئاب .

كليب بن يربوع ، منهم : جرير بن الخطفى الشاعر .

العنبر بن يربوع ، منهم : سجاح بنت أوس التى تنبأت فى تميم . ٥

زيد بن مالك ، وكعب الضرّاء بن مالك ، ويربوع بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة : أمهم العدوية ، وبها يعرفون . يقال لهم بنو العدوية .

طهية ، وهم بنو أبى سُود بن مالك ، وعوف بن مالك . أمهم طهية بها يعرفون ، ويقال لبنى طهية وبنى العدوية : الجمار .

ومن بنى طهية بنو شيطان . ومنهم دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ؛ ١٠ فولد دارم بن مالك : عبدالله، ومجاشع، وسدوس، وخَيْبرىّ، ونهشل، وجرير وأبان ومناف

فن ولد عبد الله بن دارم : حاجب بن زرارة بن عُدُس بن عبد الله بن دارم . وهلال ابن وكيع بن بشر ، وهو بيت بنى تميم وصاحب القوس . ومحمد بن جُبير بن عطارد .

مجاشع بن دارم . منهم : الفرزدق الشاعر ، والأقرع بن حابس ، وأعين بن ضبيعة بن عقال ، والحُتات بن يزيد ، والحارث بن شُريح بن زيد صاحب خراسان ، ١٥ والبعيث الشاعر ـ واسمه خِداش بن بِشر ـ والأصبغ بن نباتة ، صاحب على .

نهشل بن دارم . منهم : خازم بن خزيمة قائد الرشيد ، وعباس بن مسعود الذى مدحه الحطيئة ، وكثيّر عزة الشاعر ، والأسود بن يعفر الشاعر .

أبان بن دارم . منهم : سَورة بن بَحر ـ كان فارساً ـ صاحب خراسان ، وذو الخِرَق بن شُريح الشاعر . ٢٠

سدوس بن دارم ، وهؤلاء قد بادوا .

وربيعة بن مالك بن زيد مناة ، وربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ، وربيعة بن مالك بن حنظلة : يقال لهم : الربائع .

فمن ربيعة بن حنظلة : أبو بلال الخارجى ، واسمه مرداس بن حُدير .

ومن ربيعة بن مالك بن زيد مناة : علقمة بن عَبدة الشاعر ، وأخوه شأس .

ومن ربيعة بن مالك بن حنظلة : الحُنيف بن السِّجْف .

جُشيش بن مالك ـ وأمه حُطَّى ، على مثال حبلى ، وبها يُعرفون ـ منهم : حصين بن تميم الذى كان على شرطة عبيد الله بن زياد . ويقال لجشيش وربيعة ودارم وكعب بنى مالك بن حنظلة بن مالك : الخِشاب . انقضى نسب الرباب وضبة ومزينة وتميم .

بطون قيس وجماهيرها

نسب قيس بن عيلان بن مضر ، قيس بن الناس ، وهو عَيلان بن مضر .

فمن بطون قيس : عَدوان وفَهْم ابنا عمرو بن قيس بن عيلان ، وأمهما جديلة بنت مُدركة بن اليأس بن مضر ، نسبوا إليها .

فمن عدوان : عامر بن الظرب حَكَم العرب بعكاظ ، ومنهم أبو سيارة ، وهو عُمَيلة بن الأعزل . ومنهم تأبط شرًّا ، وهو ثابت بن عُمَيثل .

غطفان بن قيس عيلان ـ وأعصُر بن سعد بن قيس بن عيلان .

فمن بطون غطفان : أشجع بن ريث بن غطفان ، وأشجع بن ريث بن غطفان ؛ منهم : نصر بن دُهمان . وكان من المعمَّرين ، عاش مائتى سنة ، ومنهم فروة بن نوفل .

عَبْس بن بغيض بن ريث بن غطفان ، وهى إحدى جمرات العرب ، منهم : زهير بن جذيمة ، كان سيد عبس كلها حتى قتله خالد بن جعفر الكلابى ؛ وابنه قيس بن زهير فارس داحس ؛ وعنترة الفوارس ؛ والحُطيئة ؛ وعروة بن الورد ؛ والربيع بن زياد ، وإخوته الذين يقال لهم الكملة ؛ ومروان بن زِنباع الذى يقال له مروان القرظ ، وخالد بن سنان الذى ضيّعه قومه .

ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان . منهم : فزارة بن ذبيان بن بغيض ،

وفيهم الشرف ؛ ومنهم حذيفة بن بدر ؛ ومنهم منظور بن زَبّان بن سيار ، وعمر ابن هُبيرة ، وعدىّ بن أرطاة .

مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ؛ منهم هَرم بن سنان المُرِّى الجواد الذى كان يمدحه زُهير ؛ ومنهم زياد النابغة الشاعر ؛ ومنهم الحارث بن ظالم الذى يقال فيه «أمنع من الحارث» ؛ ومنهم : شَبيب بن البرصاء ، وأرطاة بن سُهَيَّة ، وعقيل ٥ بن عُلَّفة المُرِّى ، وابن ميّادة الشاعر ، ومسلم بن عقبة صاحب الحرة ، وعثمان بن حيان ، وهاشم بن حَرملة . الذى يقول فيه الشاعر :

أحْيـا أباهُ هاشم بن حَرْمَلَهْ ٭ يَقْتُلُ ذا الذَّنْبِ ومَنْ لا ذنب له

والشماخ الشاعر ، وأخوه مُزرّد . ابنا ضرار .

١٠ ومن بطون أعصُر : غنى بن أعصر بن سعد بن قيس بن الناس بن مُضر .

منهم طفيل الخيل . وقد رَبَعَ غنيًا ومنهم : مرثد بن أبى مرثد ، شهد بدرا .

باهـــلة

هم بنو معن بن أعصر ، نسبوا إلى أمهم باهلة ، وهم : قتيبة ووائل وأود وجِأوة ، أمهم باهلة ، وبها يعرفون ، منهم : حاتم بن النعمان . وقتيبة بن مسلم ، ١٥ وأبو أمامة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسلمان بن ربيعة ، ولّاه أبو بكر الصديق ، وزيد بن الحُباب .

بنو الطفاوة بن أعصر

وهم : ثعلبة وعامر ومعاوية ؛ أمهم الطُفاوة وإليها ينسبون ، وهم إخوة غنىّ ابن أعصر ؛ فهذه غطفان .

٢٠ بنو خصفة بن قيس بن عيلان

محارب بن زياد بن خصفة بن قيس بن عيلان ، منهم الحكم بن مَنيع الشاعر ، وبَقيع بن صفّار الشاعر الذى كان يهاجى الأخطل . وولدَ مُحارب : ذُهل وغَنم ؛

وهم الأبناء ؛ والخُضر ، وهم بنو مالك بن محارب .

سُليم بن منصور بن عِكرمة بن خَصفة . منهم : العباس بن مرداس ، كان فارسا شاعراً ، وهو من المؤلفة قلوبهم ؛ والفُجاءة الذى أحرقه أبو بكر فى الردة . ومنهم : صخر ومعاوية . ابنا عمرو بن الحارث بن الشّريد ، وهما أخوا خنساء ؛ وخفاف بن عُمير الشاعر ، ونُبَيْشَة بن حبيب قاتل ربيعة بن مكدم ، ومُجاشع بن مسعود من أهل البصرة ، وعبد الله بن خازم صاحب خراسان .

بنو ذكوان وبَهْز وبُهثة بنو سليم

منهم : أبو الأعور السَّلمى صاحب معاوية ، وعُمير بن الحُبـاب قائد قيس ، والجَحّاف بن حكيم . فهذه بطون سُليم ومُحارب .

قبائل هوازن

هم هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان .

منهم سعد بن بكر بن هوازن ، وفيهم آسْتُرْضِعَ النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ـ منهم مالك بن عوف النَّصرى قائد المشركين يوم حُنين .

جُشَم بن معاوية بن بكر ، منهم : دُريد بن الصّمَّة فارس العرب .

ثقيف ، وهو قَسِيُّ بن مُنَبّه بن بكر بن هَوازن . منهم : مسعود بن مُعتّب ، والمختار بن أبى عُبيد . ومنهم : عُروة بن مسعود عظيم القريتين ، والمُغيرة بن شُعبة ، وعبد الرحمن بن أم الحكم .

عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن

فمن بطون عامر : بنو هلال بن عامر بن صعصعة ، منهم : مَيمونة زوج النبى عليه الصلاة والسلام ، ومنهم عاصم بن عبـد الله صاحب خراسان ، وحُميد بن ثَور الشاعر ، وعمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر فارس الضَّحياء ؛ ومن ولده

خالد وحرملة ابنا هَوْذة ، صَحِبا النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وخِداش بن زهير .

نمير بن عامر بن صعصعة . منهم : الراعى الشاعر ، وهو عُبيد بن حصين ، وهمام بن قبيصة ، وشريك بن حُباشة الذى دخل الجنة فى الدنيا فى أيام عمر ابن الخطاب .

بنو كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ٥

وهم ستة بطون ، منهم عَقيل بن كعب ، رهط توبة بن الحُمَيِّر صاحب ليلى الأخيلية . منهم : بنو المنتفق .

بنو الحريش بن كعب ، رهط سعيد بن عمر ، ولى خراسان ، وهو صاحب رأس خاقان .

بنو العجلان بن كعب ١٠

رهط تميم بن مقبل الشاعر .

ومنهم بنو قُشير بن كعب ، رهط مالك بن سلمة الذى أسر حاجب بن زرارة .

ومنهم : بنو جعدة بن كعب ، رهط النابغة الجعدى ، وهو أبو ليلى ؛ فهذه بطون كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

١٥ ومن أفخاذ ربيعة بن عامر بن صعصعة : كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ؛ منهم المحلَّق بن حَنْتم بن شداد . ومنهم زُفر بن الحارث الكلابى ، ويزيد بن الصَّعِق ، ووكيع بن الجراح الفقيه .

جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، منهم الطُّفيل . فارس قرزَل ، وعامر بن الطُّفيل ، وعلقمة بن عُلاثة ، وأبو بَراء عامر بن مالك ملاعب الأسنّة . ٢٠

الضِّباب بن كِلاب ، منهم : شِمر بن ذى الجوشن .

هؤلاء بنو عامر بن صعصعة .

بنو سلول

هم بنو مرة بن صعصعة ، نسبوا إلى أمهم سلول .

غاضرة ، وهم غالب بن صعصعة ، ومالك ، وربيعة ، وغُويضرة ، وحارث ، وعبد الله ، ـ وهما عادية ـ وعوف ، وقيس ، ومُساور ، وسيّار ، وهو غَزِيّة .

٥ لَوذان ، وجَحْوش ، وجَحّاش ، وعوف ؛ وهم الوَقَعة ، بنو معاوية بن بكر بن هوازن .

بنو صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، يقال لهم : الأبناء .

هذا آخر نسب مضر بن نزار .

نسب ربيعة بن نزار

١٠ ولد ربيعة بن نزار : أسد ، وضُبيعة ، وعائشة ، وهم باليمن فى مراد ، وعمرو ، وعامر ، وأكلب ؛ وهم رهط أنس بن مدرك .

فمن قبائل ربيعة : نزار .

ضبيعة بن ربيعة بن نزار ـ وفيهم كان بيت ربيعة وشرفها . ومنهم الحارث الأضجم ، حكم ربيعة فى زُهرة ، وفيه يقول الشاعر :

١٥ قَلوصُ الظلامةِ من وائلٍ ٭ ترَدّ إلى الحارثِ الأضجَمِ
فهما يشأ يأتِ منه السَّدَادُ ٭ ومهما يشأْ منهمُ يَهضِمِ

ومنهم المتلمّس ، وهو جرير بن عبد المسيح الشاعر ، صاحب طَرفة بن العبد . الذى يقول فيه :

أَوْدَى الذى عَلِقَ الصحيفةَ منهما ٭ ونَجَا حِذارَ حِمَامِهِ المُتلمِّسُ

٢٠ ومنهم المسيِّب بن عَلَس الشاعر . ومنهم المرقّش الأكبر والمرقّش الأصغر . وكان المرقش الأكبر عمّ المرقش الأصغر ، والمرقش الأصغر عم طرفة بن العبد ابن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة .

عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، له ولدان : يقدُم ويَذكر ، فنهما تفرقت

عنزة ؛ فمن يذكر : بنو جِلّان بن عتيك بن أسلم بن يَذْكر ، وبنو هِزّان بن صُباح بن عتيك بن أسلم بن يَذكر ، وبنو الدُّول بن صُباح بن عتيك بن أسلم ابن يذكر ، وهم الذين أسروا حاتم طيّئ وكعب بن مامة والحارث بن ظالم ؛ وفى ذلك يقول الحارث بن ظالم :

أبلغ سَرَاة بنى غَيْظٍ مُغَلْغلةً ٭ أنى أُقسِم فى هِزّان أرباعا

ومنهم كِدام بن حيان من بنى هُمَيم ، كان من خيار التابعين ، وكان من خيار أصحاب علىّ ، ولهما يقول عبد الله بن خليفة :

ياأَخَوىّ من هَمِيمٍ هُدِيتما ٭ ويُسِّرْتما للصالحات فأبشِرا

ومن بنى يقْدم عَنَزة ، سيد بنى بغيض الشاعر ، وعِمْران بن عِصان الذى قتله الحجاج بدير الجاجم .

عبد القيس بن أفصى بن دُعْمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة . وُلد لعبد القيس : أفصى واللَّبْوَ . وولد لأفصى : عبدُ القيس وشَنّ ولُكَيز .

اللَّبْوُ بن عبد القيس : منهم رِئاب بن زيد بن عمرو بن جابر بن ضُبيب ، كان ممن وحّد الله فى الجاهلية ، وسأل عنه النبىّ صلى الله عليه وسلم وفْدَ عبد القيس ، وكان يُسقى قبر كل مَن مات من ولده . وفى ذلك يقول المُجين ابن عبد الله :

ومِنّا الذى بالبعثِ يُعرَفُ نسلُهُ ٭ إذا مات مِنهُمْ ميّتٌ جِيدَ بالقَطْرِ

رِئابٌ وأنَّى للبَرِيّةِ كُلِّها ٭ بِمِثْلِ رِئابٍ حينَ يُخطر بالسُّمْرِ

لُكَيز بن عبد القيس ، منهم بنو نُكرة بن لُكيز بن عبد القيس . منهم المُمزّق الشاعر ، وهو شأس بن نهار بن أسْرج الذى يقول :

فإن كنتُ مأكولا فكن خيرَ آكِلٍ ٭ وإلّا فأدرِكْنى ولمّا أُمَزّقِ

وصُباح بن لكيز . منهم : كعب بن عامر بن مالك ، وكان ممن وفد على النبى عليه الصلاة والسلام .

وبنو غَنم بن وديعة بن لُكيز ، منهم حكيم بن جَبلة صاحب عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه . وفيه يقول :

دعا حكيم دعوة سَمِيعهْ ◦ نالَ بِهـا المَنْزِلةَ الرَّفِيعهْ

وبنو جَذيمة بن عوف بن بكر بن أنمار بن وديعة بن لُكيز ، منهم الجارود

٥ العبْدى ، وهو بِشر بن عمرو .

وعَصَر بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار بن وديعة بن لكيز ، منهم : عمرو بن مَرْجوم الذى يمدحه المتلمّس .

وبنو حُطَمَةَ بن محارب بن عمرو بن أنمار بن وديعة بن لُكيز ، إليهم تنسب الدروع الحُطمية .

١٠ وعامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن أنمار بن وديعة بن لكيز ، منهم مِهْزَم بن الفِزْر ، الذى يقول فيه الجِرمازى :

يَحمِلْنَ بالمَوْماةِ بَحراً يَجرِى ◦ العامِرَ بن المِهْزَم بن الفِزْر

العُمُور من عبد قيس : الدِّيل وعِجل ومحارب ، بنو عمرو بن وديعة بن لكيز . فمن بنى الدِّيل : سُحيم بن عبد الله بن الحارث ، كان أحد السبعة الذين

١٥ عبروا الدجلة مع سعد بن أبى وقاص .

ومن بنى محارب : عبد الله بن همّام بن آمرئ القيس بن ربيعة ، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم .

ومن بنى عِجل : صعصعة بن صُوحان ، وزيد بن صُوحان ؛ من أصحاب على ابن أبى طالب رضى الله عنه . فهذه عبد القيس وبطونها وجماهيرها .

٢٠ النمر بن قاسط

النمر بن قاسط بن هنْب بن أفصى بن دُعمى بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار . فمن ولد النمر بن قاسط : تَيم الله ، وأوس مناة ، وعبدُ مناة ، وقاسط ، ومُنبِّه ، بنو النمر بن قاسط .

أوس مناة بن النمر ، منهم صُهيب بن سنان بن مالك ، صاحب النبي عليه الصلاة والسلام . كان أصابه سِباء فى الروم ثم وافوا به الموسم فاشتراه عبد الله ابن جُدعان فأعتقه ؛ وقد كان النعمان بن المنذر استعمل أباه سناناً على الأُبُلّة . ومنهم : حُمران بن أبان ، الذى يقال له مولى عثمان بن عفان .

ومن تيم الله : الضَّحْيان بن النمر ، وهو رئيس ربيعة قبل بنى شيبان ، وإنما سمى الضَّحيان لأنه كان يجلس لهم وقت الضحى فيقضى بينهم ، وقد ربَعَ ربيعةَ أربعين سنة . وأخوه عوف بن سعد ، ومن ولده ابن القِرِّيّة البليغ ، واسمه أيوب ابن زيد ، وكان خرج مع ابن الأشعث فقتله الحجّاج . ومنهم ابن الكيِّس النسّابة ، وهو عُبيد بن مالك بن شراحيل بن الكيِّس . فهذا النمر بن القاسط .

تغلب بن وائل

تغلب بن وائل بن قاسط بن هِنب بن أفصى بن دُعمى بن جديلة بن أسد ابن ربيعة بن نزار . فمن بطون تغلب : الأراقم ، وهم : جُشم ، وعمرو ، وثعلبة ومعاوية ، والحارث ، بنو بكر بن حبيب بن غَنم بن تغلب ؛ وإنما سموا الأراقم لأن عيونهم كعيون الأراقم .

ومن بطون تغلب : وكليب وائل الذى يقال فيه : « أعز من كليب وائل » وهو كليب بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم ؛ وأخوه مهلهل بن ربيعة .

ومن بنى كنانة بن تيم بن أسامة : إياس بن عَيْنان بن عمرو بن معاوية ، قاتل عُمَير بن الحُباب ، وله يقول زفر بن الحارث :

ألا يا كلْبُ غيرك أرجفُونى ٭ وقد ألصقْت خدَّك بالتُّرابِ
ألَا يا كلبُ فانتَشِرى وسُحّى ٭ فقد أودَى عُمَيْرُ بن الحبابِ
رِماحُ بنِى كِنانةَ أقصدَتْنى ٭ رِماحٌ فى أعاليها ٱضطِرابُ[1]

ومن بنى حارثة بن ثعلبة بن بكر بن حبيب : الهُذيل بن هُبيرة ، وهو الذى

(١) كذا فى الأصول ، وفى البيت إقواء .

تقول فيه نَهيشة بنت الجرّاح البَهْرانى تُعيّرُ قضاعة :

إذا ما معْشَرٌ شرِبوا مُداماً * فلا شربتْ قُضاعةُ غير بَوْلِ

فإمّا أن تقُودُوا الخيْلَ شُعْثاً * وإمّا أن تدينوا لِلهُـذَيْلِ

وتتّخِذوه كالنُّعمانِ ربًّا * وتُعطوهُ خراجَ بنى الدُّمَيْلِ

٥ الدُّميل : ابن لخم .

ومن عدى بن معاوية بن غَنْم بن تغلب : فارس العصا ، وهو الأخنس ابن شهاب .

ومن بنى القَدَوْكس بن عمرو بن الحارث بن جُشم : الأخطل الشاعر النصرانى ومنهم : قبيصة بن والق ، له هجرة ، قتله شبيب الحَرُورىّ ، وكان جواداً كريماً ،

١٠ فقال شبيب حين قتله : هذا أعظمُ أهل الكوفةَ جفنة ! قال له أصحابه : أتُطرى المنافقين ؟ فقال : إن كان منافقاً فى دينه فقد كان شريفاً فى دنياه .

ومن الأوس بن تغلب : كعب بن جُعيل . الذى يقول فيه جرير :

وسُمِّيت كعباً بِشَرِّ العِظامِ * وكان أبوكَ يُسمَّى الجُعَلْ

وكان محلُّكَ مِن وائلٍ * محلَّ القُرادِ مَن آستِ الجمَلْ

١٥ فهذه تغلب ، ليس لها بطون يُنسب إليها كما يُنسب إلى بطون بكر بن وائل ، لأن بكراً جمجمة ، وتغلب غير جمجمة .

بكر بن وائل

القبائل من بكر بن وائل : يشكر بن بكر بن وائل ، وعجل ، وحنيفة ـ ابنا لُجيم بن صعب بن علىّ بن بكر بن وائل ـ ، وشيبان وذهل وقيس بنو ثعلبة

٢٠ ابن عُكابة بن صعب بن علىّ بن بكر بن وائل وأمهم البرْشاء من تغلب .

يشكر بن بكر

منهم الحارث بن حِلِّزة الشاعر ، ومنهم شهاب بن مَذْعور بن حِلّزة ، وكان

من علماء الأنساب ؛ ومنهم سُويد بن أبى كاهل الشاعر .

عجل بن لجيم

منهم حنظلة بن ثعلبة بن سيّار ، كان سيّد بنى عجل يوم ذى قار ؛ ومنهم الفرات بن حيّان ، له صُحبة مع النبى صلى الله عليه وسلم ؛ ومنهم إدريس بن مَعقل جدّ أبى دُلف ؛ ومنهم شبابة بن المعتمر بن لقيط ، صاحب الدّيوان ؛ ومنهم الأغلب الراجز ؛ ومنهم أبجر بن جابر بن شريك ، وفد على عمر بن الخطاب رضى الله عنه. ٥

حنيفة بن لجيم

ولد له الدّيل ، وعدى وعامر . فمن بنى الدّيل بن حنيفة : قتادة بن مسلمة ، كان سيداً شريفا ؛ ومنهم ثمامة بن أثال بن النعمان بن مسلمة ، ومنهم : هَوذَة بن على بن ثمامة ، الذى يقول فيه أعشى بكر : ١٠

مَن يَرَ هوْذَةَ يسجُدْ غيرَ مُتَّئِبٍ ٭ إذا تعصّب فوقَ التاج أو وضعا

ومن بنى الديل بن حنيفة : شمر بن عمرو ، الذى قتل المنذر بن ماء السماء يوم عين أباغ ؛ ومنهم بنو عِفّان بن الحارث بن ذهل بن الديل ، وبنو عُبيد بن ثعلبة ، ويربوع بن ثعلبة بن الديل . وبنو أبى ربيعة فى شيبان ، سيدهم هانئ ابن قبيصة . ١٥

شيبان بن ثعلبة بن عكابة

منهم جَسّاس بن مرة بن ذهل بن شيبان ، قاتل كليب بن وائل ؛ وهمام بن مرة بن ذهل بن شيبان ؛ وقيس بن مسعود بن قيس بن خالد ، وهو ذو الجدّين ، وابنه بِسطام بن قيس ، فارس بنى شيبان فى الجاهلية ، وقد ربَع الذُّهْلين واللهازم اثنى عشر مِرباعا ومنهم : هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود بن المُزدلف عمرو بن أبى ربيعة بن ذُهْل بن شيبان ، الذى أجار عيال النعمان بن المنذر وماله عن كسرى ، وبسببه كانت وقعة ذى قار ، ومنهم مَصقلة بن هُبيرة ، كان سيداً شريفا ، ٢٠

وفيه يقول الفرزدق :

وبيت أبى قابوسَ مَصقَلةَ الذى * بَنَى بيتَ مجدٍ إسمُهُ غيرُ زائلِ

وفيه يقول الأخطل :

دعِ المُعَمَّرَ لا تُقتَلْ بمصرعِه * وسَلْ بمُصْقَلةَ البكرىِّ ما فَعَلَا

٥ بمُتْلِفٍ ومُفيدٍ لا يَمُنُّ ولا * يُعنِّفُ النفسَ فيما فاتَهُ عَذَلَا

إنَّ ربيعةَ لا تَنفكُّ صالحةً * مادافَعَ اللهُ عن حوْبائكَ الأَجَلَا

ومن ذهل بن شيبان : عوف بن محلِّم الذى يقال فيه : « لا حُرَّ بوادى عوْف » والضحاك بن قيس الخارجى ، والمثنَّى بن حارثة ، ويزيد بن رُزَيم ؛ ومنهم الغضبان بن القَبَعْثَرى ، ويزيد بن مِسهر أبو ثابت ، الذى ذكره الأعشى ؛ ١٠ والحوفزان ، وهو الحارث بن شَريك ، ومَطَر بن شريك ؛ ومن ولده : معن بن زائدة ؛ وشبيب الحرورى .

ذهل بن ثعلبة بن عكابة

منهم : الحارث بن وعلة ، وكان سيداً شريفا ، ومن ولده : الحُضين بن المنذر ابن الحارث بن وعلة صاحب راية ربيعة بصفّين مع على بن أبى طالب رضى الله ١٥ تعالى عنه ، وله يقول على :

لِمَنْ رايةٌ سوداءُ يَخفقُ ظِلُّها * إذا قيل قدِّمْها حُضَيْنُ تقدَّما

ومنهم القعقاع بن شَوْر بن النعمان ، كان شَريفا ؛ ومنهم دَغفل بن حَنظلة العلّامة ، كان أعلمَ أهل زمانه . وهؤلاء من بنى ذُهل بن ثعلبة بن عُكابة ، أمهم رَقاش ، وإليها يُنسبون ، ومنها يقال : الحضين بن المنذر بن الحارث ٢٠ ابن وعلة الرَّقاشى .

قيس بن ثعلبة بن عكابة

منهم الحارث بن عَباد بن ضبيعة بن ثعلبة بن حارثة ؛ كان على جماعة بكر ابن وائل يوم قِضة ، فأسر مهلهل بن ربيعة وهو لا يعرفه فخلَّى سبيله . ومنهم :

مالك بن مِسمع بن شَيبان بن ثعلبة ، يُكنى أبا غَسان . ومنهم الأعشى ، أعشى بكر ، وهو من بنى تيم اللّات من قيس بن ثعلبة بن عُكابة ؛ ومن بنى تيم اللات أيضا : مَطر بن فِضّه ، وهو الجَمد بن قيس ، كان شريفاً سيدا ، وهو الذى أسر خاقان الفارسى بالقادسية ، ومن ولده عُبيد الله بن زياد بن ظَبيان .

سدوس ٥

من شيبان بن ذُهل بن ثعلبة بن عكابة ، منهم : خالد بن المعمّر ومَجزأة بن ثَوْر ، وأخوه شقيق بن ثور ، وابن أخيه سُوَيد بن منجوف بن ثور ، وعمران بن حطّان .

اللهازم

وهم : عنزة بن أسد بن ربيعة ؛ وعِجل بن لُجيم . وتيم الله . وقيس ابنا ثعلبة ابن عكابة بن صعب بن بكر بن وائل ، وهم حلفاء . ١٠

والذهلان : شَيبان وذهل ، ابنا ثعلبة بن عكابة . وأم عجل بن لجيم يقال لها حَذام ، وفيها يقول لُجيم :

إذا قالت حَذَامِ فصدّقوها * فإنّ القولَ ما قالت حَذام

انقضى نسب ربيعة بن نزار .

إياد بن نزار ١٥

ولد إيادُ بن نزار : زُهراً ودُعميًا ونِمارة وثعلبة . فولد نِمارة الطمّاح ، ولهم يقول عمرو بن كلثوم :

أَلَا أَبْلِغْ بنى الطَّمّاحِ عنا * ودُعْمِيًّا فكيف وجَدْتُمُونا

وولد زُهر بن إياد حُذاقة ، رهط أبى دُواد الشاعر .

وأما أنمار بن نزار بن معد ، فلا عقب له إلا ما يقال فى بَجيلة وخَثعم ، فإنه ٢٠ يقال إنهما ابنا أنمار بن نزار ، وتأبى ذلك بَجيلة وخَثعم ويقولون : إنما تزوج إراش بن عمرو بن الغَوث بن أخى الأزد بن الغوث ، سلامةَ بنت أنمار ، فولدت له

أنمار بن إراش ، فنحن ولده . وقال حسان بن ثابت :

• وَلَدْنا بنى العَنْقاء وابن مُحرِّقٍ •

أراد بالعنقاء : ثعلبة بن عمرو مُزَيقِياء ، سُمِّىَ بالعنقاء لطول عنقه ؛ ومحرِّق هو الحارث بن عمرو مزيقياء ، وكان أول الملوك أحرق الناس بالنار ؛ والولادة التى ذكرها حسان ، أن هنداً بنت الخزرج بن حارثة كانت عند العنقاء ، فولدت له ولده كلهم ؛ وكانت أختها عند الحارث بن عمرو . فولدت له أيضا .

انقضى نسب بنى نزار بن معد .

القبائل المشتبهة

الدئل فى كنانة ؛ والدئل بن حنيفة فى بكر بن وائل ، منهم : قتادة بن سلمة ، وهَوذة بن على ، صاحب التاج الذى يمدحه أعشى بكر بن وائل .

سُدوس ؛ فى ربيعة ، وهو سدوس بن شيبان بن بكر بن وائل ، منهم : سويد ابن مَنجوف ؛ وسدوس ، مرفوعة السين ، فى تميم ، وهو سدوس بن دارم .

مُحارب بن فهر بن مالك فى قريش ؛ ومحارب بن خَفصة فى قيس ؛ ومحارب ابن عمرو بن وديعة فى عبد القيس .

غاضرة فى بنى صعصعة بن معاوية ؛ وغاضرة فى ثقيف .

تَيم بن مُرة فى قريش رهط أبى بكر ، تَيم بن غالب بن فهر فى قريش أيضاً ، وهم بنو الأدرم ؛ وتيم بن عبد مناة بن أُد بن طابخة فى مضر ؛ وتيم بن ذُهل فى ضبة ؛ وتيم فى قيس بن ثعلبة ؛ وتيم فى شيبان .

تيم الله بن ثعلبة بن عُكابة ؛ وفى النمر بن قاسط ، وتيم الله فى ضبة .

كلاب بن مرة فى قريش ؛ وكلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فى قيس .

عدى بن كعب من قريش ، رهط عمر بن الخطاب ؛ وعدى بن عبد مَناة من الرِّباب ، رهط ذى الرُّمة ؛ وعدى فى فزارة ؛ وعدى فى بنى حنيفة .

ذهل بن ثعلبة بن عُكابة ؛ وذهل بن شيبان ؛ وذهل بن مالك فى ضَبّة .

ضُبيعة فى ضَبة ؛ وضُبيعة فى عجل ؛ وضبيعة فى قيس بن ثعلبة ، وهم رهط الأعشى .

مازن فى تيم ؛ ومازن فى قيس عيلان ، وهم رهط عُتبة بن غَزْوان ؛ ومازن فى صعصعة بن معاوية ؛ ومازن فى شيبان .

سهم فى قريش ؛ وسهم فى باهلة . ٥

سعد بن ذبيان ؛ وسعد فى بكر فى هوازن ، أظآر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وسعد فى عجل ؛ وسعد بن زيد مناة فى تميم .

جُشم فى معاوية بن بكر ، وجشم فى ثقيف ، وجشم فى الأراقم .

بنو ضمرة فى كنانة ، وبنو ضمرة فى قشير .

دُودان فى بنى أسد ، ودُودان فى بنى كلاب . ١٠

سُليم فى قيس عيلان ، وسُليم فى جُذام من اليمن .

جَديلة فى ربيعة ، وجديلة فى طيئ ، وجديلة فى قيس عيلان .

الخزرج فى الأنصار ، والخزرج فى النمر بن قاسط .

وأسد بن خُزيمة بن مدركة ، وأسد بن ربيعة بن نزار .

شَقِرة فى ضبة ، وشقرة فى تميم . ١٥

ربيعة : ربيعة الكبرى ، وهو ربيعة بن مالك بن زيد مناة ؛ ويلقب ربيعة الجوع ، وربيعة الوسطى ، وهو ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ؛ وربيعة الصغرى ، وهو ربيعة بن مالك بن حنظلة . وكل واحد منهم عم الآخر .

مفاخرة ربيعة

عبد الملك وبعض جلسائه

قال عبد الملك بن مروان يوما لجلسائه : خبِّرُونى عن حىّ من أحياء العرب ٢٠ فيهم أشد الناس ، وأسخى الناس ، وأخطب الناس ، وأطوَع الناس فى قومه ، وأحلم الناس ، وأحضرهم جوابا . قالوا : يا أمير المؤمنين ، ما نعرف هذه القبيلة ، ولكن ينبغى لها أن تكون فى قريش . قال : لا قالوا : ففى حمير وملوكها .

قال : لا . قالوا : ففى مضر . قال : لا . قال مصقلة بن رُقَبة العبدى : فهى إذاً فى ربيعة ونحن هم . قال : نعم . قال جلساؤه : ما نعرف هذا فى عبد القيس إلا أن تخبرنا به يا أمير المؤمنين . قال : نعم ؛ أما أشد الناس فحكيم بن جَبل ، كان مع على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فقُطعت ساقه فضَمَّها إليه حتى مر به الذى ٥ قطعها فرماه بها فجدله عن دابته ، ثم جثا إليه فقتله واتكأ عليه ، فمر به الناس فقالوا له : ياحكيم ، من قطع ساقك ؟ قال : وسادى هذا . وأنشأ يقول :

ياساقُ لا تُراعى ◦ إنّ معى ذراعى ◦ أحمى بها كُراعى

وأما أسخى الناس ، فعبد الله بن سوّار ، استعمله معاوية على السند ، فسار إليها فى أربعة آلاف من الجند ، وكانت توقد معه نار حيثما سار ، فيطعم الناس؛ ١٠ فبينما هو ذات يوم إذ أبصر نارا ، فقال : ما هذه ؟ قالوا : أصلح الله الأمير ، اعتل بعض أصحابنا فاشتهى خبيصاً فعملنا له . فأمر خبازَه أن لا يطعم الناس إلا الخبيص ، حتى صاحوا وقالوا : أصلح الله الأمير ، ردّنا إلى الخبز واللحم ! فسمّى مُطعِم الخبيص .

وأما أطوع الناس فى قومه ، فالجارود بِشْر بن العلاء ؛ إنه لما قبض ١٥ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وارتدت العرب ، خطب قومه فقال : أيها الناس ، إن كان محمد قد مات فإن الله حىٌّ لا يموت ؛ فاستمسكوا بدينكم ، فمن ذهب له فى هذه الرِّدّة دينارٌ أو درهم أو بعير أو شاة فله علىّ مثلاه ! فما خالفه منهم رجل .

أما أحضر الناس جوابا فصعصعة بن صُوحان ، دخل على معاوية فى وفد ٢٠ أهل العراق ، فقال معاوية : مرحباً بكم يأهل العراق ! قدِمْتم أرض الله المقدسة ؛ منها المنشر وإليها المحشر ، قدمتم على خير أمير ، يبرّ كبيركم ويرحم صغيركم ؛ ولو أن الناس كلهم ولد أبى سفيان لكانوا حلماء عقلاء ! فأشار الناس إلى صعصعة ، فقام فحمد الله وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أما قولك يا معاوية

إنا قدمنا الأرض المقدّسة : فلعمرى ما الأرض تقدّس الناس ، ولا يقدّس الناس إلا أعمالُهم ؛ وأما قولك منها المنشر وإليها المحشر ، فلعمرى ما ينفع قربها ولا يضر بُعدها مؤمنا ؛ وأما قولُك لو أن الناس كلهم ولد أبى سفيان لكانوا حلماء عقلاء ، فقد ولدهم خيرٌ من أبى سفيان : آدمُ صلوات الله عليه ؛ فنهم الحليم والسفيه ، والجاهل والعالم . ٥

وأما أحلم الناس [فالأشَجُّ العبدىّ] ، فإن وفد عبد القيس قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم بصدقاتهم وفيهم الأشج ، ففرّقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أول عطاء فرقه فى أصحابه ؛ ثم قال : يا أشج ، أَدنُ منى . فدنا منه ، فقال : إن فيك خلتين يحبهما الله : الأناة ، والحلم ! وكفى برسول الله صلى الله عليه وسلم شاهدا ؛ ويقال : إنّ الأشج لم يغضب قط . ١٠

جمرات العرب

وهم بنو نُمير بن عامر بن صعصعة ؛ وبنو الحارث بن كعب بن عُلة بن جَلْد ؛ وبنو ضبة بن أدّ بن طابخة ؛ وبنو عبس بن بَغيض . وإنما قيل لهذه القبائل جَمرات لأنها تجمعت فى أنفسها ولم يدخلوا معهم غيرهم . والتجمير : التجميع ؛ ومنه قيل : جمرة العقبة ، لاجتماع الحصى فيها ؛ ومنه قيل : لا تجمّروا المسلمين فتفتنوهم وتفتنوا نساءهم . يعنى : لا تجمعوهم فى المغازى . ١٥

وأبو عُبيدة قال فى كتاب التاج أُطفئت جمرتان من جمرات العرب : بنو ضَبة لأنها صارت إلى الرّباب فحالفتها ؛ وبنو الحارث ؛ لأنها صارت إلى مذحج فحالفتها ؛ وبقيت بنو نمير إلى الساعة لم تُحالف ولم يدخل بينها أحد .

وقال شاعرهم يرد على جرير : ٢٠

نُميرٌ جَمْرةُ العرب التى لم ٭ تَزلْ فى الحرب تلتهب التِهابا

وإنى إذ أَسُبُّ بها كُليباً ٭ فتَحت عليهمُ للخَسْف بابا

فلولا أن يقال هجا نميراً ٭ ولم نسمع لشاعرها جوابا

رغِبنا عن هِجاء بنى كُلَيْبٍ ۞ وكيف يُشاتِم الناسُ الكِلابا

أنساب اليمن

قَحطان بن عابَر ـ وعابَر . هو هود النبي صلى الله عليه وسلم ـ ابن شالَخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام ابن لَمْك بن مَتُّوشَلَخ بن أخنوخ ـ وهو إدريس النبي عليه السلام ـ ابن يَرْد بن مهلاييل بن قَينان بن أنُوش بن شِيث ـ وهو هبة الله ـ ابن آدم أبي البشر صلى الله عليه وسلم .

فولد قحطان : يعرب ـ وهو المُرعف ـ وسبأ ، والمسلف ، والمِرْداد ، ووِدِقْلى ، وتَـكْلا ، وأبِيال ، وعُوبال ، وأزال ، وهدورام ، وهو جرهم ، وأوفير ، وهُوَيلا ، وروح ، وإرم ، ونُوبت ؛ فهؤلاء ولد قحطان فيما ذكر عبد الله بن ملاذ .

وقال الكلبي محمد بن السائب : ولدُ قحطان : المرعف ـ وهو يَعرُب ـ ، ولأى ، وجابر ، والمتلمّس ، والعاصى ، والمتغشم ، وعاصِب ، ومعوذ ، وشِيم ، والقطامى ، وظالم ، والحارث ، ونُباتة . فهلك هؤلاء إلا ظالما ، فإنه كان يغزو بالجيوش .

وقال الكلبي : ولد قحطان أيضا : جُرْهما ، وحضرموت . فن أشراف حضرموت بن قحطان : الأسود بن كبير ، وله يقول الأعشى قصيدته التي أولها :

۞ ما بُكاء الكبيرِ بالأطلال ۞

ومنهم مسروق بن وائل ، وفيه يقول الأعشى :

قالت قتيلة : مَن مدَحْتَ فقلتُ : مسروقَ بن وائلْ

فولد يعرُب بن قَحطانَ يشجب ؛ وولد يشجب سبأ . وولد سبأ حِميرا ، وكهلان ، وصَيفيّا ، وبشرا ، ونصرا ، وأفلح ، وزَيدان ، والعوْد ، ورُهْما ، وعبد الله ، ونعمان ، ويَشجب ، وشدّادا ، وربيعة ، ومالكا ، وزيدا . فيقال لبنى سبأ كلهم : السَّبئيون ، إلا حِميرا وكهلان . فإن القبائل قد تفرقت منهما . فإذا سألت الرجل : ممن أنت ؟ فقال : سبئى . فليس بحميرى ولا كهلانى .

حمير

حِمير بن سبأ بن يشجُب بن يَعرب بن قحطان . فولد حمير بن سبأ : مالكا والهَميسع ، وزيدا، وأوسا ، وعرِيبا ، ووائلا ، ودِرْميّا ، وكهلان ، وعميكرب ، ومسروحا ، ومُرة : رهط معديكرب بن النعمان القَيل الذى كان بحضرموت .

فمن بطون حمير : معدان بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قَطن ابن عَريب . ومِلْحان بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشم بن عبد شمس بن وائل ، رهط عامر الشعبي الفقيه . وعِدّاد بن ملحان : وشيبان فى همدان . فمن كان منهم باليمن فهو حِميرى ، ويقال له شيبانى .

ومن بطون حمير : شَرْعب بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس . وإليه تُنسب الرماح الشَرعبية .

ومن بطون حمير : الذُّرون ، وقد يقال لهم الأذواء . وأيضا . رَمْدد ، فمنهم : بنو فهد ، وعبدكلال ، وذو كَلاع ـ وهو يزيد بن النعمان ، وهو ذو كلاع الأكبر . يقال : تكلّع الشيء . إذا تجمّع ـ وذو رُعَين ، وهو شَراحيل بن عمرو القائل :

فإن تكُ حِمْيَرٌ غَدَرتْ وخانتْ ＊ فمعـــذِرة الإلـٰه لِذى رُعيْنِ

ذو أصبح : واسمه الحارث بن مالك بن زيد بن الغوث . وهو أول من عُملت له السياط الأصبحية . ومن ولده : أبرَهة بن الصبّاح كان ملك تِهامة ، وأمه رَيحانة بنت أبرهة الأشرم ملك الحبشة . وابنه أبو شَمِر ، قُتل مع عليّ بن أبى طالب يوم صفّين . وأبو رُشْد بن كُريب بن أبرهة ، كان سيد حمير بالشام زمن معاوية . ومنهم يزيد بن مفرّغ الشاعر .

ذو يزن ، واسمه عامر بن أسلم بن زيد بن الغوث بن قَطن بن عريب . ومنهم : النعمان بن قيس بن سيف بن ذى يزن الذى نَفى الحبشة عن اليمن ـ وجاء فى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه اشترى حلّة ببضع وعشرين قلوصا ، فأعطاها إلى ذى يزن ـ وإلى ذى يزن تنسب الرماح اليزنية .

ذو جدن : وهو عَلَس بن الحارث بن زيد بن الغَوث ، ومن ولده علقمة بن شراحيل . ذو قيفان الذى كانت له صَمصامة عمرو بن معديكرب ، وقد ذكره عمرو فى شعره حيث يقول :

وسَيْفٌ لِابنِ ذى قَيْفانَ عندى ، تَخَيَّرَ نَصْلَهُ من عهدِ عاد

٥ حَضُور بن عدى بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية . وهم فى همدان .

فمن حَضور : شُعيب بن ذى مِهْزَم ، النبيُّ الذى قتله قومه . فسلَّط الله عليهم بُختنصر فقتلهم ، فلم يبق منهم أحد فاصطلمت حَضور ؛ ويقال : فيهم نزلت : ﴿ فلما أحسُّوا بأسَنا إذا هم منها يَركُضُونَ . لا تَركُضُوا وآرْجِعُوا إلى ما أُترِفْتُمْ

١٠ فيه ومساكِنِكمْ لعلَّكم تُسْألونَ . قالوا يا ويلَنا إنّا كنَّا ظالمين ، فما زالت تلك دعواهُمْ حتى جعلناهم حَصيداً خامدين ﴾ فيقال إن قبر شُعيب هذا النبى فى جبل باليمن فى حَضور يقال له ضين ، ليس باليمن جبل فيه ملح غيره ، وفيه فاكهة الشام ، ولا تمرُّ به هامَة من الهام .

الأوزاع

١٥ وهم : مرثد بن زيد بن زُرعة بن سبأ بن كعب ، وهم فى همدان إلّا جُرش ابن أسلم بن زيد بن الغوث ، الأصغر بن أسعد بن عوف .

شجيج بن عدىّ بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو .

وصبى بن سبأ ، الأصغر بن كعب بن زيد بن سهل بن تُبع ، وهو أسعد أبو كرب .

٢٠ ### التبابعة

تُبع الأصغر أسعد أبو كَرب ، واسمه تِبان بن مَلْكِيكرب ، وهو تبع الأكبر ابن قيس بن زيد بن عمرو ، ذى الأذعار بن أبرهة ذى المنار .

وتُبع بن الرائش بن قيس بن صَيفى . ومَلكيكرب تبع الأكبر ، يكنى أبا مالك ، وله يقول الأعشى :

وخان الزمانُ أبا مالكٍ ، وأىّ آمرئٍ لم يَخُنْهُ الزّمَنْ

ومن بنى صيفى بن سبأ : بلقيس ، وهى بلقمة بنت آل شَرْخ بن ذى جدن ابن الحارث بن قيس بن سبأ الأصغر . ٥

ومنهم : حِير التبابعة . وهم تسعة ، منهم تبع الأصغر ، وتبع الأكبر ؛ ومنهم المثامنة ، وهم ثمانية رهط ولاة العهود بعد الملوك ؛ وهم الثمامنة ، أربعة آلاف ؛ والقَيل الذى يكلم الملك فيسمع كلامه ولا يكلم غيره ؛ ومنهم أبو فُرَيْقيش بن قيس بن صيفى الذى افتتح إفريقية فسُميت به ، ويومئذ سُميت البرابرة ؛ وذلك أنهم قالوا إنه قال لهم : ما أكثر بربرتكم . ١٠

قضاعة

هو قضاعة بن مالك بن عمرو بن مُرة بن زيد بن مالك بن حِمير ، وآسم قضاعة : عمرو .

فن قبائل قضاعة وبطونها وجماهيرها : كلب بن وبرة بن تغلب بن حُلوان ابن عمران بن الحاف بن قضاعة ؛ وذلك أن وبرة ولد له : كلب ، وأسد ، ١٥ ونمر ، وذئب ، وثعلب ، وفهد ، وضبع ، ودُب ، وسِيد ، وسَرحان . فن أشراف كلب : الفُرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة ، وهو الذى تزوج عثمان بن عفان ابنته نائلة بنت الفرافصة ؛ ومنهم زهير بن جَناب بن هُبل بن عبد الله ابن كِنانة .

ومن أسلافهم فى الإسلام دحية بن خليفة الكلبى ، وهو الذى كان جبريل ٢٠ عليه السلام ينزل فى صورته .

ومنهم حسان بن مالك بن جذيمة .

ومن قضاعة : القين بن جَسر بن شَيْع اللات بن أسد بن وبرة ؛ فن أشراف

القين : دَعج بن كُثيف ، وهو الذى أسر سِنان بن حارثة المرّى ؛ ومنهم نَديما جَذيمة ، وهما مالك وعقيل ابنا فارج ، ولهما يقول المُنخّل :

ألم تعلمى أنْ قد تفرّق قبلَنا ۞ خليلا صَفاءٍ مالِك وعَقيلُ

ومنهم سعد بن أبى عمر وكان سيد بنى القَين ورئيسَهم .

٥ ومن قضاعة : تَنوخ ، وهم ثلاثة أبطن : منهم بنو تيم الله بن أسد بن وبرة ، ومنهم مالك بن زهير بن عمرو بن فهم بن تيم الله بن ثعلبة بن مالك بن فهم ، ومنهم أُذينة الذى يقول فيه الأعشى :

أزالَ أُذَيْنَةَ عن مُلْكِهِ ۞ وأخرج من قصره ذا يَزَنْ

ومن بنى قضاعة : جَرم وهو عمرو بن عِلّاف بن حُلوان بن عمران بن

١٠ الحاف بن قضاعة ، وإلى علاف تنسب الرحال العلافية ، وقال الشاعر :

۞ بجُوفِ عِلافىّ وقِطْع ونُمْرُق ۞

ومن جَرْم : الزَّعْل بن عُروة وكان شريفاً ، ومنهم عصام بن شَهْبر بن الحارث وكان شاعراً شجاعا ، وله يقول النابغة :

فإنّى لا ألومُك فى دخولٍ ۞ ولكنْ ما وراءك يا عِصامُ

١٥ وله قيل :

نفسُ عصامٍ سوّدَتْ عصامًا ۞ وعلّمتْهُ الكَرَّ والإقداما

وجعلَته مَلِكاً هماما

ولجرم أربعة من الولد : قدامة ، وجُدة ، ومِلْكان ، وناجية ؛ فمن بنى قدامة : كِنانة بن صَريم الذى كان يُهاجى عمرو بن معديكرب ، ووَعْلة بن عبد الله بن

٢٠ الحارث الذى قتل الحارث بن عبد المَدان .

ومنهم بنو نشق ، وهم باليمامة مع بنى هِزّان بن عَنزة ؛ ومنهم أبو قُلابة الفقيه عبدُ الله بن زيد ؛ والمساور بن سَوار ، ولى شرطة الكوفة لمحمد بن سليمان .

ومن بنى جُدة بن جَرم : بنو راسب ، وهم بنو الخزرج بن جدة بن جرم .

ومن قضاعة : سَليح ، وهو عمرو بن حُلوان ، بن عمران .

ومن بنى سعد بن سَليح : الضَّجاعمة الذين كانوا ملوك الشام قبل غسّان .

ومن بنى النمر بن وبَرة خُشَين ، منهم أبو ثعلبة الخشنى صاحب النبي صلى الله عليه وسلم .

ومن بنى النمر بن وبَرة : غاضرة وعاتية ابنا سُليم بن منصور .

ومن بنى أكثم بن النمر : مَشْجعة بن الغوث : منهم معاوية بن حِجار ، الذى يقال له ابن قارب ، وهو الذى قتل داود بن هَبولة السَّليحى ، وكان ملكا .

بَهراء بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة ؛ فولد بهراء : أهْودَ ، وقاسطا، وعَبدة وقسراً ، وعديًا ، بطون كلها .

ومنهم قيس وشَبيب ، بطنان عظيمان ، ومنهم المقداد بن عمرو صاحبُ النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى يقال له المقداد بن الأسود ؛ لأن الأسود بن عبد يغوث كان تبنَّاه ، وقد انتسب المقداد إلى كندة ؛ وذلك أن كندة سبتْه فى الجاهلية فأقام فيهم وانتسب إليهم .

ومن قضاعة : بَلِىُّ بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة : منهم المجذَّر بن ذِياد قاتل أبى البخترى العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى فى يوم بدر وهو يقول :

بَشِّرْ بِيُتْمٍ مَنْ أبيهِ البخترى ٭ أو بشِّرَنْ بمِثْلِها مِنّى أبى
أنا الَّذى أزْعُمُ أَصْلِى مَنْ بَلِى ٭ أضرِبُ بالْهِنْدِىِّ حتى ينْثَنى

وفيهم بنو إراشة بن عامر ؛ منهم كعب بن عُجْرة الأنصارى صاحب النبى عليه الصلاة والسلام ، وسهل بن رافع صاحب الصاع .

وفيهم بنو العجلان بن الحارث : منهم ثابت بن أرقم شهد بدراً وهو الذى قتله طليحة فى الردّة .

ومنهم بنو واثلة بن حارثة أخى بنى عِجْلان : منهم النعمان بن أعصر ، شهد بدراً .

ومن قُضاعة : مَهرة بن حَيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، وهو الذى تُنسب إليه الإبل المَهرية .

ومنهم : كرز بن رُوعان . من بنى المُنْسم الذى صار إلى معديكرب بن جَبلة الكندى ، وهو الذى يقول :

٥ تقـــولُ بُنيَّتى لما رأتْنى ۞ أُكِبُّ عليهمُ وأذُبُّ وحدى
لعَمْرُكَ إنْ ونيْتَ اليومَ عنهم ۞ لَتَنْقَلِبَنَّ مصروعاً بخَـــدِّ

ومنهم ذَهْبَن بن قِرضِم بن العُجيل ، وهو الذى كان وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكتب له كتاباً وردَّه إلى قومه .

جُهينة بن ليث بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة . منهم : سُويد بن
١٠ عمرو بن جذيمة بن سبرة بن خُديج بن مالك بن عمرو بن ثعلبة بن رفاعة بن مُضر ابن مالك بن غَطفان بن قيس بن جهينة ، وكان شريفا .

ومن قضاعة : نَهد بن زيد بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة . منهم الصَّعق ، وهو جُشم بن عمرو بن سعد ، وكان سيد نهد فى زمانه ، وكان قصيراً أسود دميا ، وكان النعمان قد سمع شرفه فأتاه ؛ فلما نظر إليـه نَبَتْ عنه عينُهُ ،
١٥ فقال : « تسمع بالمُعَيْدِى خيرٌ من أن تراه ! » فقال : أبيت اللعن ! إن الرجال ليست بمُسُوك يُستَقَى فيها الماء ، وإنما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، إذا نطق نطق ببيان ، وإن صال صال بجنان . قال : صدقت ! ثم قال له : كيف عِلمك بالأمور ؟ قال : أُبغض منها المقبول ، وأُبرم المسحول ، وأحيلها حتى تحول ، وليس لها بصاحب ، من لم ينظر فى العواقب .

٢٠ ومنهم : ودعة بن عمرو صاحب بَسْبَس ، طليعة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عُذرة بن سعد هُذَيم بن زيد بن ليث ؛ منهم خالد بن عَرفطة ، ولاه سعد ابن أبى وقاص ميمنة الناس يوم القادسية . ومنهم عُروة بن حِزام صاحب عفراء. ومنهم رَزَاح بن ربيعة أخو قُصىّ لأمه ، وهو الذى أعان قُصيًّا حتى غلب على البيت . ومنهم جميل بن عبد الله بن مَعمر بن نَهيك صاحب بثينة .

وبنو الحارث بن سعد . إخوة عُذرة .

فهؤلاء بطون قُضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة . وهؤلاء أولاد حِمير بن سبأ .

كهلان بن سبأ

الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان . ٥

فمن قبائل الأزد : الأنصار ، والأوس ، والخزرج : ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، وأمهما قيلة .

هؤلاء الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة ـ وهو العنقاء ـ ابن عمرو بن ثعلبة ـ وهو المزيقيا ـ ابن عامر ، وهو ماء السماء .

فمن بطون الأوس والخزرج وجماهيرها : عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ١٠ ـ وهم بنو السَّمِيعة ، بها يعرفون ـ وهم عوف [وحبيب] وثعلبة ولوذان ، بنو عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس .

ضبيعة بن زيد بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس . منهم : عاصم بن ثابت ابن أبي الأقلح الذى حَمَت لحمه الدبر ، والأحوص [بن محمد] بن عبد الله الشاعر ، وحنظلة بن أبي عامر غسيل الملائكة ، وأبو سفيان الحارث ، بدرى . وأبو مليل ١٥ ابن الأزعر ، بدرى .

حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، منهم : سويد بن الصامت قتله المجذَّر بن ذِياد فى الجاهلية ، فوثب ابنه على المجذَّر فقتله فى الإسلام ، فقتله النبي عليه الصلاة والسلام .

عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس . ٢٠ منهم : سعد بن معاذ الذى اهتز لموته العرش ، بدرى ، حكم فى بنى قريظة والنضير ، وعمرو أخو سعد بن معاذ ، شهد بدراً وقتل يوم أحد . والحارث بن أنس ، شهد بدراً وقتل يوم أحد ، وعمار بن زياد قتل يوم بدر ، وأُسيد بن الحضير بن سماك ،

شهد العقبة وبدراً ؛ وربيعة بن زيد شهد العقبة وبدراً .

ربيعة بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن خزرج بن عمرو بن مالك ابن الأوس . منهم : رفاعة بن قيس ، قتل يوم أحد . وسلمة بن سلامة بن وَقْش ، شهد بدراً وقتل يوم أحد . وأخوه عمرو بن سلامة ، قتل يوم أحد ، ورافع بن يزيد ، بدرى .

زَعُورا بن جشم بن الحارث بن خزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس . منهم : مالك بن التَّيِّهان أبو الهيثم ، نقيب بدرى عقبي ؛ وأخوه عتبة[1] بن التيهان ، بدرى قتل يوم أحد .

خطْمة هو عبد الله بن جشم بن مالك بن الأوس . منهم : عدى بن خرشة ، وعمرو بن خرشة ، وأوس بن خالد ، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ، وعبد الله ابن يزيد الأنصارى ، ولى الكوفة لابن الزبير .

واقف : هو مالك بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس . منهم : هلال بن أمية ، وعائشة بن نمير الذى ينسب إليه بئر عائشة بالمدينة ، وهرم بن عبد الله السلمى ابن امرئ القيس بن مالك بن الأوس . ومنهم : سعد بن خيثمة بن الحرث ، بدرى عقبي نقيب ، قتل يوم أحد .

عامرة : هم أهل راتج بن مرة بن مالك بن الأوس . منهم : وائل بن زيد بن قيس بن عمارة ، وأبو القيس بن الأسلت .

الخزرج

فمن بطون الخزرج : النجار بن ثعلبة بن عمرو بن خزرج : غنم بن مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج . منهم : أبو أيوب خالد بن زيد ، بدرى . وثابت بن النعمان ؛ وسراقة بن كعب ؛ وعمارة بن حزم ؛ وعمرو بن حزم ؛ بدرى عقبي ؛ وزيد بن ثابت صاحب القرآن والفرائض ؛ بدرى ؛ ومعاذ ومعوّذ وعوف

(١) ويروى «عتيك»

بنو الحارث بن رفاعة . وأمهم عفراء ، بها يعرفون ، شهدوا بدراً ؛ وأبو أمامة أسعد بن زرارة ؛ نقيب عقبي بدري ؛ وحارثة بن النعمان ، بدري .

مبذول : اسمه عامر بن مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن خزرج . منهم : حبيب بن عمرو ، قتل يوم اليمامة ، وأبو عمرة ، وهو بشير بن عمرو ، قتل مع على بن أبي طالب بصفين . والحرث بن الصمة ، بدري . وسهل بن عتيك ، بدري . ٥

حُديلَة : هو معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج . أمه حديلة وبها يعرفون . منهم : أبي بن كعب بن قيس بن عُبيد بن معاوية . وأبو حبيب بن زيد ، بدري .

مَغَالة : هو عدي بن عمرو بن مالك بن النجار . منهم : حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام شاعر النبي عليه الصلاة والسلام ، وأبو طلحة وهو زيد بن سهل ابن الأسود بن حرام . ١٠

ملحان بن عدي بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن خزرج . منهم : سُلَيْم بن ملحان ، وحرام بن ملحان ، بدريان ، قتلا يوم بئر معونة .

غَنم بن عدي بن النجار . منهم : صِرمة بن أنس بن صرمة صاحب النبي صلى الله عليه وسلم . ومحرز بن عامر ، بدري . وعامر بن أُمية ، بدري ، قتل يوم أحد . وأبو حكيم وهو عمرو بن ثعلبة ، بدري . وأبو خارجة وهو عمرو ابن قيس ، بدري . وابنه سبرة أبو سليط ، بدري . وثابت بن خنساء ، بدري . قتل يوم أحد ، وأبو الأعور وهو كعب بن الحرث ، بدري . وأبو زيد أحدُ الستة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وبنو الحسحاس الذين ذكرهم حسان في قوله : ١٥ ٢٠

* ديارٌ من بني الحَسْحاسِ قفرُ *

مازن بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن خزرج . منهم : حبيب بن زيد ، قطع

مسيلمة جسدَه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إليه ؛ وعبد الرحمن بن كعب من الذين تولَّوا وأعيُنهم تفيض من الدمع ، بدرى . وقيس بن أبي صعصعة ، بدرى . وغزيّة بن عمرو ، عقبي .

بنو الحارث بن الخزرج . منهم : عبد الله بن رواحة الشاعر ، بدرى عقبي نقيب . وخلاد بن سُويد ، بدرى ، قتل يوم قريظة . وسعد بن الربيع ، بدرى ٥ عقبي نقيب ، قتل يوم أحد . وخارجة بن زيد ، بدرى عقبي نقيب قتل يوم أحد . وابنه زيد بن خارجة الذى تكلم بعد موته . وثابت بن قيس بن شماس ، خطيب النبي صلى الله عليه وسلم ، قتل يوم اليمامة وهو على الأنصار ؛ وبشير بن سعد ، بدرى عقبي . وأبو النعمان بن بشير . وزيد بن أرقم . وابن الأطنابة الشاعر . ١٠ ويزيد بن الحارث الشاعر ، بدرى . وأبو الدرداء وهو عُويمر بن زيد . وعبد الله بن زيد الذى أُرِىَ الأذان . وسبيع بن قيس ، بدرى . وعامر بن كعب الشاعر .

بنو خُدْرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج . منهم : أبو مسعود عقبة بن عمرو ، بدرى عقبي . وعبد الله بن الربيع ، بدرى . وأبو سعيد الخدرى وهو سعد بن مالك .

١٥ بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج . منهم سعد بن عبادة بن دُليم ، كان من النقباء ، وهو الذى دعا إلى نفسه يوم سقيفة بنى ساعدة . والمنذر بن عمرو ، بدرى عقبي نقيب ، قتل يوم بئر معونة . وأبو دجانة وهو سِماك بن أوس بن خرشة . وقيس ابن سعد . وأبو أسيد وهو مالك بن ربيعة قتل يوم اليمامة . ومسلمة بن مخلد .

سالم بن عوف بن الخزرج . منهم : الرَّمَق بن زيد الشاعر ، جاهلى . ومالك ٢٠ ابن العجلان بن زيد بن سالم سيد الأنصار الذى قتل الفِطْيونْ .

القَوقل : هو غَنم بن عمرو بن عوف بن الخزرج . منهم : عُبادة بن الصامت ، بدرى نقيب . ومالك بن الدُّخْشُم ، بدرى . والحارث بن خزيمة ، بدرى .

بنو بياضة بن عامر بن زُريق . منهم : زياد بن لبيد ، بدرى . وفروة بن عمرو ، بدرى عقبي . وخالد بن قيس ، بدرى . وعمرو بن النعمان رأس الخزرج

يوم بعاث . وابنه النعمان صاحب راية المسلمين بأُحد .

العجلان بن زيد بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ؛ ومن بنى العجلان : عبد الله بن نضلة بن مالك بن العجلان البدرى ، قتل يوم أحد . وعياش بن عبادة ن نضلة . ومُليل بن وبَرة ، بدرى . وعصمة بن الحصين بن وبرة بدرى . وأبو خيثمة ، وهو مالك بن قيس .

الحُبلى : وهو سالم بن غَنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ؛ سمى الحبلى لعظم بطنه . منهم : عبد الله بن أبىّ ابن سلول رأس المنافقين ؛ وابنه عبد الله بن عبد الله ، شهد بدرا وقتل يوم اليمامة . وأوس بن خولى ، بدرى .

بنو زريق بن عامر بن زريق بن حارثة بن مالك بن عضب بن جشم بن الخزرج . منهم : ذكوان بن عبد قيس ، بدرى عقبى قتل يوم أحد . وأبو عبادة سعد بن عثمان ، بدرى . وعُتبة بن عثمان بدرى . والحرث بن قيس ، بدرى . وأبو عياش بن معاوية فارس جُلْوة ، بدرى . ومسعود بن خَلَدة ، بدرى . ورفاعة بن رافع ، بدرى . وأبو رافع بن مالك ، أول من أسلم من الأنصار .

بنو سَلمة بن سعد بن على بن أسد بن شاردة بن جشم بن الخزرج . منهم : جابر بن عبد الله صاحب النبي عليه الصلاة والسلام . ومعاذ بن الصِّمَّة ، بدرى . وخراش بن الصمة ، شهد بدرا بفرسين . وعتبة بن أبى عامر ، بدرى . ومعاذ بن عمرو بن الجموح ، بدرى ، وهو الذى قطع رجل أبى لهب . وأخوه معوذ بن عمرو ، قتلا يوم بدر . وأبو قتادة واسمه النعمان بن ربعى . وكعب بن مالك الشاعر وأبو مالك بن أبى كعب الذى يقول :

لعَمْر أبيها ما تقول حَليلتى ٭ إذا فر عنها مالك بن أبى كعب

وبشر بن عبد الرحمن ؛ والزبير بن حارثة ؛ وأبو الخطاب وهو عبد الرحمن ابن عبد الله ؛ ومعن بن وهب ـ هؤلاء الخمسة شعراء ـ وعبد الله بن عتيك ، قاتل ابن أبى الحقيق . هذا نسب الأنصار .

خـــزاعة

هو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر ؛ وإنما قيل لهم خزاعة ؛ لأنهم انخزعوا من ولد عمرو بن عامر فى إقبالهم من اليمن ؛ وذلك أن بنى مازن من الأزد لما تفرّقت الأزد من اليمن فى البلاد ـ نزل بنو مازن على ماء بين زَبيد ورِمَع يقال له غسان ؛ فمن شرب منه فهو غسانى ؛ وأقبل بنو عمرو فانخزعوا من قومهم فنزلوا مكة ؛ ثم أقبل أسلم ومالك وملكان بنو أفصى بن حارثة فانخزعوا ، فسموا خزاعة ، وافترق سائر الأزد ، فالأنصار وخزاعة وبارق والهُجُن وغسان : كلها من الأزد ، فجميعهم من عمرو بن عامر ، وذلك أن عمرو بن عامر ولد له حفنة والحارث وهو محرِّق ، لأنه أول من عذَّب بالنار ، وثعلبة العنقاء ، وهو أبو الأنصار ، وحارثة ، وهو أبو خزاعة ، وأبو حارثة ، ومالك ، وكعب ، ووداعة ، وهو فى همدان ، وعوف ، وذهل ، وهو وائل ، وعمران . فلم يشرب أبو حارثة ولا عمران ولا وائل من ماء غسان ، فليس يقال لهم غسان .

بطون من خزاعة

حليل بن حُبْشِيَّة بن سلول بن كعب بن ربيعة بن خزاعة . وهو كان صاحب البيت قبل قريش ، منهم المحترش بن حُليل بن حبشية ـ الذى باع مفتاح الكعبة من قصى بن كلاب ـ ، وهلال بن حليل ، وكرز بن علقمة ـ الذى قفا أثر النبى صلى الله عليه وسلم حتى دخل الغار ، وهو الذى أعاد معالم الحرم فى زمن معاوية فهى إلى اليوم ـ ، وطارق بن باهية الشاعر .

قمير بن حُبشية بن سلول بن كعب بن ربيعة بن خزاعة . فمن بنى قمير : بُسْر ابن سفيان الذى كتب إليه النبى صلى الله عليه وسلم ، وجلجلة بن عمرو الذى ذكره أبو الكنود فى شعره ، ومن ولده قبيصة بن ذؤيب بن جَلجلة ، ومالك بن الهيثم بن عوف .

كليب بن حُبشية بن سلول بن كعب بن ربيعة بن خزاعة ؛ منهم : السفّاح

ابن عبد مناة الشاعر ، وخِراش بن أبى أمية حليف بنى مخزوم ، وهو الذى حجم[1] النبي عليه الصلاة والسلام .

ضاطر بن حُبشية بن سلول بن كعب بن ربيعة بن خزاعة . منهم : حفص ابن هاجر الشاعر ، وقُرة بن إياس الشاعر . وكان ابنه يحي بن قرة سيد قومه . وطلحة بن عُبيد الله بن كُريز بن الحدادية الشاعر ، واسمه قيس بن عمرو . ٥

حَرام بن عمر بن حبشية بن سلول بن كعب بن ربيعة بن خزاعة . منهم أكثم ابن أبى الجون ، وسلمان بن صرد بن الجون ، ومعتب بن الأكوع الشاعر . وأم معبد : وهى عاتكة بنت خُليف التى نزل بها النبي صلى الله عليه وسلم فى مهاجرته إلى المدينة .

غاضرة بن عمرو بن حُبشية بن سلول بن كعب بن ربيعة بن خزاعة . منهم : ١٠ عمران بن حصين صاحب النبي عليه الصلاة والسلام ؛ وسعيد بن سارية ، ولى شرطة على بن أبى طالب . وأبو جمعة جد كثيِّر عزة . وجعدة وأبو الكنود ابنا عبد العزى .

مليح بن خزاعة ، منهم : عبد الله بن خلف ، قتل مع عائشة يوم الجمل . وأخوه سليمان بن خلف ، كان مع علىّ يوم الجمل ، وابنه طلحة بن عبد الله ١٥ ابن خلف يقال له طلحة الطلحات ، وهو أجود العرب فى الإسلام ، وعمرو بن سالم الذى يقول :

لا هُمَّ إنى ناشدٌ محمدا ٭ حِلْفَ أبينا وأبيهِ الأتْلَدا

ومنهم كثيِّر عزة الشاعر ، كنيته أبو عبد الرحمن .

عدى بن خزاعة . منهم : بديل بن ورقاء الذى كتب إليه النبي صلى الله ٢٠ عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام ، وابنه عبد الله بن بديل ، ونافع بن بديل ، قتل يوم بئر معونة ، ومحمد بن ضمرة كان شريفا ، والحَيسمان بن عمرو الذى

(١) فى بعض الأصول : « حلق » .

جاء بقتلى أهل بدر إلى مكة وأسلم بعد ذلك .

سعد بن كعب بن خزاعة ؛ منهم : مطرود بن كعب الذى رثى بنى عبد مناف ، وعمرو بن لحَمِق صاحب النبي عليه الصلاة والسلام ؛ وأبو مالك القائد وهو أسد ابن عبد الله ؛ والحصين بن نضلة ، كان سيد أهل تهامة ، مات قبل الإسلام ؛ والحرث بن أسد ، صاحب النبي صلى الله عليه وسلم .

المُصطلق بن سعد بن خزاعة ؛ منهم جُوَيرية بنت الحزرج زوج النبي عليه الصلاة والسلام .

وإخوة خزاعة وهم ينسبون فى خزاعة : أسلم بن أفصى بن حارثة بن عمرو ابن عامر ؛ منهم : بريدة بن الحُصيْب صاحب النبيّ عليه الصلاة والسلام . وسَلَمَة ابن الأكوع صاحب النبي عليه الصلاة والسلام .

ومَلكان بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر . ومنهم ذو الشمالين ، وهو عمير بن عبد عمرو ، شهد بدراً مع النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ومالك بن الطُّلاطلة ، كان من المستهزئين من النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ونافع بن الحارث ولى مكة لعمر بن الخطاب .

مالك بن أفصى بن عمرو بن عامر ؛ منهم : عويمر بن حارثة ؛ وسليمان بن كُثير ، من نُقباء بنى العباس ، قتله أبو مسلم بخراسان .

سلامان بن أسلم بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر ، منهم : جَرْهد ابن رِزاح كان شريفاً ، وأبو بردة صاحب النبي عليه الصلاة والسلام .

فرغت خزاعة .

بارق والهجن

ولد عدى بن حارثة بن عامر : سعدا ـ وهو بارق ـ ، وعمراً ـ وهم الهجن ـ لخزاعة وبارق والهجن : من بنى حارثة بن عمرو بن عامر .

فمن بارق : سراقة بن مرداس الشاعر وجعفر بن أوس الشاعر ، ومنهم النعمان بن خَميصة ، جاهلي شريف . وبارق والهجن لا يقال لهما غَسان ؛ وغسان ماء بالمشلَّل ، فمن شرب منه من الأزد فهو غساني ، ومن لم يشرب منه فليس بغساني ؛ وقال حسان :

إمّا سألتِ فإنّا معشرٌ نُجُبٌ ٭ الأزْدُ نِسبتنا والماء غسّان ٥

ومن الُهجن : عَرفجة بن هَرْثمة الذى جنَّد الموصل ، وعداده فى بارق ؛ ومنهم ربعة وملادس وثعلبة وشبيب وألمع ، بنو الهجن .

حُجر بن عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الأزد ؛ ومنهم : أبو شُجرة بن حُجنة ، هاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ومنهم : صيفى بن خالد بن سلمة بن هُريْم . ١٠

والعتيك : هو ابن الأزد بن عمران بن عمرو ؛ منهم : المهلّب بن أبى صُفرة ، واسم أبى صُفرة ظالم بن سراقة : وجُديع بن سعيد بن قبيصة . ومن العتيك : عمرو بن الأشرف ، قتل مع عائشة يوم الجمل ؛ وابنه زياد بن عمرو ، كان شريفا ؛ وثابت قُطنة الشاعر . ويقال إن العتيك : ابنُ عمران بن عمرو بن أسد بن خُزيمة . فهؤلاء بنو عمران بن عمرو بن عامر ؛ وهم : الُحجر ، والأزْد ، والعتيك . ١٥

ومن بطون الأزد :

بنو ماسخة بن عبد الله بن مالك بن النصر بن الأزد ، إليهم تنسب القسى الماسخية ، كان أول من رمى بها بنو زَهران بن كعب بن الحارث بن كعب ابن عبد الله بن مالك بن نصر من الأزد . ومنهم : حُممة بن رافع ؛ وفيهم : بنو النمر بن عثمان بن النصر بن هوازن ؛ ومنهم : أبو الكَنود صاحب ابن مسعود ، قتل يوم الفِجار ؛ وأبو الجهم بن حبيب ، كان والياً لأبى جعفر : ٢٠

وأبو مريم ، وهو حذيفة بن عبد الله ، صاحب رايتهم يوم رستم ، والحارث بن حَصيرة الذى يحدِّث عنه ، ومخلد بن الحسن ، كان فارساً بخراسان .

وفَهم بن زهران بطن وحُدّان بطن ، وزيادة بطن . ومَعْولة ، بنو شمس ابن عمرو بن غنم بن غالب بن عثمان بن نصر بن هوازن .

٥ فمن بنى حُدّان : صبرة بن شيبان ، كان رأس الأزد يوم الجمل ، وقتل يومئذ .

ومن بنى مَعْولة بن شمس : الُجلَنْدى بن المُستكين صاحب عمان ، وابنه جيْفَر . وكتب النبي عليه الصلاة والسلام إلى جيفر وعُبيد ابنى الجلندى ، ومنهم الغطريف الأصغر والغطريف الأكبر من بنى دَهمان بن نصر بن زهران ، ومنهم ١٠ سيالة ، وحدروج ، ورسْن بنو عمرو بن كعب بن الغطريف ، بطون كلهم ، وبنو جِعْثِمة بن يشكر بن مَبسر بن صعب بن دُهمان .

بنو راسب — بنو راسب بن مالك بن ميْدعان بن مالك بن نصر بن الأزد ، منهم : عبد الله ابن وهب ذو الثفنات ، رئيس الخوارج ، قتله على بن أبى طالب يوم النّهروان . ومن الناس من يَنسب بنى راسب فى قُضاعة .

ثمالة — ١٥ ثُمالة ، وهو عوف بن أسلم بن أبجر بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نضر بن الأزد . وثمالة منزلهم قريب من الطائف ، وهم أهل رويّة وعقول ، ومنهم : محمد بن يزيد النّحوى المعروف بالمبرّد صاحب الروضة ، وقال فيه بعض الشعراء :

سألنا عن ثمالةَ كلَّ حىٍّ ‹› فقال القائلون ومَن ثمالهْ

٢٠ فقلتُ : محمدُ بن يَزيد منهمْ ، ‹› فقالوا الآن زدت بهم جَهالهْ

بنو لهب — بنو لِهْب بن أبجر بن كعب بن الحارث بن كعب ، وهم أعْيَف كل حىّ فى العرب — العائف : الذى يزجر الطير — ولهم يقول كثيِّر عزة :

تيمَّمتُ لِهْباً أبتغى العلمَ عندهم ‹› وقد رُدّ علمُ العائفين إلى لِهْبِ

دوس

دوس بن عُدثان بن عبد الله بن زَهران ، ومنهم حُممة بن الحارث بن رافع ، كان سيد دوس فى الجاهلية ، وكان لأسخى العرب ، وهو مُطعِم الحاج بمكة ، ومنهم أبو هُريرة صاحب النبىّ عليه الصلاة والسلام ، واسمه عُمير بن عامر . ومنهم جَذيمة الأبرش بن مالك بن فَهم بن غَنم بن دوس ، وجَهضم بن عوف بن مالك ابن فَهم بن غَنم بن دوس ، ومنهم الجراميز ، جمع جُرموز ، والقراديس ، جمع ٥ قردوس ، والقسامل ، جمع قَسملة ، والأشاقر ، جمع أشقر ، وهم بنو عائذ بن دَوس ، وفيهم يقول الأعجم :

قالوا الأشاقِرُ تَهجوكم فقلتُ لهم ۞ ما كنت أحسبُهم كانوا ولا خُلقوا

وهم من الحسَب الزاكى بمنزلةٍ ۞ كطُحْلُب الماء لا أصل ولا ورق

لا يكبرون وإن طالتْ حياتُهم ۞ ولو يَبول عليهم ثعلبٌ غَرقوا ١٠

علكّ بن عُدثان بن عبد الله بن زهران . وعكّ أخو دوس بن عُدثان بن عبد الله بن زهران عند من نَسبهم إلى الأزد ، ومن قال غير ذلك ، فهو عكّ ابن عُدثان أخو معد بن عدثان . وفى عكّ : قرن ، وهو بطن كبير ، منهم مقاتل ابن حكيم ، كان من نقباء بنى هاشم بخراسان .

غسان

غسّان ، وهم بنو عمرو بن مازن ، وفيهم : صُريم ، وبنو نفيل ، وهم الصُّبْر ، ١٥ سُموا بذلك لصبرهم فى الحرب ، وفى بنى صُريم شقْران ونَمران ابنا عمرو بن صُريم ، وهما بطنان فى غسان .

بنو عنزة

وبنو عَنَزة بن عمرو بن عوف بن عمرو بن عدى بن عمرو بن مازن بن الأزد . منهم : الحارث بن أبى شَمر الأعرج ، ملك غسان الذى يقال فيه الجفنى ، وليس بجَفنى ولكن أمّه من بنى جفنة . ومن بنى عمرو بن مازن : عبدُ المسيح ٢٠ ابن عمرو بن ثعلبة صاحب خالد بن الوليد ، ومنهم عبد المسيح الجِهْبذ ، ومنهم سطيح الكاهن ، وهو ربيعة بن ربيعة .

ومن بنى غسّان : بنو جَفنة بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة

ابن امرئ القيس بن مازن بن الأزد ؛ ومنهم : مُلوك غسان بالشام ، وهم سبعة وثلاثون ملكا ، ملكوا ستمائة سنة وست عشرة سنة إلى أن جاء الإسلام .

بجيلة

بجيلة ، وهم عبقر والغوث وصهيب ، ووداعة وأشهل ؛ نَسبوا إلى أمّهم بَجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة ؛ وهم بنو أنمار بن إراس بن عمرو بن الغوث ، أخو الأزد بن الغوث . منهم : جَرير بن عبد الله صاحب النبي عليه الصلاة والسلام ، وكان يُقال لجرير : يوسف هذه الأمّة ؛ لُحسنه . وفيهم يقول الشاعر :

لولا جريرٌ هلكتْ بَجيلهْ ٭ نِعْمَ الفتَى وبِئْستِ القَبيلهْ

ومنهم : الضّبين بن مُضر الذى وقع ببنى كنانة ، ومنهم القاسم بن عُقيل أحد بنى عائذة بن عامر بن قُداد . كان شريفا . وهو الذى ابتدأ منافرة بجيلة وقضاعة .

وفى بجيلة قسر بن عبقر منهم : خالد بن عبد الله القسرى صاحب العراق .

ومنهم بنو أحمس ، وهم بنو عَلَقَة بن عبقر بن أنمار بن إراش بن عمرو ابن الغوث ؛ وبنو زيد بن الغوث بن أنمار ؛ وبنو دَهْن بن معاوية بن أسلم ابن أحمس رهط عمار الدّهنى .

ومن قبائل بَجلة : هُدم ، وهديم ، وأَحمس ، وعادية ، وعديّة ، وقينان ، وعُرينة بن زيد .

خثعم

خثعم ـ هو : خثعم بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث ، أخى الأزد ابن الغوث . فى خثعم : عِفْرس ، وناهس ، وشَهران ، فيها الشرف والعدد .

فمن بنى شَهران : بنو قُحافة بن عامر بن ربيعة ؛ منهم : أسماء بنت عُميس ، ومالك بن عبد الله الذى قاد خيل خثعم إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

ومن ربيعة بن عِفرس : نُفيل بن حبيب دليلُ الحبشة على الكعبة ، وهو القائل :

وكلهُم يُسائل عن نُفيل ٭ كأنَّ علىّ للحُبْشان دَيْنا

وما كانَتْ دِلالتُهُم بِزَيْنٍ ٭ ولكنْ كان ذاك علىَّ شَيْنَا

فإنَّكِ لو رأيتِ ولم تَرَيْهِ ٭ لدَى جَنْبِ المُحَصَّبِ ما رأينا

إذاً لم تفرَحى أبداً بشىء ٭ ولم تأسَىْ على ما فات عَيْنا

حَمِدْت اللهَ إذ أبصرْت طيْراً ٭ وحُصْبَ حجارةٍ تُرْمَى علينا

ومن خثعم : عَثعث بن قُحافة ، وهو الذى هزم هَمْدان وسَذحج . وله ٥ يقول الشاعر :

وجُرْثُومة لم يَدخُلِ الذلُّ وسْطَها ٭ قريبةَ أنسابٍ كثيرٍ عديدُها

مُلَمْلِمة فيها فوارسُ عَثْعَثٍ ٭ بَنُوهُ وأبناء الأُقَيْصِرِ جِيدُها

ومنهم حُمران الذى يقول :

أقسَمْتُ لا أموتُ إلا حُرَّا ٭ وإن وجدتُ الموْتَ طَعْماً مُرَّا ١٠

أخافُ أن أُخْدَعَ أوْ أُغَرَّا

ويقال إن خَثعم اسمه أفتل ، وإنما خثعم جَمل كان لهم نُسبوا إليه .

همدان

وهو همدان بن مالك بن زيد بن أوسَلة بن ربيعة بن الخِيار بن مالك بن زيد ابن كهلان ؛ فولدت همدان : حاشداً وبكيلا ؛ ومنهما تفرقت همدان . ١٥

فمن بطون همدان شِبام ، وهو عبد الله بن أسعد بن حاشد .

ومنهم ناعط وهو ربيعة بن مرثد بن حاشد بن جُشم بن حاشد . ومنهم وداعة ابن عمرو بن عامر ، رهط مسروق بن الأجدع ؛ ومن الناس من يزعم أنه وداعة ابن عمرو بن عامر بن الأزد ، ولكنهم انتسبوا إلى همدان

ومن همدان : بنو السُّبيع بن الصعب بن معاوية بن كبير بن مالك بن جُشم ٢٠ ابن حاشد ؛ منهم : سَعيد بن قيس بن زيد بن حرب بن معديكرب بن سَيف بن عمرو السبيعىّ ؛ ومن بنى ناعط : الحارث بن عُميرة الذى يمدحه أعشى همدان بقوله :

إلى ابن عُمَيْرَةَ تَخْدِى بنا ٭ على أنها القُاص الضُّمَّرُ

ومن بنى بَكيل بن جُشم بن خَوان بن نوف بن همدان : بنو جَوْب - وهم الجوبيون - ابن شهاب بن مالك بن معاوية بن صعب بن دَوْمان بن بكيل . وبنو أرحب بن دُعام بن مالك بن معاوية بن صعب . وبنو شاكر ، وهم أبو ربيعة ابن مالك بن معاوية بن صعب ، وهم الذين قال فيهم على بن أبى طالب رضى الله ٥ عنه يوم الجمل : لو تمت عدتهم ألفاً لعُبدَ اللهُ حق عبادته . وكان إذا رآهم تمثل بقول الشاعر :

نادیتُ هَمْدانَ والأبوابُ مُغْلَقَةٌ ۞ ومثلُ همدانَ سَنَّى فتحةَ البـابِ
كالهُنْدُوانِىِّ لم تُفْلَلْ مَضـارِبُهُ ۞ وجهٌ جميلٌ وقلبٌ غيرُ وجّابِ

وقال فيهم على بن أبى طالب كرم الله وجهه :

١٠ لِهَمْدانَ أخـلاق ودينٌ يَزِينُهُمْ ۞ وبأسٌ إذا لاقوْا وحُسْنُ كلامِ
فلو كنتُ بَوَّاباً على بابِ جَنَّـةٍ ۞ لقلتُ لِهمدانَ ادخـلوا بسلامِ

ومن أشراف همدان : مالك بن حُريم الدَّالانىّ ، وكان فارساً شاعراً ؛ ومنهم محمد بن مالك الخَيْوانى ، وكان يُجير قريشاً فى الجاهلية على اليمن ؛ وفى همدان : جُشَم ، وهم رهط أعشى همدان ؛ وفيهم خَيْوان ، وهو مالك بن زيد بن جشم ١٥ بن حاشد ؛ وفيهم دَالان بن سابقة بن ناشج بن دافع ؛ منهم مالك بن حُريم الذى يقول :

وكنتُ إذا قومٌ غزَوْنى غزوْتُهُمْ ۞ فهل أنا فى ذا يا لَهَمدانَ ظـالمُ
متى تجمع القلبَ الذَّكِىّ وصارِماً ۞ وأنفاً حَمِيّـا تجتنِبْكَ المظـالمُ

ومنهم : أرحب بن دُعام بن مالك بن معاوية بن صعب بن دَوْمان بن بكيل . ٢٠ منهم : أبو رُهم بن مُطعم الشاعر ، هاجر إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو بن خمسين ومائة سنة .

وفى همدان : إلهان بن مالك ، وهو أخو همدان بن مالك ، ومنهم : حَوشب . قتل بصفين مع معاوية .

كِنــــدة

كندة بن عُفير بن عديّ بن الحارث بن مُرة بن أُدد بن زيد بن يَشْجب بن عريب بن زيد بن كهلان .

فمن بطون كندة : الرائش بن الحارث بن معاوية بن كندة ؛ منهم : شُريح بن الحارث القاضى ؛ ومنهم معاوية الأكرمين الذى مدحهم الأعشى ؛ ومنهم الأشعث ابن قيس بن معديكرب ؛ والصبّاح بن قيس وشُرحبيل بن السِّمط ، ولى حِمص ؛ وحُجر بن عدىّ الأدبر صاحب على ، وهو الذى قتله معاوية صبراً . ٥

ومنهم : بنو مرة بن حجر ، لهم مسجد بالكوفة ؛ ومنهم : الأسود بن الأرقم ؛ ويزيد بن فروة الذى أجار خالد بن الوليد يوم قطع نخل بنى وليعة ؛ وفى كِندة معاوية الولّادة . سُمى بذلك لكثرة ولده ؛ ومنهم حُجر الفرد ، سمى بذلك لجوده ، وأهل اليمن يُسمون الجواد : الفرد ، ومنهم معاوية مقطّع النُّجد ، كان لا يتقلد أحد معه سيفاً إلا قطع نجاده . ١٠

فمن بنى حُجر الفرد الملوك الأربعة : مِخْوس ، ومِشْرح ، وجَمْد ، وأبضعة ؛ وأختهم العمرّدة ، بنو معديكرب بن وليعة بن شُرحبيل بن حجر الفرد ؛ وهم الذى يقول فيهم الشاعر : ١٥

نحنُ قتلنا بالنُّجَيْرِ أربعهْ * مِخوس مِشْرَحاً وجَمْداً أبْضعه

ومن بنى امرئ القيس بن معاوية : رجاء بن حيوة الفقيه ، وامرؤ القيس ابن السِّمط . ومن أشراف بنى الحرث بن معاوية بن ثور : امرؤ القيس الشاعر ابن حُجر بن عمرو بن حجر آكل المُرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن ثور ؛ وهم ملوك كندة ؛ ومنهم : حجر بن الحارث بن عمرو ، وهو ابن أم قَطام بنت عوف بن محلم الشيبانى . ٢٠

ومن بطون كندة : السَّكاسك والسكون . ابنا أشرس بن كندة ؛ ومنهم معاوية بن حُديج ؛ قاتل محمد بن أبى بكر ؛ ومنهم الجَون بن يزيد ، وهو أول

من عقد الحلف بين كندة وبين بكر بن وائل ؛ ومنهم حُصَين بن نمير السّكونى ، صاحب الجيش بعد مُسلم بن عُقبة صاحب الحَرّة .

ومن السّكون : تجيب ؛ وهما عدى وسعد ابنا أشرس بن شبيب بن السكون وأمهما تجيب بنت ثوبان بن مذحج ، إليها ينسبون .

٥ فمن أشراف تُجيب : ابنُ غزالة الشاعر ، جاهلى ، وهو ربيعة بن عبد الله ؛ وحارثة بن سلمة ، كان على السكون يوم مُحيَّاة ، وهو يوم اقتتلت معاوية بن كندة وكنانة بن بشر الذى ضرب عثمان يوم الدار .

والسَّكاسك بن أشرس بن كِندة ، منهم الضّحّاك بن رَمَل بن عبد الرحمن ؛ وحُوَىّ ابن مانع الذى زعم أهلُ الشام أنه قتل عمّار بن ياسر ؛ ويزيد بن أبى كبشة صاحب ١٠ الحجاج . انقضى نسب كندة .

مذحج

ومن بنى أُدد بن زيد بن يشجُب بن عريب بن زَيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان : مالك بن أدد ، وهو مَذحج وطيّئ بن أدد والأشعر بن أدد .

١٥ وقال ابن الكلبى : إن مذحج بن أدد هو ذو الأنعام ، وله ثلاثة نفر : مالك ابن مذحج وطيئ بن مذحج والأشعر بن مذحج .

فمن قبائل مذحج : سعد العشيرة بن مالك بن أدد ؛ وولده الحكم بن سعد العشيرة ، وهو قبيل كبير ؛ منهم الجرّاح بن عبد الله الحكمى ، قتله الترك أيام عمر بن عبد العزيز ، وهم موالى أبى نواس . وفى بعضهم يقول :

٢٠ ياشقيقَ النَّفسِ مِنْ حَكَمٍ ‍ ه نِمْتَ عَنْ لَيْلَى ولم أَنَمِ

وإنما سمى سعد العشيرة ؛ لأنه لم يمت حتى ركب معه من ولده وولد ولده ثلثمائة رجل ؛ ومنهم عَمير بن بشر ، ومنهم بُندقة بن مَظّة .

ومن بطون سعد العشيرة : جُعْفى بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد ؛

وصعب بن سعد العشيرة ، دخل فى جُعف وجزء بن سعد العشيرة فن ولد جزء بن سعد العدل ، والجد ؛ وكان العدل على شُرطة تبع ، وكان إذا أراد قتل رجل قال : يُجعل على يدى عدل . وهو قولُ الناس : فلان على يدى عدل ، إذا كان مشرفاً على الهلاك .

ومن أشراف جُعْفَ : أبو سَبرة ، وهو يزيد بن مالك ؛ كان وفَد إلى النبى صلى الله عليه وسلم فدعا له ؛ ومنهم شراحيل بن الأصهب ، كان أبعدَ العربِ غارة كان يغزو من حضرموت إلى البلقاء فى مائة فارس من بنى أبيه ؛ فقتله بنو جَعدة ففيه يقول نابغة بنى جعدة .

أَرَحْنا معَدًا من شراحيل بعدَ ما ٭ أراها مَعَ الصُّبح الكواكبِ مظْهَرا

وعلقَمَة الحرَّابِ أدْرَكَ ركضُنا ٭ بِذِى الرِّمْثِ إذ صامَ النهار وهجرَا

وعلقمة الحرّاب كان رأس بنى جعف بعد شراحيل . ومن بنى جُعف : زَحْر ابن قيس صاحب على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ومنهم الأشعر بن أبى حُمران الذى يقول فيه :

أُرِيدُ دُعاء بنى مازنٍ ٭ وراق المُعَلَّى بياضَ اللَّبَن

خليلانِ مُخْتَلِفٌ بينَنا ٭ أُرِيدُ العلاء ويَبغى السِّمَن

ومنهم : عُبيد الله بن مالك الفاتك الُجعفى .

ومن بنى سعد العشيرة : أود ؛ وزُبيد ، واسمه منبّه ؛ وهما ابنا صعب بن سعد العشيرة وزُبيد الأصغر ، وهو منبه الأصغر بن ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن زُبيد بن صعب بن سعد العشيرة . ومنهم : أبو المغراء الشاعر ، ومنهم الزعافر وهو عامر بن حَرب بن سعد بن مُنبه بن أود ؛ ومنهم عبد الله بن إدريس الفقيه ، ومنهم الأفوه الشاعر ، واسمه صَلاءة بن عمرو ، ومنهم : بنو رَمّان بن كعب بن أود ، من ولده عافية بن يزيد القاضى ، وبنو قرن لهم مسجد بالكوفة .

زُبيد بن صعب بن سعد العشيرة . واسمه مُنبّه وهو زبيد الأكبر . من

ولده زُيد الأصغر ، وهو زيد بن ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن زيد ابن صعب .

ومن بنى زيد الأصغر : عمرو بن معديكرب ، وعاصر بن الأصقع الشاعر ، ومعاوية بن قيس بن سَلمة ، وهو الأفكل ، وكان شريفاً ، وإنما سمى الأفكل لأنه ٥ كان إذا غَضب أرعد ؛ ويقال : الأفكل من بنى زيد الأكبر . ومنهم : الحارث ابن عمرو بن عبد الله بن قيس بن أبى عمرو بن ربيعة بن عاصم بن عمرو بن زيد الأصغر . فهذه سعد العشيرة .

ومن مَذحج : جنب ، وصُدَاء ، ورُهاء ؛ فن بنى جَنب : مُنبه ، والحارث ، والغَلِيّ وشَيْحان ، وشِمْران ، وهِفَّان . فهؤلاء الستة ـ وهم جَنْب ـ بنو يزيد بن ١٠ حرب بن عُلَة بن خالد بن مالك بن أدد ؛ وإنما قيل لهم جَنب ؛ لأنهم جانبوا أخاهم صُداء وحالفوا سعد العشيرة ؛ وحالفت صُداء بنى الحارث بن كعب . فمن جَنب أبو طبيان الجنبىّ الفقيه . ومنهم : معاوية الخير بن عمرو بن معاوية صاحب لواء مَذحج . وهو الذى أجار مهلهل بن ربيعة التغلبى على بكر بن وائل ، فتزوج ابنة مهلهل . وفى ذلك يقول مهلهل بن ربيعة أخو كليب وائل :

١٥ هان على تَغْلبٍ بما لقِيَتْ * أُختُ بنى الأكرمِيْن من جُشَم
أنكَحَها فقدُها الأراقم فى * جنبٍ وكان الحِباء من أدمِ
لو بأبانَيْن جاء يخطبُها * رُمِّل ماأنْف خاطبٍ بدمِ

وقوله : وكان الحِباء من أدم ، أى إنه ساق إليها فى مَهرها قبة من أدم .

صداء — صُـداء بن يزيد بن حرب بن عُلة بن جَـلْد بن مالك بن أدد ، وهم حلفاء ٢٠ بنى الحارث بن كعب بن مذحج .

رهاء — رهاء بن مُنبّه بن عُلة بن جَلْد بن مالك . ومنهم : هِزّان بن سعيد بن قيس بن سرح ، كان من أشراف أهل الشام .

بنو الحارث — بنو الحارث بن كعب بن حرب بن عُلة بن جَلْد بن مالك بن أدد ، وهو بيت

مذحج . منهم : زَغْبل ، بطن فى بنى الحارث ، وهو الذى يقال فيه : لا يكلم زَغْبل . وكان شريفا . ومنهم المُحجّل بن حَزْن . ومنهم بنو حماس بن ربيعة . منهم النجاشى واسمه قيس بن عمرو . وفيهم بنو المَعْقل بن كعب بن ربيعة . ومنهم مَرثد ومُرَيثد ابنا سلمة بن المعقل ، قيل لهم المرائد . ومنهم المأمون بن معاوية اجتمعت عليه مذحج ومُزاحم بن كعب . ومنهم اللجلاج ، وأخوه مُسهر الذى فقأ عين عامر بن الطُفيل يوم فَيف فَيْف الريح ، وعبد يَغوث بن الحارث الشاعر قتيل التَّيم يوم الكُلاب ، وهو القائل : ٥

أقول وقد شَدُّوا لسانى بِنِسْعَةٍ ॰ ألا يال تيْمٍ أطلقوا منْ لسانيا

وتَضحك منى شيْخةٌ عَبْشمِيَّةٌ ॰ كأنْ لم ترى قبلى أسيراً يمانيا

ومنهم بنو قُنان بن سَلمة . منهم : الحُصين ذو الغُصَّة بن مَرْثد بن شدّاد بن قُنان ، وهو رأس بنى الحارث ، عاش مائة سنة ، وكان يقال لبنيه : فوارس الأرباع ، قتله همدان ؛ من ولده : كَثير بن شهاب بن الحُصين . ١٠

ومنهم : محمد بن زُهرة بن الحارث .

وفى بنى الحارث بن كعب : الضِّباب ؛ منهم هند بن أسماء الذى قَتل المُنتشر الباهلى . ١٥

وفيهم : بنو الدَّيّان . فيهم زياد بن النضر صاحب على . والربيع بن زياد ، ولى خراسان أيام معاوية . والنابغة الشاعر ، واسمه يزيد بن أبان . هؤلاء بنو الحارث بن كعب .

الضِّباب فى بنى الحارث بن كعب : مفتوحة الضاد ، وفى عامر بن صعصعة : مكسورة الضاد . ٢٠

مسلية — ومن بطون مذحج : مُسْلية بن عامر بن عمرو بن عُلة بن جَلْد بن مالك . فولد مُسلية ، كنانة وأسدا : منهما تفرقت مسلية .

بنو حباية — كنانة وأسد ابنا مُسلية . فمن بنى كنانة بن مسلية : بنو صُبيح وثعلبة ابنا ناشرة ،

وأمهما حُبابة بها يعرفون . منهم أُبَىّ بن ربيعة بن صُبح الذى يقول له عمرو بن معديكرب :

تَمنَّـــانِى ليقتلنى أُبَىٌّ ٭ وددتُ وأينما منى ودادى[1]

ومن بنى حبابة : عامر بن إسماعيل القائد ، وابن الحبابة الشاعر ، جاهلى ومن

٥ مذحج النَّخع بن عمرو بن عُلَة بن جَلد بن مالك بن أدد .

النخع — فمن بطون النخع : عمرو ، بطن ؛ وصُهبان ، بطن ؛ ووَهْبيل ، بطن ؛ وعامر ، بطن ؛ وجَذيمة ، بطن ؛ وحارثة ، بطن ؛ وكعب ، بطن .

بنو جذيمة — فمن بنى جَذيمة سعد بن مالك بن جلد بن النخع : الأشتر ، واسمه مالك بن الحارث ؛ وثابت بن قيس بن أبى المُنقّع .

١٠ بنو حارثة — ومن بنى حارثة بن سعد بن مالك بن النخع : إبراهيم بن يزيد الفقيه ، والحجاج ابن أرطاة .

وهبيل — ومن بنى وهْبيل بن سعد بن مالك بن النخع : سِنان بن أنس الذى قتل الحسين ابن على ؛ وشريك بن عبد الله القاضى .

صهبان — ومن بنى صُهبان بن سعد بن مالك بن النخع : كُميل بن زياد صاحب على بن

١٥ أبى طالب ، قتله الحجاج .

جشم وبكر — وفى النخع : جُشم ، وبكر . فمن بنى جشم : العُريان بن الهيثم بن الأسود .

ومن بنى بكر بن عوف بن النَّخع : يزيد بن المكفف . وعلقمة بن قيس . وأخوه أُبَىّ بن قيس ، قُتل مع علىّ بصفين . وأخوهما يزيد بن قيْس . وابنه الأسود بن يزيد العابد .

٢٠ عنس — ومن مَذحج : عَنس بن مالك بن أُدد . فولد عَنس : سعداً الأكبر ، وسعداً الأصغر ، ومالكا ، وعمرا ، ومخامرا ، ومعاوية ، وعَريبا ، وعَتيكا ، وشهابا ، والقِرَية ، وياما .

---

(١) فى بعض الأصول : « ثمامة قفرة بغت المبيضا » .

فمن بنى مالك بن عَنس : الأسود بن كعب الذى تنبأ باليمن .

ومن بنى يام بن عَنس : عمّار بن ياسر صاحب النبي عليه الصلاة والسلام .

ومن بنى سعد الأكبر : الأسود بن كعب : تبناه سعد الأكبر ، وكان كاهنا .

ومن أشراف عنس : عامر بن ربيعة ، شهد بدراً مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو حليف لقريش . ٥

مراد

ومن بطون مذحج : مراد بن مالك بن مذحج بن أدد ، ويسمى يُحَابِر .

فمن بطون مراد : ناجية وزاهر وأنعم . فمن بنى ناجية بن مراد : فروة بن مُسيك ، كان والياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم على نَجران .

ومن بنى زاهر بن مراد : قيس بن هُبيرة بن عبد يغوث . ومنهم أُويس القَرنى بن عمرو بن مالك بن عمرو بن سعد بن عمرو بن عُصْوان بن قَرن بن رُدمان بن ناجية بن مراد ، وهو الذى يقال أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيه : يدخل بشفاعته الجنة مثل ربيعة ومضر . وكان من التابعين ، وقد أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ١٠

وفى ناجية بن مراد : بنو غُطيف بن عبد الله بن ناجية ، ويقال إنهم من الأزد . وهانئ بن عُروة المقتول مع مُسلم بن عقيل . ١٥

وفى ناجية بن مراد : بنو جمل بن كنانة بن ناجية ، منهم : هند بن عمرو ، قتله عمرو بن اليثربىّ يوم الجمل ، وقال فى ذلك :

إنى لمَنْ يجهلُنى ابن اليثْربى ٭ قتلت عِلباء وهند الجملىّ

وابناً لصوحان على دين على

ومن بنى زاهر بن مراد : قيس بن هُبيرة بن عبد يغوث ، وهو قيس بن مكشوح . ٢٠

طيئ

هو طيئ بن أدد بن زيد بن يشجب بن عَريب بن زيد بن كهلان أخو مذحج،

ويقال ابن مذحج فى رواية ابن الكلبي؛ فولد طيئ الغوث وقُطرة والحارث .

فمن بطونِ طيئ : جديلة وهم بنو جندب وبنو حُور ، وأمهما جديلة وبها يعرفون ، وهى جديلة طيئ . فأما بنو حور بن جديلة فسهليون وليسوا من الجبليين ، وأما بنو جُندب بن جديلة فهم من الجَبليين ، وفيهم الشّرف والعدد ، وفيهم الثعالب ، وهم بنو ثعلبة بن جدعاء بن ذُهل بن رُومان بن جُندب .

فمن بنى ثعلبة بن جَدعاء : المعلى بن تيم بن ثعلبة بن جدعاء ، عليه نزل امرؤ القيس بن حُجر الشاعر ؛ إذ قُتل أبوه حجر بن الحارث ، وقال فى المعلى :

كأنِّىَ إذ نَزَلْتُ على المعَـــلَّى ٭ نَزَلْت على البواذِخِ من شَمَـامِ

فمـا مَلِكُ العِراقِ على المعلَّى ٭ بِمقْتَـــدِرٍ ولا مُلْكُ الشّآمِ

أقرَّ حشا امْرِئِ القَيسِ بنِ حُجْرٍ ٭ بنو تَيمٍ مصَابيحُ الظَّلام

فسمّى بنو تيم بن ثعلبة : مصابيحَ الظلام .

فمن ثعلبة بن جدعاء : الحر بن مَشجعة بن النعمان ، كان رئيس جـديلة يوم مُسيلمة الكذاب ؛ ومنهم أوس بن حارثة بن لأم سيد طيئ ؛ ومنهم حاتم بن عبد الله الجواد ؛ وابنه عدى بن حاتم ، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فألقى له وسادة وأجلسه عليهـا وجلس هو على الأرض . قال عدى : فما رِمت حتى هدانى الله للإسلام ، وسرَّنى ما رأيت من إكرام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى بنى عمرو بن الغَوث بن طيئ : ثُعَل ، بطن ؛ ونبْهان ، بطن ؛ وبَولان ، بطن ؛ وسلامان ، بطن ؛ وهَنِيّ ، بطن .

فمن هنىّ : إياس بن قبيصة : وأبو زَبيد الشاعر ، واسمه حَرملة بن المنذر .

ومن بنى سلامان : بنو بُحتر ، بطن طيئ ، ومن بنى بُحتر معرض بن صالح ، اجتمت عليه جديلة والغوث .

ومن بنى ثُعل : عمرو بن عبد المسبِّح ، كان أرمى العرب ، وإياه يعنى امرؤ القيس بقوله :

رُبَّ رامٍ من بني ثُعلٍ * مخرجٌ كفَّيْه من قُتَرِهْ

وأدرك النبي عليه الصلاة والسلام وهو ابن خمس ومائة سنة ، فأسلم .

ومن بني ثعل : أبو حنبل الذي يعد فى الأوفياء نزل به امرؤ القيس ومدحه ومنهم زيد الخيل ، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فسماه زيد الخير ، وقال : « مابلغنى عن أحدٍ إلا رأيتُه دون ما بلغنى ، إلازيد الخيل » . ٥

وفى طيئ : سُدوس . وهى مضمومة السين ، والتى فى ربيعة مفتوحة السين .

الأشعـــر

هو الأشعر بن أدد أخو مذحج ـ ويقال : ابن مذحج ، فى رواية ابن الكلبي ـ فولد الأشعر : الجماهر ، والأرغم ، والأدغم ، والأنعم ، وجُدَّة ، وعبد شمس ، وعبد الثُّريا . ١٠

فمن بطون الأشعريين : مُراطة ، وصُنامة ، وأسد ، وسهلة ، وعُكابة ، والشراعبة ، وعُسامة ، والدعالج .

ومن أشراف الأشعريين : أبو موسى الأشعرى عبد الله بن قيس ، صاحب النبي عليه الصلاة والسلام ، ومنهم مالك بن عامر بن هانئ بن خِفَاف ، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وشهد القادسية ، وهو أول من عبر دجلة يوم المدائن ، وقال فى ذلك : ١٥

امضُوا فإنَّ البَحْرَ بَحْرٌ مأمُور * والأوّلُ القاطِع منْكم مأْجُورْ

قد خابَ كِسْرى وأبُوهُ سابورْ * ما تصنَعُون والحديثُ مأثورْ

وابنه سعد بن مالك ، كان من أشراف أهل العراق ، ومنهم : السائب ابن مالك ، كان على شرطة المختار وهو الذى قَوىَ أمره ؛ ومنهم : أبو مالك الأشعرى ، زوّجه النبي عليه الصلاة والسلام إحدى نساء بنى هاشم وقال لها : « مارضيتِ أن زوجتُك رجلا هو وقومُه خيرٌ مما طلعت عليه الشمس ! » وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « يابنى هاشم ، زوّجوا الأشعريين وتزوجوا إليهم ؛ فإنهم فى الناس كصُرة المسك ٢٠

وكالأترج الذى إن شممته ظاهراً وجدته طيبا ، وإن آختبرت باطنه وجدته طيبا » .

فهؤلاء بنو أدد ، وهم مذحج وطيئ والأشعر ، بنو أُدد بن زيد بن يَشجب ابن يعرب بن قحطان .

لخـــم

هو مالك بن عدى بن الحـارث بن مرة بن أدد . فولدت لخم : جَزيلة ، ونُمـارة ؛ ومنهما تفرقت بطون لخم .

فمن بنى نمـارة : بنو الدارى ، وهو هانئ بن حبيب بن نمـارة . منهم تميم الدارى صاحب النبي عليه الصلاة والسلام .

وفى نمارة الأجْوَد ، وهم بنو مازن بن عمرو بن زياد بن نمارة رهط الطِرِمّاح ابن حكيم الشاعر ؛ ويقال إن الطرماح من طيئ ـ ومنهم : قصير بن سعد صاحب جَذيمة الأبرش .

ومن بنى نمـارة : ملوك الحيرة اللَّخميون . رهط النعمان بن المنذر بن امرئ القيس بن النعمان .

وفى جزيلة بن لخم بطون كثيرة ، منهم : إراش ، وحُجر ، ويشكر وأدب ، وخالفة ـ وهو راشدة ـ وغَنم ، وجديس ، بطن عظيم .

وفى جزيلة بن لخم أيضاً العَمَرَّط ، وفيهم عِباد الحِيرى منهم رهط عدى ابن زيد العِبادى . وفيهم بنو منارة ، وفيهم جَدس بن إدريس بن جَزيلة بن لخم منهم مالك بن ذُعر بن حُجر بن جَزيلة بن لخم ؛ يقال إنه الذى آستخرج يوسف ابن يعقوب ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ من الجب .

جـــذام

هو جُذام بن عدى بن الحارث بن مُرة بن أدد . فولد جُذام حَراما وحِشم ؛ ومنهما تفرقت جُذام .

فمن بنى حِشم بن جُذام : بنو عتيب بن أسلم بن خالد بن شَنوءة بن تَدِيل ابن حشم بن جذام ، وهم الذين يُنْسبون فى بنى شيبان .

وفى حرام بن جُذام بنو غَطفان ، وأفصى ، ابنا سعد بن إياس بن حرام ؛ وفيهما عدد جذام وشرفُها ؛ ويقال إن غطفان بن سعد بن قيس بن عَيلان هو هذا .

فمن بنى أفصى بن سعد : رَوْح بن زِنباع ، وزير عبد الملك بن مروان ؛ وقيس بن زيد ، وفد على النبى صلى الله عليه وسلم .

ومن بنى غطفان بن سعد : عَنبس ، ونضرة ، وأبامة ، وعبدة ، وحرْب ، ورَيْث ، وعبد الله ، بطون كلهم ؛ فانتسب ريث وعبد الله فى غطفان بن قيس ، وغيرهم فى جذام

عامـــلة

هم بنو الحارث بن عدى بن الحارث بن مُرة بن أدد بن زيد بن يشجُب ابن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، ولد الحارث الزهدَ ومعاوية وأمهما عاملة بنت مالك بن ربيعة بن قضاعة ، فنسبا إلى أمهما ؛ ويقال عاملة هو الحارث نفسه .

فمن بنى مُعاوية بن عاملة : شَعْل ، وسَلبه ، وعجل ، بطون كلهم .

فمن أشراف عاملة قوّال بن عمر ؛ وشهاب بن برهم ، وكان سيداً ؛ وهمام ابن معقل ، وكان شريفاً مع مسلمة بن عبد الملك ؛ ومنهم عَدِى بن الرقاع الشاعر ؛ ومنهم قُعيسيس الذى أسر عدى بن حاتم الطائى فأخذه منه شُعيب بن الربيع الكلبى فأطلقه بغير فداء .

فهؤلاء بنو عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يَشجُب بن عريب ابن زيد بن كهلان بن سبأ ؛ وهم لخم وجذام وعاملة ، بنو عدى بن الحارث ؛ وكندة بن عُفَيْر بن عدى بن الحارث .

خولان

هو خولان بن عمرو بن يَعْفُر بن مالك بن الحارث بن مُرة بن أدد . فولد خولان : حَبيبا ، وعمراً ، والأصهب ، وقيسا ، ونبتا ، وبكراً ، وسعدا ؛ منهم أبو مسلم عبد الرحمن بن مِشْكم الفقيه .

جـــرهم

٥

هو من القبائل القديمة ، وهو جُرهم بن يَقْطُنَ بن عابر . وعند عابر تجتمع يمن ومضر ؛ لأن مُضر كلها بنو فالغ بن عابر ، واليمن كلها بنو قحطان بن عابر .

حضرموت

هو ابن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث

١٠ ابن حيدان بن قُصىّ بن عَريب بن زُهير بن أيمن بن الهَمَيْسع بن حمير .

منهم : ذو مَرحب ، وذو نَحْو ؛ ومنهم الأعدل ؛ ومنهم : بنو مَرْثد ، وبنو ضجْع ، وبنو حُجر ، وبنو رَحَب ، وبنو أقْرن ، وبنو قَلْيان .

قول الشعوبية وهم أهل التسوية

ومن حجة الشعوبية على العرب أن قالت : إنا ذهبنا إلى العدل والتسوية ،

١٥ وأن الناس كلهم من طينة واحدة وسلالة رجل واحد .

واحتججنا بقول النبي عليه الصلاة والسلام : المؤمنون إخوةٌ ، تتكافأ دماؤُهم ويسعى بذمّتهم أدناهم وهم يدٌ على مَنْ سِواهم . وقوله فى حجة الوداع ، وهى خطبته التى ودع فيها أُمّته وختم نبوّته : « أيها الناسُ ، إنّ الله أذهبَ عنكم نَخْوةَ الجاهلية وفخرَها بالآباء . كُلّكم لآدمَ وآدمُ من تراب ، ليس لعربىّ على عَجَمِىّ

٢٠ فضلٌ إلا بالتقوى »

وهذا القول من النبي عليه الصلاة والسلام موافقٌ لقول الله تعالى :

﴿إنَّ أكرمكم عند اللهِ أتقاكم﴾ فأبيتم إلا فخراً وقلتم لا تُساوينا العَجَمُ وإنْ تقدَّمَتْنا إلى الإسلام ، ثم صلت حتى تصير كالحنى ، وصامت حتى تصير كأوتار ، ونحن نسامحكم ونجيبكم إلى الفخر بالآباء الذى نهاكم عنه نبيكم صلى الله عليه وسلم ، إذ أبيتم إلا خِلافَه ، وإنما نجيبكم إلى ذلك لاتباع حديثه وما أمر به صلى الله عليه وسلم ، فنرد عليكم حجتكم فى المفاخرة ، ونقول : أخبرونا إن قالت لكم العجم هل تعدون ٥ الفخر كله أن يكون مُلكا أو نبوَّة ؟ فإن زعمتم أنه ملك قالت لكم : وإن لنا ملوك الأرض كلها من الفراعنة والنماردة والعمالقة والأكاسرة والقياصرة ، وهل ينبغى لأحد أن يكون له مثل ملك سليمان الذى سُخِّرت له الإنسُ والجن والطير والريح ، وإنما هو رجل منا ؟ أم هل كان لأحد مثل ملكِ الإسكندر الذى ملكَ الأرض كلها وبلغ مطالع الشمس ومغربها وبنى ردما من حديد ساوى به بين الصَّدَفَين ، ١٠ وسجن وراءه خلقا من الناس تربى على خلق الأرض كلها كثرة ؛ يقول الله عز وجل : ﴿حتى إذا فُتِحَتْ يأجُوجُ ومأجوج وهم مِنْ كلِّ حدَبٍ يَنْسِلونَ﴾ فليس شىء أدل على كثرة عددهم من هذا ، وليس لأحد من ولد آدم مثلُ آثاره فى الأرض ؛ ولو لم يكن له إلا منارة الإسكندرية الذى أسسها فى قعر البحر وجعل فى رأسها مرآة يَظهر البحرُ كله فى زجاجتها . وكيف ومنا ملوك الهند ١٥ الذين كتب أحدهم إلى عمر بن عبدالعزيز : مِن ملك الأملاك الذى هو ابن ألف ملك ، والذى تحته بنت ألف ملك ، والذى فى مربطه ألف فيل ، والذى له نهران ينبتان العود والفُوه والجَوز والكافور ، الذى يوجد ريحه على اثنى عشر ميلا ـ إلى ملك العرب الذى لا يشرك بالله شيئا . أما بعد ، فإنى أردت أن تبعث إلىّ رجلا يعلمنى الإسلام ويوقفنى على حدوده والسلام . ٢٠

وإن زعمتم أنه لا يكون الفخر إلا بنبوة فإن منا الأنبياء والمرسلين قاطبة من لدن آدم ما خلا أربعة : هوداً وصالحا وإسماعيل ومحمدا ؛ ومنا المصطَفَون من العالمين : آدم ونوح ، وهما العنصران اللذان تفرع منهما البشر : فنحن الأصل وأنتم الفرع ، وإنما أنتم غصن من أغصاننا ، فقولوا بعد هذا ما شئتم

واذعوا . ولم تزل الأمم كلها من الأعاجم فى كل شق من الأرض [لها] ملوك تجمعها ، ومدائن تضمها ، وأحكام تَدين بها ، وفلسفة تنتجها ، وبدائع تفتقها فى الأدوات والصناعات : مثل صنعة الديباج ، وهى أبدع صنعة ؛ ولعب الشطرنج ، وهى أشرف لعبة ، ورمانة القبان التى يوزن بها رطل واحد ومائة رطل ؛ ومثل فلسفة الروم فى ذات الخلق والقانون ، والأسطرلاب الذى يعدل به النجوم ويدرك به علم الأبعاد ودوران الأفلاك ، وعلم الكسوف [وغير ذلك من الآثار المتقنة] ولم يكن للعرب ملك يجمع سوادها ، ويضم قواصيها ، ويقمع ظالمها ، وينهى سفيهها ؛ ولا كان لها قط نتيجة فى صناعة ، ولا أثر فى فلسفة ، إلا ما كان من الشعر وقد شاركتها فيه العجم ، وذلك أن للروم أشعاراً عجيبة قائمة الوزن والعروض ؛ فما الذى تفخر به العرب على العجم ؟ فإنما هى كالذئاب العادية ، والوحوش النافرة ، يأكل بعضها بعضاً ، ويغير بعضها على بعض ، فرجالها مُوثَقُون فى حلق الأسر ، ونساؤها سبايا مُرْدَفات على حقائب الإبل ، فإذا أدركهن الصريخ استنقذن بالعشى وقد وطئن كما توطأ الطريق المَهْيَع ، فخر بذلك شاعر فقال :

وأَلْحَقُ رَكْبَ (١) المُرْدفاتِ عَشِيَّةً

فقيل له : ويحك ! وأى فخر لك أن تلحق بالعشى وقد نُكحن وامتُهِنَّ ؟

وقال جرير يعيِّر بنى دارم بغلبة قيس عليهم يوم رحرحان :

وبِرَحْرَحانٍ غَدَاةَ كُبِّلَ مَعْبَدٌ ٭ نُكِحَتْ نِساؤُكُمُ بغيْرِ مُهُورِ

وقال عنترة لامرأته :

إنَّ الرِّجالَ لهم إليْكِ وسيلَةٌ ٭ إنْ يأخُذُوكِ تكَحَّلى وتَخَضَّبى

وأنا امْرُؤٌ إنْ يأخُذُونِىَ عَنْوَةً ٭ أُقرنْ إلى سَيْرِ الرِّكابِ وأُجْنَبِ

ويكونُ مَرْكَبكِ القَعُودُ ورَحْلَه ٭ وابْنُ النَّعامَةِ عند ذلكَ مَرْكَبى

(١) فى بعض الأصول : « وأوثق عند » .

أراد بابن النعامة : باطن القدم .

وسبى ابنُ هَبولة الغسّانى امرأة الحارث بن عمرو الكندى . فلحقه الحارث فقتله وارتجع المرأة وقد كان نال منها ، فقال لها : هل كان أصابك ؟ قالت : نعم والله ، فما اشتملت النساء على مثله ! فأوثقها بين فرسين ثم استحضرهما حتى قطعاها ؛ وقال فى ذلك :

كلُّ أنثى وإن بَدا لك منها ٭ آية الودّ عهدُها خيْتَعورُ

إنّ مَن غرّه النساء بودٍّ ٭ بعد هندٍ لجاهلٌ مغرور

وسبت بنو سُليم ريحانة أخت عمرو بن معديكرب فارس العرب ، فقال فيها عمرو :

أمِنْ رَيحانة الداعى السميعُ ٭ يُؤرّقُنى وأصحابى هجوع

وفيها يقول :

إذا لم تستطعْ أمراً فدعْه ٭ وجاوزْه إلى ما تستطيعُ

وأغار الحوفزان على بنى سعد بن زيد مناة ، فاحتمل الزرقاء من بنى ربيع ابن الحارث ، فأعجبته وأعجبها ؛ فوقع بها ، ثم لحقه قيس بن عاصم ، فاستنقذها وردّها إلى أهلها بعد أن وقع بها .

فهذا كان شأن العرب والعجم فى جاهليتها . فلما أتى الله بالإسلام كان للعجم شطر الإسلام ؛ وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم بُعث إلى الأحمر والأسود من بنى آدم ، وكان أوّل من تبعه حرّ وعبد واختلف الناس فيهما ، فقال قوم : أبو بكر وبلال ، وقال قوم : علىّ وصُهيب .

ولما طُعن[1] عمر بن الخطاب رضى الله عنه قدم صهيباً على المهاجرين والأنصار فصلى بالناس وقيل له : استخلف . فقال : ما أجد من[2] أستخلف . فذكر له الستة من أهل حراء ، فكلهم طَعن عليه ، ثم قال : لو أدرك سالما مولى

(١) فى بعض الأصول : « احتضر » .

(٢) فى بعض الأصول : « لا إخالنى من » .

أبى حذيفة حيا لما شككت فيه . فقال فى ذلك شاعر العرب :

هذا صُهَيب أمَّ كل مُهاجرٍ ، وعَلا جميعَ قبائلِ الأنصار
لم يُرض منهم واحدٌ لصَلاتنا ، وهمُ الهداةُ وقادة الأخيار
هذا ولو كان المُترَّم سالمٌ ، حيًّا لَنال خلافةَ الأمْصار
٥ ما بالُ هٰذى العُجْم تَحيا دوننا ، إنّ النوىَّ لفى عمًى وخَسار

وقال بُجير يعيّر العرب باختلافها فى النسب واستلحاقها للأدعياء :

زَعمتم بأن الهندَ أولادُ خندفٍ ، وبينَكمُ قربَى وبين البَرابِرِ
ودَيْلمُ من نسْل ابن ضَبَّة باسلٍ ، وبُرْجان من أولاد عمرو بن عامر
فقد صار كلُّ الناس أولادَ واحدٍ ، وصاروا سواءً فى أصول العناصر
١٠ بنو الأصفرِ الأملاكُ أكرم منكمُ ، وأولى بقرْبانا مُلوك الأكاسر
أتطمع فى صِهْرى دعيًّا مُجاهراً ، ولم تَر سِتراً من دعىّ مُجاهر
وتَشتُم لؤْما رهْطَه وقبيله ، وتَمدح جهْلا طاهراً وابن طاهر

وقد ذكرت هذا الشعر تاما فى كتاب النساء والأدعياء والنجباء .

وقال الحسن بن هانئ على مذهب الشعوبية :

١٥ وجاورْتُ قوما ليس بينى وبينَهم ، أواصِرُ إلا دعوةٌ وبُطونُ
إذا ما دعا باسْمى العَريف أجبْته ، إلى دعوةٍ مما علىّ يهونُ
لأزْدِعمانٍ بالمُهلَّب نَزْوة ، إذا افتخر الأقوام ثم تَلين
وبكْرٌ يَرى أن النُّبوّةَ أُنزلتْ ، على مِسمعٍ فى البطن وهو جَنين
وقالت تَميم لا نَرى أن واحداً ، كأحنفنا حتى المَمات يكون
٢٠ فلا لُمتُ قيساً بعدها فى قتيْبة ، إذا افتخروا إن الفخار فنون [1]

(١) فى بعض الأصول : « الحديث شجون » .

ردّ ابن قتيبة على الشعوبية

قال ابن قتيبة فى كتاب تفضيل العرب :

وأمّا أهل التسوية فإن منهم قوما أخذوا ظاهر بعض الكتاب والحديث ، فقضوا به ولم يفتشوا عن معناه ، فذهبوا إلى قوله عز وجل : ﴿ يأَيُّها النّاسُ إنّا خلقناكم من ذكر وأُنثى وجعلناكم شعوباً وقبائلَ لتعارَفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ وقوله : ﴿ إنما المؤمنونَ إخوةٌ فأصلِحوا بين أخَوَيْكم ﴾ وإلى قول النبي عليه الصلاة والسلام فى خطبته فى حجة الوداع : أيها الناس ، إن الله قد أذهب عنكم نَخوة الجاهلية وتفاخرها بالآباء . ليس لعربى على عجمى فخر إلا بالتقوى ، كلكم لآدم وآدم من تراب . وقوله : المؤمنون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمّتهم أدناهم ، وهم يَد على من سواهم . وإنما المعنى فى هذا أن الناس كلهم من المؤمنين سواء فى طريق الأحكام والمنزلة عند الله عز وجل والدار الآخرة .

لو كان الناس كلهم سواء فى أمور الدنيا ليس لأحد فضل إلا بأمر الآخرة ، لم يكن فى الدنيا شريف ولا مشروف ولا فاضل ولا مفضول ؛ فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم : إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه . وقوله صلى الله عليه وسلم : أَقيلوا ذوى الهيئات عثراتِهم . وقوله صلى الله عليه وسلم فى قيس بن عاصم : هذا سيد الوبر . وكانت العرب تقول : لا يزال الناسُ بخير ما تباينوا فإذا تساووْا هلكوا . تقول : لا يزالون بخير ما كان فيهم أشراف وأخيار ، فإذا جملوا كلهم جملةً واحدة هلكوا .

وإذا ذمّت العرب قوما قالوا : سواسية كأسنان الحمار . وكيف يستوى الناس فى فضائلهم والرجل الواحد لا تستوى فى نفسه أعضاؤه ولا تتكافأ مفاصله ، ولكن لبعضها الفضل على بعض ، وللرأس الفضل على جميع البدن بالعقل والحواس الخمس . وقالوا : القلب أمير الجسد . ومن الأعضاء خادمة ، ومنها مخدومة .

قال ابن قتيبة : ومن أعظم ماادعت الشعوبية فخرهم على العرب بآدم عليه السلام وبقول النبي عليه الصلاة والسلام : لا تُفَضِّلونى عليه ، فإنما أنا حسنة من حسناته . ثم فخرُهم بالأنبياء أجمعين وأنهم من العجم غير أربعة : هود وصالح وإسماعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام ؛ واحتجوا بقول الله عز وجل : ﴿ إنّ الله اصطفى آدمَ ونوحاً وآل إبراهيم وآل عِمْران على العالَمين ذُرِّيّةً بعضُها من بعضٍ والله سميعٌ عليمٌ ﴾ .
٥
ثم فخروا بإسحاق بن إبراهيم ، وأنه لِسارة ، وأنّ إسماعيل لأمَةٍ تسمى هاجَر .
وقال شاعرهم :

في بلْدةٍ لم تصل عُكْلٌ بها طنباً ‍‍٭ ولا خِباء ، ولا عَكٌّ وهَمْدان

ولا لجَرْمٍ ولا بهراء من وطنٍ ٭ لكنها لبنى الأحرار أوطان

١٠ أرض يُبنّى بها كسرى مساكنَه ٭ فما بها من بنى اللَّخناء إنسان

فبنو الأحرار عندهم : العجم ؛ وبنو اللخناء عندهم : العرب ؛ لأنهم من ولد هاجر وهى أمَة ، وقد غلطوا فى هذا التأويل ، وليس كل أمة يقال لها اللخناء إنما اللخناء من الإماء الممتهنة فى رعى الإبل وسقيها وجمع الحطب ، وإنما أُخذ من اللخن ، وهو نتن الريح ؛ يقال : لَخِنَ السقاء ، إذا تغير ريحه ؛ فأما مثل هاجَر
١٥ التى طهرها الله من كل دنس وارتضاها للخليل فراشاً ، وللطَّيِّبَيْن إسماعيل ومحمدٍ أُمًّا ، وجعلهما سلالة ـ فهل يجوز لِمُلْحِدٍ فضلا عن مسلم أن يسميها لخناء !

رد الشعوبية على ابن قتيبة

قال بعض من يرى رأى الشعوبية فيما يردّ به على ابن قتيبة فى تباين الناس وتفاضُلِهم ، والسيد منهم والمسود .

٢٠ إننا نحن لا ننكر تبايُن الناس ولا تفاضُلهم ، ولا السيد منهم والمسْود ، والشريف والمشروف ؛ ولكنا نزعم أنّ تفاضُل الناس فيما بينهم ليس بآبائهم ولا بأحسابهم ، ولكنه بأفعالهم وأخلاقهم وشرف أنفسهم وبُعْد هممهم ؛ ألا ترى أنه من كان دنىء الهمة ، ساقط المروءة ، لم يشرف وإن كان من بنى هاشمٍ فى ذؤابتها ، ومن

أمية فى أرومتها ، ومن قيس فى أشرف بطن منها : إنما الكريم من كرُمت أفعاله ، والشريف من شرُفت همتُه ؛ وهو معنى حديث النبي عليه الصلاة والسلام : إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه . وقوله فى قيس بن عاصم : هذا سيدُ أهل الوبَر . إنما قال فيه لسودده فى قومه بالذب عن حريمهم ، وبذله رفدَه لهم ؛ ألا ترى أن عامر ابن الطفيل كان فى أشرف بطن فى قيس يقول : ٥

وإنى وإن كنت ابن سيِّدِ عامرٍ ❊ وفارسها المشهور فى كلِّ موكب

فما سوَّدَتنى عامرٌ عن وراثةٍ ❊ أبىَ الله أن أسمو بأُمٍ ولا أبِ

ولكنَّنى أحمِى حِمَاها وأتَّقى ❊ أذاها وأرمِى من رماها بمنكبِ

وقال آخر :

إنا وإن كرُمَت أوائلنا ❊ لسنا على الأحساب نتَّكِلُ ١٠

نَبنى كما كانت أوائلنـا ❊ نَبنى ونَفعل مثل ما فعلوا

وقال قس بن ساعدة : لأقضِيَنَّ بين العرب بقضية لم يقض بها أحد قبلى ولا يردّها أحد بعدى : أيما رجلٍ رمى رجلا بملامة دونها كرم ، فلا لؤم عليه ، وأيما رجل ادّعى كرماً دونه لؤم فلا كرم له .

ومثله قول عائشة أم المؤمنين : كل كرم دونه لؤمٌ فاللؤم أولى به ، وكل لؤم دونه كرمٌ فالكرم أولى به . تعنى بقولها ، أن أولى الأشياء بالإنسان طبائع نفسه وخصالها ، فإذا كرمت فلا يضره لؤم أوّليته ، وإن لؤمت فلا ينفعه كرم أوّليته . ١٥

وقال الشاعر :

نفس عصامٍ سَوَّدتْ عصاما ❊ وعلَّمْته الكرَّ والإقداما

وصَيَّرتْه ملِكا هُمَاما ٢٠

وقال آخر :

ماليَ عقلى وهمَّتى حسبى ❊ ما أنا موْلًى ولا أنا عرَبى

إنِ انتمى مُنتَمٍ إلى أحد ❊ فإننى مُنتمٍ إلى أدبى

وتكلم رجل عند عبد الملك بن مروان بكلام ذهب فيه كل مذهب ، فأعجب عبد الملك ماسمع منه ، فقال : ابن من أنت يا غلام ؟ قال : ابن نفسى يا أمير المؤمنين التى نلت بها هذا المقعد منك ! قال : صدقت !

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : حَسَبُ الرجل مالهُ ، وكرمُهُ دينه .

٥ وقال عمر بن الخطاب : إن كان لك مال فلك حَسَب ، وإن كان لك دين فلك كَرَم .

وما رأيت أعجب من ابن قتيبة فى كتاب تفضيل العرب ؛ إنه ذهب فيه كل مذهب من فضائل العرب ، ثم ختم كتابه بمذهب الشعوبية ، فنقض فى آخره كل ما بنى فى أوله ؛ فقال فى آخر كلامه : وأعدل القول عندى أن الناس كلهم لأب ١٠ وأم ، خلقوا من تراب ، وأعيدوا إلى التراب ، وجروْا فى مجرى البول ، وطوأ عليهم الأقذار ؛ فهذا نسبهم الأعلى الذى يرتدع به أهل العقول عن التَّعظُّم والكبرياء ، والفخر بالآباء ، ثم إلى الله مرجعهم فتنقطع الأنساب ، وتبطل الأحساب ، إلا من كان حسبه التقوى ، أو كانت ماتَّتُه طاعة الله .

قول الشعوبية فى مناكح العرب

١٥ قالت الشعوبية : إنما كانت العرب فى الجاهلية ينكح بعضهم نساء بعض فى غاراتهم بلا عقد نكاح ولا استبراء من طمث ، فكيف يدرى أحدهم من أبوه .

وقد فخر الفرزدق ببنى ضبة حين يبتزُّون العيال فى حروبهم فى سبيَّة سبَوها من بنى عامر بن صعصعة فقال :

فظلَّت وظلُّوا يَركبون هَبيرَها ٭ وليس لهم إلا عواليهمُ سِتْر

٢٠ والهبير : المطمئن من الأرض ؛ وإنما أراد هاهنا فرْجها .

وهو القائل فى بعض ما يفخر به :

ومنا التَّميميُّ الذى قام أيْرُه ٭ ثلاثين يوما ثم قد زادها عَشْرا

باب المتعصبين للعرب

قال أصحاب العصبية من العرب : لو لم يكن منا على المولى عَتاقة ولا إحسان إلا استنقاذُنا له من الكفر وإخراجنا له من دار الشرك إلى دار الإيمان كما فى الأثر : إن قوماً يقادون إلى حظوظهم بالسواجير . كما قال : عجبَ ربُّنا من قوم يُقادون إلى الجنة فى السلاسل .

على أنّا تعرّضنا للقتل فيهم ؛ فَمَنْ أعظم عليك نعمة ممن قتل نفسه لحياتك ؟ فالله أمرنا بقتالكم ، وفرض علينا جهادَكم ورغبنا فى مكاتبتكم .

وقدّم نافع بن جبير بن مطعم رجلا من أهل الموالى يصلى به ، فقالوا : له فى ذلك ؛ فقال : إنما أردت أن أتواضع لله بالصلاة خلفه .

وكان نافع بن جبير هذا إذا مرّت به جنازة قال : من هذا ؟ فإذا قالوا قرشى ؛ قال : واقوماه ! وإذا قالوا : عربى ؛ قال : وابلدتاه ! وإذا قالوا : مولى ؛ قال : هو مال الله ، يأخذ ما شاء ويدع ما شاء .

قال : وكانوا يقولون لا يَقطع الصلاة إلا ثلاثة : حمار ، أو كلب أو مولى .

وكانوا لا يكنونهم بالكنى ، ولا يدعونهم إلا بالأسماء والألقاب ، ولا يمشون فى الصف معهم ، ولا يتقدمونهم فى الموكب ، وإن حضروا طعاماً قاموا على رؤسهم ، وإن أطعموا المولى لسنّه وفضله وعلمه أجلسوه فى طرف الخِوان ؛ لئلا يخفى على الناظر أنه ليس من العرب ، ولا يدعونهم يصلون على الجنائز إذا حضر أحد من العرب ، وإن كان الذى يحضر غريرا ؛ وكان الخاطب لا يخطب المرأة منهم إلى أبيها ولا إلى أخيها ، وإنما يخطبها إلى مواليها ؛ فإنّ رضى زُوِّج وإلا رُدّ ، فإن زَوّج الأب والأخ بغير رأى مواليه فُسخ النكاح ، وإن كان قد دخل بها كان سفاح غير نكاح .

وقال زياد : دعا معاوية الأحنف بن قيس وسَمُرَة بن جُندب فقال إنى رأيت هذه الحمراء قد كَثُرت ، وأراها قد طعنت على السلف ، وكأنى أنظر إلى وثبة منهم على العرب والسلطان ؛ فقد رأيت أن أقتل شطراً وأدع شطراً لإقامة

السوق وعمارة الطريق ؛ فما ترون؟

فقال الأحنف : أرى أن نفسى لا تطيب ؛ أخى لأمى وخالى ومولاى، وقد شاركناهم وشاركونا فى النسب . فظننت أنى قد قتلت عنهم ؛ وأطرق .

فقال سمرة بن جندب : اجعلها إلىّ أيها الأمير ، فأنا أتولى ذلك منهم وأبلغ منه .

٥ فقال : قوموا حتى أنظر فى هذا الأمر .

قال الأحنف : فقمنا عنه وأنا خائف ، وأتيت أهلى حزينا ؛ فلما كان بالغداة أرسل إلىّ ، فعلمت أنه أخذ برأيى وترك رأى سمرة .

وروى أن عامر بن عبد القيس فى نسكه وزهده وتقشفه وإخباته وعبادته كلّمه حمران مولى عثمان بن عفان عند عبد الله بن عامر صاحب العراق فى تشنيع

١٠ عامر على عثمان وطعنه عليه ، فأنكر ذلك ، فقال له حمران : لا كثّر الله فينا مثلك ! فقال له عامر : بل كثّر الله فينا مثلك ! فقيل له : أيدعُو عليك وتدعو له؟ قال : نعم ، يكسَحون طرقنا ، ويَخْرزون خِفافَنا ، ويَحوكُون ثيابنا . فاستوى ابن عامر جالساً ، وكان متكئا ، فقال : ما كنت أظنك تعرف هذا الباب ، لفضلك وزهادتك . فقال : ليس كل ما ظننتَ أنى لا أعرفه ، لا أعرفه .

١٥ وقالوا : إن خالد[1] بن عبد الله بن خالد بن أسيد لما وجّه أخاه عبد العزيز إلى قتال الأزارقة ، هزموه وقتلوا صاحبه مقاتل بن مسمع ، وسبَوا امرأته أم حفص بنت المنذر بن الجارود العبدى ، فأقاموها فى السوق حاسرة بادية المحاسن ، وغالَوْا فيها[2] وكانت من أكمل الناس كمالا وحسنا ، فتزايدت فيها العرب والموالى وكانت العرب تزيد فيها على العصبية ، والموالى تزيد فيها على الولاء ، حتى بلّغتها

٢٠ العرب عشرين ألفا ، ثم تزايدوا فيها حتى بلّغوها تسعين ألفا ، فأقبل رجل من الخوارج من عبد القيس من خلفها بالسيف فضرب عنقها ، فأخذوه ورفعوه إلى قطرى بن الفجاءة ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إن هذا استهلك تسعين ألفا من

---

(١) فى بعض الأصول : « أمية بن خالد » .

(٢) فى بعض الأصول : « فاعترضوها وقلبوها » .

بيت المال وقتل أمة من إماء المؤمنين. فقال له: ما تقول؟ قال: يا أمير المؤمنين، إنى رأيت هؤلاء الإسماعيلية والإسحاقية قد تنازعوا عليها حتى ارتفعت الأصوات واحمرت الحدق، فلم يبق إلا الخبط بالسيوف، فرأيت أن تسعين ألفا فى جنب ما خشيت من الفتنة بين المسلمين هينة. فقال قطرى: خَلُّوا عنه، عين من عيون الله أصابتها. قالوا: فأقِدْ مِنه. قال: لا أُقيد من وزَعه الله. ثم قدم هذا العبدى بعد ذلك البصرة، فإذا النعمان بن الجارود يستجديه بذلك السبب، فوصله وأحسن إليه. ٥

قال: أبو عبيدة: مر عبد الله بن الأهتم بقوم من الموالى وهم يتذاكرون النحو، فقال: لئن أصلحتموه إنكم لأولُ من أفسده. قال أبو عبيدة: ليته سمع لحن صفوان وخاقان ومؤمل بن خاقان.

١٠ الأصمعى قال: قدم أبو مهدية الأعرابى من البادية فقال له رجل: أبا مهدية أتتوضئون بالبادية؟ قال: والله يا ابن أخى لقد كنا نتوضأ فتكفينا التوضئة الواحدة ثلاثة الأيام والأربعة، حتى دخلت علينا هذه الحمراء ـ يعنى الموالى ـ فجعلت تليق آستاهها بالماء كما تلاق الدواة.

ونظر رجل من الأعراب إلى رجل من الموالى يستنجى بماء كثير، فقال له: إلى كم تغسلها ويلك! أتريد أن تشرب بها سويقا! ١٥

وكان عقيل بن عُلَّفَة المُرِّى أشدَّ الناس حِمِيَّة فى العرب، وكان ساكنا فى البادية، وكان يُصهر إليه الخلفاء؛ وقال لعبد الملك بن مروان وخطب إليه ابنته الجرباء: جنِّبنى هجناء ولدك. وهو القائل:

كنَّا بَنُو غَبْط رجالا فأصْبَحت ❊ بَنُو مالِك غَيْظا وصِرْنا لِمالِكِ

٢٠ لحى اللهُ دهْراً ذعْذَعَ المالَ كُلَّهُ ❊ وسوَّد أشباه الإماءِ العوارِكِ

وقال ابن أبى ليلى: قال لى عيسى بن موسى وكان جائراً[1] شديد العصبية: من كان فقيه البصرة؟ قلت: الحسن بن أبى الحسن. قال: ثم من؟ قلت: محمد بن سيرين. قال: فما هما؟ قلت: موليان.

(١) فى بعض الأصول: «ديانا».

قال : فمن كان فقيه مكة ؟ قلت : عطاء بن أبي رباح ، ومجاهد بن جبر ، وسعيد بن جبير ، وسليمان بن يسار . قال : فما هؤلاء ؟ قلت موالى .

فتغير لونه ، ثم قال : فمن أفقه أهل قباء ؟ قلت ربيعة الرأى ، وابن أبي الزناد ، قال : فما كانا ؟ قلت من الموالى .

٥ فاربد وجهه ، ثم قال : فمن كان فقيهَ اليمن ؟ قلت : طاوس ، وابنه وهمام بن منبه . قال : فما هؤلاء ؟ قلت : من الموالى .

فانتفخت أوداجه فانتصب قاعداً ، [ثم] قال : فمن كان فقيه خراسان ؟ قلت : عطاء بن عبد الله الخراسانى . قال : فما كان عطاء هذا ؟ قلت : مولى .

فازداد وجهه تربُّدا واسودّ اسودادا حتى خفتُه ، ثم قال : فمن كان فقيه

١٠ الشام ؟ قلت : مكحول . قال : فما كان مكحول هذا ؟ قلت : مولى .

فازداد تغيُّظا وحَنقا ؛ ثم قال : فمن كان فقيه الجزيرة ؟ قلت : ميمون بن مِهران . قال : فما كان ؟ قلت : مولى .

قال : فتنفس الصعداء ، ثم قال : فمن كان فقيه الكوفة ؟ قلت : فوالله لولا خوفه لقلت : الحكم بن عُيينة ، وعمار بن أبي سليمان ، ولكن رأيت فيه الشر ،

١٥ فقلت : إبراهيم ، والشعبي . قال : فما كانا ؟ قلت : عربيان . قال : الله أكبر ! وسكن جأشه .

وذكر عمرو بن بحر الجاحظ ، فى كتاب الموالى والعرب : أن الحجاج لما خرج عليه ابن الأشعث وعبد الله بن الجارود ، ولقى ما لقى من قراء أهل العراق وكان أكثرَ من قاتله وخلعه وخرج عليه ، الفقهاء والمقاتلة والموالى من أهل

٢٠ البصرة ؛ فلما علم أنهم الجمهور الأكبر والسواد الأعظم ، أحب أن يسقط ديوانهم ويفرق جماعتهم حتى لا يتألفوا ولا يتعاقدوا ، فأقبل على الموالى وقال : أنتم علوج وعجم ، وقُراكم أولى بكم . ففرقهم وفض جمعهم كيف أحب وصيَّرهم كيف شاء ، ونقش على يد كل رجل منهم اسم البلدة التى وجّهه إليها ؛ وكان الذى تولى ذلك منهم رجل من بنى سعد بن عجل بن لجيم ، يقال له خراش بن جابر ؛

وقال شاعرهم :

وأنتَ مَن نقشَ العِجليُّ راحتَهُ * وفرَّ شيْخكَ حتى عاذَ بالحَكَمِ

يريد : الحكم بن أيوب الثقفي عامل الحجاج على البصرة .

وقال آخر ، وهو يعني أهل الكوفة ، وقد كان قاضيهم رجلا من الموالى يقال له : نوح بن درّاج : ٥

إنّ القِيامةَ فيما أحسَبُ اقتربتْ * إذ كانَ قاضيكُمْ نوح بن درّاجِ

لو كانَ حيًّا له الحجَّاجُ ما بقِيَتْ * صَحِيحةً كفُّهُ مِنْ نقشِ حجَّاجِ

وقال آخر :

جاريَة لم تَدْرِ ما سوقُ الإبلْ * أخْرجها الحجاجُ مِنْ كِنّ وظِلّ

لو كانَ عمْرو شاهِداً وابنُ جَبَلْ[1] * ما نُقِشَتْ كفاك من غيْرِ جَدَلْ ١٠

ويروى أن أعرابيا من بنى العَنبر دخل على سوّار القاضى فقال : إن أبى مات وتركنى وأخاً لى ـ وخط خطّين ـ ثم قال : وهجيناً ـ ثم خط خطا ناحية ـ فكيف يقسم المال ؟ فقال له سوار : هاهنا وارث غيركم ؟ قال : لا . قال : فالمال بينكم أثلاثاً . قال : ما أحسبك فهمت عنى ، إنه تركنى وأخى وهَجينا ، فكيف يأخذ الهجين كما آخذ أنا وكما يأخذ أخى ؟ قال : أجل . فغضب الأعرابى ثم أقبل على سوّار فقال : ماعلمت والله ، إنك قليل الخالات بالدهناء . قال سوار : لا يضرُّنى ذلك عند الله تعالى شيئاً . ١٥

تم الجزء الثالث من كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه ؛ ويليه ـ إن شاء الله تعالى الجزء الرابع . وأوله : كتاب العسجدة : فى كلام الأعراب

(١) فى بعض الأصول : « لو كان شاهداً حذيف وحمل » . ٢٠

فهرس الجزء الثالث من العقد الفريد

تم الفهرس